

# الرهائن الاسرائيلي على جنوب السودان

تأليف  
عادل رضا

تقديم  
الرئيس جعفر النميري



الكتب المصرية الحديثة



الرهان الاسرائيلي على جنوب السودان  
القضية ، الحل ، والرجل

**الطبعة الأولى**

**مارس ١٩٧٥**

**الناشر : المكتب المصرى الحديث للطباعة والنشر**

**القاهرة : ٢ ش شريف مكتب ٥٣١٢٧**

**الاسكندرية : ٧ ش نوبار تليفون ٢٦٦٠٢**

# الرجاء الإسرائيلي

على جنوب السودان

القضية . الحل . . والرجل

تأليف  
عادل رضا

تقديم  
المرحوم جعفر نمبري

الناشر

المكتب المصري الحديث

للطباعة والنشر

تليفون ٢١٦٠٢

الإسكندرية



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَحِيَّتهم يَوْمَ يَقُومُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ..  
«صدق الله العظيم»

وعلى الأرض السَّلام، وللمَنَّا السَّلام،  
المسيح عليه السَّلام



## أهداء

● ● الى القارة الأفريقية المتطلعة الى الوحدة بعد الشتات ،  
والتكامل بعد الانغلاق ، والتحرير بعد القهر .

● ● الى القارة السمراء المؤمنة بحتمية الاتصال بالامة العربية  
على طريق التحرير والتنمية والعدل والرخاء .

● ● الى شهداء افريقيا ، لومومبا ، كابرال ، والمهدى بن بركة  
الذين سقطوا تحت راية الوحدة .

● ● أقدم هذه التجربة التي تعكس نتائج حكمة القرار ثم شجاعة  
المثابرة على التنفيذ رغم ضراوة المؤامرات ، لكي ترتفع رايات الوحدة  
لا لتظلل السودان وحدة وانما لتكون بشيرها على امتداد القارة الافريقية  
وعبرها .

المؤلف







## تقديم

### بقلم الرئيس جعفر محمد نميري

لعلني اكون بالحديث تكرارا لما كتب عن جنوب السودان ، لو قدمت لهذا الكتاب بالحديث عن خلفيات المشكلة او اسبابها حتى اسلوب تجاوزها ، ذلك لأن لب هذا الكتاب هو حول هذا كله وعنه .

والكتاب — والذي هو بحق جهد فكري هام في مجال الاعلام — لاكبر انتصار يتحقق بارادة خالصة لأبناء الوطن ، هو بذل لا يشكر عليه صاحبه الأستاذ عادل رضا المعلق السياسي بمؤسسة أخبار اليوم القراء ، فالصحفي هو الباحث عن الحقيقة ثم الباسط لها والناقل بكل أمانة الكلمة وصدق التاريخ ، وهو من هذا المنطلق يؤدي واجبا تفرضه عليه مسئوليات مهنته ، ولا ثناء على الفروض .

انه كتاب يأتي بعد انتصار حققناه على صعيد ما كان يسمى (( بمشكلة الجنوب )) ، وهي مشكلة كانت تؤرق مضجع كل وطني يحس بالوطن هموما وآلاما ، ويعاني مع معاناة أبنائه على امتداد أرضه الشاسعة .

لقد كانت الثورة وهي لا تزال خططا وأملا في نفوس من اضطلعوا بها تضع في حساباتها أبعاد مشكلة الجنوب ، كانت تعي أن المسألة ليست ( قضية جنوب السودان ) ، بل هي ( قضية السودان ) ، كانت تدرك أن رخاء الوطن وأستقراره يبدأ من جنوبه ، وكانت تعلم أن الشمال دون الجنوب قدرة محدودة ، وأن الجنوب دون الشمال إمكانيات مهدورة ، فالجنوب هو ذلك الامتداد الجغرافي الهائل لبلادنا تماسا مع خمس دول أفريقية يجمعنا بها الأخاء والمودة . هو جسور من التعاون بيننا وبينها . هو نافذة مفتوحة عليها جميعا ينقل إليها ثم ينقل منها ، يصل بيننا وبينها بالصدقة والعمل ، بالتبادل الثقافي والحضاري .



ذلك الامتداد الطبيعي الهائل من مناخات ( السافانا ) الى مناخات النباتات الاستوائية من معطيات الطبيعة وأشجار ومراع وغابات وكنوز وثروات منها ما هو تحت الأرض ومنها ما فوقها ، قدرات اقتصادية هائلة تنتظر الاستثمار لتعطى وتثمر .

### ● هــو :

تلك القدرة البشرية الهائلة بملايينها الثلاث ، وهى تلك الطاقات الغير مستثمرة ، الايدى العاملة المكثفة بغير عمل وبغير افقاج .

### ● وفوق هذا كله فهو :

ذلك الجزء العزيز الغالى من الوطن . قطعة من الكيان ، لا نرضى لها ان تكون عن باقى الوطن تخلفا ومعاناة — هو السودان الشعب والتراب .

وهكذا كان معنا ونحن نخطط فى كل خطوة نخطوها فى الجنوب ، ان لا نكون كمن سبقنا ارتجالا فى معالجة قضية مصيرية ، وكما فعلنا فى المجالات الأخرى عمدنا الى دراسة واقية لأبعادها واسس وضع حل مناسب لها ووضعنا تصورات مختلفة . تعمدنا متابعة كل أحداث الجنوب بالدراسة والتحليل والتحميص ، كل هذا قبل ان تصبح الثورة واقعا ، ولقد تجمعت من نتاج هذه المتابعة دراسات متعددة حول حلول مقترحة تناوّلناها جميعا بالبحث حتى توصلنا فيها الى ما رايناه أكثر ملائمة ومناسبة .

وهكذا فاتته حين أصبحت الثورة حقيقة واقعة فى البلاد ، كان تصورنا ( لقضية السودان ) واضحا ولهذا السبب فقد جاء بيان ٩ يونيو بعد أسبوعين من تاريخ ميلاد الثورة رجاء يحمل تصورا موضوعيا لأبعادها واسلوب حلها .

ولقد كان حل مشكلة الجنوب بالنسبة لنا يعنى الكثير :

### ● اقتصاديا :

كان حل مشكلة الجنوب يعنى ان الثورة قد قطعت نصف الطريق نحو التقدم بالسودان ، ذلك ان كبريات اسباب التخلف فى السودان كانت مشكلة الجنوب بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، فمواردنا الاقتصادية المحدودة كانت كلها تذهب اعتمادات للعمليات الحربية فى الجنوب . ثم رجالنا من أبناء الشمال والجنوب على حد سواء ذهبوا ضحايا تلك الحرب الفريية التى يحارب فيها الشقيق شقيقه .



## ● هـ :

وهكذا توقفت عمليات التنمية والبناء وتراجعت في سلم الأولويات وظل المكان الأول منها للعمليات الحربية ، توقفت محاولات تغيير الواقع الاقتصادي والبحث عن موارد جديدة للبلاد وحتى الموارد القديمة لم تجد من العناية ، والاهتمام ما ينهض بها ويجعلها أكثر عائدا .

## ● سياسيا :

كان حل مشكلة الجنوب يعني أن الثورة استطاعت أن تخطو خطوة كبيرة على طريق تدعيم النظام السياسي للسودان كله فبعد أن تم تذويب الفوارق القبلية والطائفية والحزبية ، ثم انتهت إلى الأبد تلك الصراعات السياسية والتي لم تكن بأي حال من الأحوال في صالح البلاد ، حتى استرد السودان موقعه بعد أن كان بلدا دون هوية لا يعرف طريق يسلكه ، حتى يتغير منه بارادة الأقوى ، من هنا فإن تجاوز مشكلة الجنوب مع تجاوز مشكلات البناء السياسي كان يعني أن السودان أصبح قدرة وقوة فاعلة ومتفاعلة سياسيا .

## ● عربيا :

كان السودان قبل حل قضية الجنوب بالاسم انتماء له ولم يكن بالقدرة يشارك ويتفاعل . كان الجنوب يستنفذ الطاقات والموارد ، ثم كان يقلص القدرة والمبادرة . كان السودان — بحق — مستغرقا في ذاته ، يرى حجم مشاكله أكبر من حجم قضايا أمته لكبرى . ثم كانت احتمالات الخطر على الأمة العربية كلها واردة مع استمرار الحرب هناك ، ذلك أن الباب كان مفتوحا دون رقيب لإسرائيل بل هي كانت بالفعل محاولة للتغلغل والبقاء على اعتبار أن طعنة الظهر هي أقوى وأغدر أنواع القتل للأمة العربية . وهكذا فإن حل القضية على أساسها المقبول كان بادرة استطاع معها السودان أن يكون بالعمل والفعل تجاوبا مع قضية الأمة ثم كان تفاعلا مع الأحداث والوقائع واستطاع أن يكون ظهرا للأمة العربية وعمقا يفي بالتزاماته وواجباته .

## ● افريقيا :

كانت الحرب في جنوب بلادنا علامات للخطر لاقطار في افريقيا ، ينزح إليها المكتوون بنار الاقتتال فيشكلون عبئا على امكانيات الدول وقدراتها ثم كان السودان أيضا تباعدا عن قضايا القارة وهمومها ، بعيدا عن مسؤولياته نحو أشقاء يخوضون حروب التحرير في غابات افريقيا وأحراشها ثم لم يكن بالطبع قادرا على أن يسهم بالجهد في تطور القارة وتقدمها ، وكان تجاوز مشكلة الجنوب نموذجا أشادت به افريقيا واعتبرته مثالا للحكمة والقدرة الافريقية والتي استطاعت لأول مرة في تاريخ القارة ، أن تعتمد إلى قضاياها تعالجها بقدراتها الذاتية ، ثم كان تجاوز المشكلة قدرة للسودان أصبح بعدها عضوا فاعلا في المجموعة الافريقية ، ثم قطرا رائدا أسهم مع الأشقاء في حل قضايا القارة عبر منظماتها ثم قدم من أجل رواد الحرية كل جهده مالا



وسلاحها ، ثم قدم أرضه تدريجيا للرجال ، وتاهيلا لهم على طريق الاستقلال  
لبنادهم .

### ● عالميا :

كان السودان ذلك القطر الذي بهر العالم بما حققه تفليا على أعقد  
مشكلة واجهها قطر بعد قضية الانفصال في نيجيريا . ولقد كانت دهشة  
للعالم أن يكون السلام بديلا للاقتتال بعد عشرين عاما ، وأن يكون الأخاء  
والوئام بديلا للشقاق . أن يلتقى من حمل السلاح لسنوات وسنوات ليعيدا  
مما ما تهدم طيلة تلك السنوات . . من هنا فقد كان العالم كله عوننا لنا في  
عمليات إعادة الحياة الى الجنوب . كان حجم ما تحقق فوق ماتصور ،  
فكان اندفاعا على طريق تثبيت هذا السلام ، وأصبحنا محط أنظار العالم  
واحترامه وتقديره ومضيينا نحن بالعزم نبني السودان كله .

ولعلنى اختتم تقديمى لهذا الكتاب بأن أقول أن انتصارنا على صعيد  
هذه المشكلة ، لا تعد وقفا علينا ، بل اضافة بالقوة الى الأمة العربية ثم  
اضافة بالقدرة الى القارة الافريقية . . هو جهد على طريق السلام فى  
العالم كله .

فالسودان المستقر صمام أمان للأمة العربية . والسودان المتكامل  
فى وحدته قدرة عمل من أجل افريقيا كلها ، والسودان الرخى عون للعالم فى  
مواجهة سنوات الشدة المقبلة . وهكذا فاننا اثبتنا أن رخاء الوطن يبدأ من  
جنوبه ، وأن قدرة الوطن بشماله وجنوبه .

جعفر محمد نميرى



## كلمة المؤلف

عبر لقاءات متعددة لى مع الرئيس جعفر نميرى استطيع ان اقول ان فكرة الثورة فى وجدان رئيس السودان وان كانت قد تائرت بالشمال فان هدفها الاكبر هو الوصول الى حل حاسم لما كان يجرى قبلها فى الجنوب . ولقد لاحظت ان احاديث الرئيس نميرى عن التحرر الافريقى تبدأ دوماً من الجنوب كذلك فان حديثه عن مستقبل العلاقات العربية الافريقية يركز على الجنوب أيضاً ومن ناحية ثانية فان نظريته لمسار قضية التنمية فى السودان بظموها المشروع نحو تحقيق فائض هائل انما يبدأ مع حل قضية الجنوب .

وغنى عن القول ان المجال الحيوى والذي كان متاحا لاسرائيل ، انتعاشا اقتصاديا ، وتطويقا للأمة العربية ، ومحاصرة للمد العربى داخل افريقيا يؤكد ما يردده الرئيس نميرى دائما من ان السلام فى الجنوب لا ينفصل عن السلام فى القارة الافريقية اتصالا وتحالفا مع الأمة العربية فى نضال مشترك ضد الكيانات العنصرية هنا وهناك .

وليس سرا ان التجربة فى جنوب السودان واحتمالات النجاح فيها قبل حل المشكلة كانت دون الصفر الا ان النجاح الذى تحقق هناك فاق تقدير كل متفائل ، ذلك انه وبغير أية انتكاسات استطاع ان يستمر وان يستقر وان يفرخ فى الجنوب مؤسسات سياسية واجهزة تنفيذية ومشروعات اقتصادية وأهم من ذلك كله الثقة فى استمرارية الحل بعودة مئات الألوف من خارج الجنوب الى داخله حيث يتكاتف جهد الكل تركيزا لنتائج التجربة ثم الانطلاق بها على طريق الرخاء والسلام فى السودان كله . ولعل أهم ما يلفت النظر فى تجربة الحكم الذاتى فى جنوب السودان ان اطراف الصراع المسلح من ( الانيانيا ) والقوات المسلحة السودانية كانا أكثر الأطراف استجابة للحل وهى استجابة تعدت الموافقة وحمايتها الى الانصهار والاندماج فى جيش قومى يجمع اليوم بين صفوفه من كانوا فى الامس القريب مواجهة فى مواقع متصارعة وأصبحوا اليوم اصبع واحد على زناد واحد حماية لوحدة السودان ، سلامه وأمنه وهذا ما يؤكد ان ما كان بين الجنوب والشمال انما كان مفروضا ومفروزا بقوى خارجة على السودان ومصالحه وفى اليوم الذى عاد فيه السودان الى أصحاب المصلحة الحقيقية فيه كان من البديهي ان تتوحد المصالح ويسقط جدار الشك المزروع والمصنوع .

وهذا الكتاب رغم الجهد الذى بذل فيه هو مقدمة لدراسات اعمق وادنى



الى الدقة حول القضية منذ كانت والى ان وصلت الى شواطئ الوفاق .  
ولقد كانت رحلاتي المتعددة للجنوب ثم لقاءاتي بالجنوبيين مواطنين وقيادات  
وقبل هذا كله حماس الرئيس نميرى واهتمامه الدائم برعاية الحل الذى تم  
الوصول اليه بالإضافة الى ما هو مسـمـوع ومهموس حول التحركات  
الاسرائيلية قبل حل القضية وبعدها مدخلا لهذه البداية والتي يمثلها هذا  
الكتاب .

ولسوف اعتر دائما بما أبداه الرئيس هعفر نميرى لى عندما سمع  
عن رغبتى فى اعداد هذا الكتاب من استجابة فورية تمتلئ فيما خصه لى  
من ساعات طويلة لحوار متصل استمعت خلاله بكل الصدق والصراحة  
لتصوره لحل القضية قبل تفجير الثورة ثم اصراره على الوصول الى حل  
حاسم لها فور نجاح الثورة ثم تصوراتـه لمستقبل السودان الموحد بدوره  
المتكامل عربيا وافريقيا ثم بما وجه به لى من تسهيل مهمة اعداد هذا  
الكتاب حيث تعددت زياراتى للجنوب واطلاعى على الوثائق الخاصة  
بالقضية ثم المعاشية المباشرة لتجربة عشرات السودانيين فى مواقع القيادة  
فى الجنوب والشمال . ولقد كان حصيلة هذا كله هذا الكتاب الذى صحح  
الكثير من المفاهيم الخاطئة التى واكبت اعلان الحكم الذاتى للجنوب  
سواء منها ما يتعلق بالتشكيك فى امكانية استمراره وانه بداية انغلاق  
سودانى عن العالم العربى وانفتاح مستغرق فى القارة الافريقية فقط .

وفى جنوب السودان تبدو تجربة الاتحاد الاشتراكى أكثر نجاحا فى بعض  
جوانبها عن شمال السودان . المؤسسات الدستورية تواجه المشكلات  
الطارئة فى حيوية ملحوظة تعكس عراقة تبدو غريبة بالنسبة لحدثة عهدا  
ولعل ما قاله الرئيس نميرى تعليقا على أحداث الجنوب الأخيرة لمراسل  
صحيفة البارى ماتش بعكس هذه الحقيقة ويؤكد مدى الانفتاح  
والرغبة فى تجسيد شعار وحدة التراب السودانى حيث أكد ان الأحداث  
التي قادها عدد محدود من الطلاب فى مدينة ( جوبا ) كاستجابة لشائعات  
مصنوعة حول مشروع قناة ( جونقلي ) قد تمت محاصرتها تماما بواسطة  
التنظيم السياسى فى الجنوب والمؤسسات الدستورية هناك وبدون أى  
تدخل من الحكومة المركزية فى الخرطوم ثم كان اجماع مجلس الشعب  
الاقليمى فى الجنوب بالموافقة على تنفيذ مشروع ( جونقلي ) بعد ذلك دليلا  
على ان حل قضية الجنوب جاوز النجاح المطلوب واستحال الى واقع  
يفرض وجوده حتى بالنسبة للمشكلات اليومية والطارئة . وفيما يتعلق  
بالجنوب والقضية العربية فيكفى فى ذلك ان نسبة كبيرة من القوات  
السودانية الموجودة الآن على جبهة السويس من الجنوبيين والذين يحملون  
السلاح دفاعا عن الحق العربى بالإضافة الى الدور الفعال للرئيس نميرى  
فى تثقية الصف العربى وتوطيد التضامن العربى الافريقى وهو دور  
يؤكد ما يردده الرئيس نميرى دائما من ان النجاح فيه لم يكن متاحا قبل حل  
قضية الجنوب .



ثم يبقى بعد ذلك السبب الأهم والأقوى في إصدار هذا الكتاب وهو أن قضية الجنوب كانت رهانا إسرائيليا طالما حاولت من خلاله أن تصنع منه كيانا فاصلا بين أفريقيا العربية وأفريقيا الزنجية كما كان في وهم إسرائيل ، كيان من الممكن أن يكون بالتطويق محاصرة للسودان ومصر ، ثم والأخطر إمكانية التحكم في إحدى المصادر الرئيسية لمياه النيل من هناك . ولقد انتهت القضية وسقط الرهان الإسرائيلي إلا أن السؤال يظل قائما ألا تحاول إسرائيل من جديد ؟ بل ألم تحاول من جديد ؟! هذا هو السؤال الذي يجب أن يكون مطروحا للأمة العربية والقارة الأفريقية في وقت واحد ، وهو سؤال مطروح للحركة والعمل وليس للتأمل والجمود . ذلك أن النجاح هو وحده الذي يحرك الحاقدين لمحاولة تفويضه والقضاء عليه . وإذا وضعنا في الاعتبار أن الأمة العربية والقارة الأفريقية أيضا لازالت بعض أجزائها تعيش تجربة جنوب السودان فيما قبل الحل فإن القضية النموذج تصبح جاهزة للأهداء للأخوة في العراق والمناضلين في أرتيريا والنوايا الحسنة في اثيوبيا .

عادل رضا







## **الباب الاول**

**اطلالة سريعة على التطور التاريخي  
لمشكلة الجنوب قبل استقلال السودان**







منذ تفجرت الثورة المهدية في السودان في يناير ١٨٨٥ ونجحت في القضاء على النفوذ التركي في البلاد ، واتجهت الثورة السودانية في ذلك الحين تعمل كقوى مستقلة أدرك الاستعمار البريطاني أن استقراره وتحكمه في منطقة الشرق الأوسط بأجمعها يتوقف وبصورة حاسمة على القضاء على استقلال السودان وذلك لاعتبارات متعددة منها :

● مد سيطرته على وادي النيل من مصبه الى منبعه والتحكم في موارده وفقا لمتطلبات الاقتصاد البريطاني ، والمصانع البريطانية والتي تم تخطيط أغلبها على الاعتماد على الموارد الأولية من المستعمرات التي تمثل في نفس الوقت مناطق تسويق الانتاج البريطاني .

● مواجهة التحرك الاستعماري الفرنسي وخاصة في غرب افريقيا والتي بدأت طلائعه في غزو « فاشودة » في غرب السودان .

● مواجهة الاستعمار الألماني والذي بدأ حينذاك يتغلغل داخل القارة الافريقية ، والانتقال بهذه المواجهة من المناورات السياسية الى الالتصاق الفعلي داخل القارة الافريقية .

● احكام السيطرة على السودان وخاصة الاجزاء الجنوبية لتكون عازلا فاصلا بين المستعمرات البريطانية في منطقة شرق ووسط افريقيا وحركات التحرر التي بدأت تجتاح في المناطق الواقعة شمال الصحراء وخاصة منطقة الشرق الأوسط وشمال افريقيا .

وتحقيقاً لهذه الاهداف مجتمعة ، تحركت القوات البريطانية لغزو السودان مشتركة معها قوات عسكرية مصرية بحكم الاحتلال البريطاني لمصر وكان الهدف من اشتراك القوات المصرية وتسمية السودان بالسودان الانجليزي المصري بعد أن تم احتلاله في سبتمبر ١٨٩٨ هدفا مزدوجا :

الاول - أن تتكبد القوات المصرية الخسائر المحتملة لمنع وقوع خسائر في القوات البريطانية المهيمنة على مصر والتي سسبتهمن على السودان أيضا كنتيجة للغزو الناجح .

ثانيا - اثارة روح الشقاق والفرقة ، بل والعداوة بين أبناء وادي النيل والقضاء في وقت مبكر على أي كفاح مشترك محتمل بين الشعبين المصري والسوداني ضد الاستعمار البريطاني بتصوير المصريين كقوى مشاركة في قهر السودان .

وبالرغم من أن هذا المخطط بدأ ناجحاً للوهلة الأولى في تحقيق أهدافه الا أن الأحداث السياسية التاريخية التي تتابعت بعد ذلك أثبتت أن كلا الشعبين السوداني والمصري على وعى كامل بأهداف عدوهم المشترك .



## ( ثورة ١٩٢٤ انذار بارز للمستعمرين البريطانيين )

وما أن تفجرت ثورة أكتوبر الاشتراكية في الاتحاد السوفيتى سنة ١٩١٧ وساهم تفجيرها في كشف المؤامرات الاستعمارية ومعاهداتها السرية وأهمها من ناحية الآثار على منطقة الشرق الأوسط ، معاهدة سايكس — بيكو حتى بدأت بوادر ثورات الشعوب العربية التى خدرتها وعود الاستعمار ابان الحرب العالمية الاولى وهكذ اندلعت ثورة ١٩١٩ في مصر وتلتها بعد ذلك ثورة ١٩٢٤ في السودان بقيادة العسكريين الذين رفعوا شعار تحرير وادى النيل شماله وجنوبه .

ولقد كانت ثورة ١٩٢٤ بمثابة انذار للمستعمرين البريطانيين أدركوا بعدها أن كل محاولات الفرقة بين كفاح الشعبين المشترك لابد وأن ينتهى الى مزيد من التلاحم بفرض تحقيق الهدف المشترك وهو تحرير وادى النيل ، فبالرغم من ابعاد جميع الضباط المصريين الذين اتهموا بالاستعداد للاشتراك في ثورة سنة ١٩٢٤ المسلحة فان عمليات القهر والارهاب التى اتبعتها سلطات الاحتلال البريطانى في السودان ( في صورة اعدام عدد من الضباط السودانيين وارسال عدد آخر الى السجون بما في ذلك المدنيين وخاصة أعضاء جمعية اللواء الابيض ) قد وجدت صدى سريعا وعاجلا في مصر واذا تم اغتيال السير لى استلك في نفس السنة في أحد شوارع القاهرة سارع البريطانيين باستثمار الحادث على الفور فتم توقيع عقوبات مالية على مصر كما تم ابعسااد وجلاء كل وحدات الجيش المصرى من السودان .

## محاولة استثمار الفوارق العرقية بين الشمال والجنوب

وهكذا انفردت الادارة البريطانية بحكم السودان ، الا أنها وبحكم هذه الاحداث وما تشسير اليه من دلائل لم تعد مطمئنة من ثبات مواقع الاستعمار البريطانى في السودان ومن ثم لجأ الاستعمار الى تكثيف مخططة الاستعمارى في السودان عن طريق استثمار الفوارق الثقافية والعرقية والدينية بين شمال السودان وجنوبه لتحقيق عدة أهداف :

أولا : احاطة جنوب السودان بعزلة كاملة تمنع تعامله مع باقى اجزاء القطر الشمالية بحيث يمكن الاعتماد عليه كشق معرقل لاي تحركات وطنية محتملة في شمال السودان .

ثانيا : تحويل جنوب السودان كأداة طيعه في يد الاستعمار البريطانى وذلك باكتساب ولاء أبنائه للثقافة الغربية وبالتالي نفورهم من الثقافة الشائعة والسائدة في شمال السودان .

ثالثا : وضع بذور التعصب الدينى ، المعادى للاسلام والمسلمين



والذين يشكلون أغلبية السكان في مناطق القطر .

وتنفيذا لهذا المخطط وجه حاكم عام السودان في نهاية ١٩٢٩ السير جون وفي السكرتير الإداري لتنفيذ السياسة الجديدة في جنوب السودان والتي تعتمد على الأمور التالية :

● الالتجاء الى العرف والتقاليد في جنوب السودان كمصادر للتحكم بين أبناء الجنوب وإهمال القوانين القضائية الحديثة .

● العمل على تثبيت الحياة القبلية بكل تقاليدھا المختلفة .

● تشجيع اللهجات المحلية .

● العمل على نشر اللغة الانجليزية وجعلها لغة التخاطب والتفاهم بين القبائل المختلفة من قبائل الجنوب .

● محاربة اللغة العربية والاسماء العربية .

● محاربة العادات والتقاليد التي انتقلت من الشمال للجنوب .

● تشجيع العرى ومحاربة الأزياء .

● نقل ضباط الإدارة والحكومة المحلية الشمالية من الجنوب .

● اقضاء التجار الشماليين من الجنوب وتشجيع التجار اليونانيين والاجانب على العمل بجنوب السودان .

وبناء على ذلك فقد تم على الفور ترحيل كل قرى المسلمين من المديرية الجنوبية الى مديريات النيل الأزرق وكسلا ودارفور .

ولقد صدر انذار بريطاني بعد ذلك حدد بموجبـه اليوم الحادي والثلاثين في سنة ١٩٣٠ كآخر تاريخ لاكمال هجرة الشماليين من الجنوب، تلى ذلك بالطبع تعليمات مشددة بعدم السماح للشماليين بدخول المديرية الجنوبية الا باذن خاص يصدر من السلطات البريطانية كما دعمت هذه السياسة بحملة ارهابية شنتها السلطات البريطانية على أبناء الجنوب في صورة عدم الاعتراف بالاسماء العربية بينهم واجبارهم للارتداد عن الدين الاسلامي ، كذلك تم فصل المسلمين الشماليين والذين كانوا يعملون بالبوليس أو أى عمل حكومي آخر .

ومن ناحية أخرى مهدت الإدارة البريطانية لبعض رجال الكنيسة من ذوى الافق المتعصب ليفرضوا سطوتهم بحيث أصبحوا هم المهيمنين على شئون التعليم والذي لم يكن يخرج عن نشر بذور التعصب لديانة ضد أخرى متجاهلين تعاليم الديانة المسيحية السحاء وحتى تتمكن من ازكاء روح التعصب ضد الاسلام والمسلمين أوعزت الى هؤلاء نفر بالقيام بنشاط اجتماعي مكثف وسط الجنوبيين تحت ستار ان مطالبهم المحدودة لا تتطلب اجورا عالية وعلى هذا الاساس تم تخفيض الاجور الى أدنى حد



ممکن فلم یکن أجر العامل الیومی یرید عن ثلاثة قروش ، وبالطبع فان اجراء كهذا أدى بالفعل الى دخول الكنيسة لتقديم أى عون مادی أو عینی للمواطنين للموازنة بین حاجاتهم الضرورية وأجورهم المنخفضة الأمر الذى دعم نفوذ الكنيسة وسيطرتها على العاملين بالقطاع الحکومى فى المدن دون الاهتمام الحقیقى بمهمتها الدينية البحتة ، ولقد ظل هذا المخطط یمارس تأثیره على كل من تعهدتهم بعض الكنائس من الجنوبيین منذ الثلاثینیات وذلك دون وجود مخطط مضاد من جانب الشماليین فى الوقت الذى كانت فيه الحركة الوطنية فى شمال السودان تمضى فى إطار متكامل مع الحركة الوطنية فى مصر وتعددت فى تلك الفترة صور رائعة للكفاح المشترك بین البلیدین خاصة فى عام ١٩٤٨ خلال حرب فلسطين الى أن توج هذا الكفاح بتفجير ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

### ( اتفاقية القاهرة عام ١٩٥٤ )

ولعل فى اتفاقية القاهرة سنة ١٩٥٤ والتي تم بمقتضاها الاتفاق على جلاء المستعمر من السودان ما أكد هذا الكفاح المشترك فكانت الاتفاقية بحق طعنة تحملتها بريطانيا على أمل ردها فى أسرع فرصة ممكنة . ولم یكن هناك ثمة مجال لنقض الاتفاقية الا عن طریق واحد یقیم ظروفنا تسمح بانھیار دستوری فى السودان أو یخلق قلقا داخلیا تهدد الامن بصورة خطيرة الأمر الذى یمكن بريطانيا من عدم الالتزام بنص الاتفاقية .

ولما كان المخطط الاستعمارى الانفصالى فى جنوب السودان یهىء مثل هذه الظروف خاصة وقد كان أفراد القوات المسلحة فى الف—رقة الجنوبية من أبناء الجنوب فقد تحققت هذه الفرصة عن طریق بعضهم حين تفجير التمرد فى الجنوب فى أغسطس سنة ١٩٥٥ الا أن الحكومة الوطنية آنذاك تمكنت وبصورة سريعة من السيطرة على الموقف على أساس أن التمرد یمثل مشكلة داخلیة بحتة وبالطبع ما كان للاستعمار الا یتدخل لولا موقف حكومة الثورة المصرية فى صف السودان .

وبالرغم من هذا كله فان النتائج التى ترتبت على واقعة التمرد فى الجنوب ظلت تتفاقم وتتصاعد بفعل مؤثرات داخلیة وخارجية متعددة یمكن رصدھا من خلال تطور هذه المشكلة بعد عام ١٩٥٥ .

### ( مشكلة الجنوب والحكم الوطنى )

واجه السودان أول عهده بالاستقلال مشكلة متفجرة بالرغم من تمكن القوات المسلحة من القضاء على التمرد بصورته الظاهرة .

فمن ناحية نجد أن أعمال القتل والتفكیل التى واكبت واقعة التمرد وراح ضحيتها العديد من المواطنين الشماليین نساء ورجالا وأطفالا والذین تصادف وجودهم هناك بالإضافة لأعمال السلب والنهب لمتاجرهم



والمشاكل التي ادى الى خلق جو من التوتر وانعدام الثقة بين الجنوبيين  
والشماليين .

ومن ناحية اخرى نجد أن وجود المبشرين وبعض رجال الكنائس بعد  
الاستقلال قد استثمر بصورة واسعة الظروف الجديدة وخاصة بعد أن تمت  
محاكمة المشتركين في التمرد من أفراد القوات المسلحة الجنوبيين . وبرزت  
في ظل هذه الظروف أصوات جديدة حاولت أن تجد مبررات سياسية للتمرد  
يمكن انجازها فيما يلي :

● أن التخلف الاقتصادي والاجتماعي في الجنوب يخلق هوة حقيقة  
بين الشمال والجنوب لا يمكن تجاوزها عن طريق التكامل وإنما يمكن  
حسبها من طريق الانفصال .

● أن مباحثات القاهرة والتي جرت قبل الاتفاقية التي حققت  
استقلال السودان ، لم يشارك فيها الجنوبيون بأى صورة من الصور .

● إن الفروق العنصرية والدينية والثقافية بين الشمال والجنوب  
تشكل عوائق تحول دون تعايش القوميات في الجنوب والشمال في إطار  
سودان موحد .

### الانفصال : هل هو الحل الوحيد ؟

وكان واضحاً أن هذه المبررات رغم ضرورتها من وجهة نظر  
مردديها في الجنوب لا يمكن أن ترقى لمستوى مبررات مقبولة للانفصال  
وذلك للأسباب الآتية :

● فالتخلف الذي يعيش فيه الجنوب تعاني منه الكثير من مناطق  
شمال السودان خاصة الشرق والغرب ولقد كان من نتائج السياسة  
البريطانية .

● كذلك فإن الاستعمار نفسه من خلال عزل الجنوب عن الشمال  
خلال دون اشتراك الاثنياء الجنوبيين في المباحثات مستفيداً من حقيقة  
العزلة عن المعترك السياسي ضد الاستعمار وعدم وجود تنظيمات  
سياسية مستقلة عن الكنائس .

● من ناحية ثالثة فإن الفروق العنصرية بين الجنوبيين والشماليين  
تبدو في حجمها أقل بكثير من الفروق المحلية بين القبائل المختلفة في الجنوب  
وهي خلافات جذرية عرقية واقتصادية أدت الى كثير من الاشتباكات  
والاضطرابات فيها .

وبالواضح أن كل هذه المبررات كان يقف وراءها المخطط



الذى فرضه الاستعمار على الجنوبيين خاصة بين الكوادر ، هذا بالإضافة الى أن حالة التخلف الفظيع الذى خلفه الاستعمار فى الجنوب أدى الى انعدام أى صورة من صور النشاط الإقتصادي أو أى مقومات أخرى يمكن أن تكون مصدرا لدخل قومى يكفل قيام كيان مستقل فى الجنوب الامر الذى يشير بجلاء الى أن مؤيدو الانفصال فى تلك الفترة لم يستوعبوا واقع السودان كله من ناحية والواقع الخاص بالجنوب من ناحية أخرى ، بمعنى أن غياب النظرة الشاملة لتكامل قضية الجنوب مع قضايا السودان كله كانت وراء استقطاب بعض العناصر الانفصالية من الجنوبيين مشكلين بذلك النواة الأولى بحركة الخوارج المنظمة والتي بدأت فى التطور على أساس أرضية سياسية انفصالية .

### الحكم العسكرى فى السودان ١٩٥٨ - ١٩٦٤

#### وجهة نظر فى قضية الجنوب

كانت وجهة النظر التي حركت الحكم العسكرى الذى تولى السلطة فى السودان فى الفترة من نوفمبر ١٩٥٨ الى أكتوبر ١٩٦٤ لا ترى فى قضية الجنوب الا الجانب العسكرى منها ، جماعات مسلحة تواجه بالقوى المسلحة ولقد كان رأى المطروح فى تلك الفترة من جانب حكم الفريق عبود فى الداخل والخارج على النحو التالى :

« فشلت الحكومات الوطنية بعد الاستقلال فى حل كل مشكلات السودان الاساسية وفى مقدمتها مشكلة الجنوب ومشكلات التنمية الاقتصادية والاجتماعية على مستوى السودان كله .

ونظرا لما واجهته هذه الحكومات الحزبية من معارضة قادتها لحركات المنظمات الديمقراطية وجماهير الطلاب والعمال والمزارعين وهي معارضة موضوعية كانت تهدد مصالح الطائفية والاقطاع بصورة مباشرة فقد عمدت القوى الحزبية المسيطرة على الحكم فى سنة ١٩٥٨ الى تسليم السلطة لقادة القوات المسلحة والذين كانوا يمثلون مجموعة متجانسة من حيث الافكار البرالية وعليه فقد مارس الحكم العسكرى رغم صورته من ثورة لصالح الجماهير نفس السياسة التى مارسها من قبل القوى التقليدية بالإضافة الى القضاء على كل صور العمل السياسى ، وهكذا عاد النواب البرلمانيون الجنوبيون الى مناطق ذويهم فى الجنوب بل انطلق بعضهم الى الخارج لمعسكرات اللاجئين ومعسكرات الخوارج رأسا .

ومن هنا برزت مشكلة الجنوب مرة أخرى فى الخارج على أساس انها قضية تحرير خصوصا وقد أستدر قادة الانفصال فى ظل الحكم العسكرى عطف حكومات الدول المجاورة خاصة فى وسط وشرق افريقيا ، الامر الذى شجع الكثيرين من الجنوبيين للهجرة للدول المجاورة وتكون فى



هذه المرحلة ما يسمى « باتحاد المسيحيين بشرق افريقيا » والذي تزعمته مجموعة من قادة الانفصاليين ولقد أدى اصفاء الطابع الدينى على هذا الاتحاد الى استقطاب البسطاء والتمويه على حقيقة نشاطه ، ولكن سرعان ما كشف هذا الاتحاد أهدافه الانفصالية حين برز فيما بعد كمنظمة سياسية تحت اسم « سنانو » حيث انتقل نشاطها الى داخل السودان وعليه فلقد قابلت الحكومة العسكرية هذه الاعمال باجراءات عسكرية مضادة الامر الذى أدى الى تضاعف الهجرة خارج البلاد وتمكن قادة الانفصال عن طريق اللاجئين من تقبل الدعم المادى بما فى ذلك الاسلحة والذخائر وتمكنوا من اقامة مراكز تدريب فى الحدود المتاخية وفي هذه المرحلة اتهمت الحكومة العسكرية أثر بعض النشاط الكنى الموجود داخل جنوب السودان بأنه وراء الدعم المعنوى والمادى بالاضافة الى اتهام المبشرين بالقيام بدور المخابرات لقوات الانفصال برصد تحركات قوات الحكومة ومواقعها . وهكذا قررت الحكومة العسكرية طرد المبشرين القساوسة الاجانب من الجنوب بعد أن رفضوا الالتزام بواجبهم الدينى وقصر نشاطهم على عمليات التبشير وآداء الطقوس الدينية .

ولقد كان هذا الاصرار من جانب بعض القساوسة مقصودا لدفع الحكومة لاتخاذ قرار الطرد وذلك تحقيقا لاهداف تكشفت بعد تنفيذ القرار، اذ سرعان ما نشرت الصحف الغربية ذات الاتجاهات الاستعمارية حملة اعلامية واسعة لمهاجمة السودان واتهامه بأنه يمارس حربا اسلامية ضد المسيحيين فى الجنوب . ولقد تمت هذه الحملة بغرض استدراج عطف الراى العام العالمى خاصة الغربى على الجنوبيين لتقديم العون اللازم ومحاولة خلق راي عام ضاغط فى الدول الافريقية المجاورة لفتح حدودها للاجئين وتقبل فتح حدودها لفلول الخوارج لشن غاراتهم الارهابية .

الا أن هذه الاجراءات لم تضع حد للتصاعد الخطر لقضية الجنوب بإبعادها السياسية والاقتصادية والتي انعكست على السودان كله . . بحيث كان الراى المطروح فى أواخر حكم الفريق عبود أن قضية الجنوب لايمكن أن تحل الا فى اطار حل قضية السودان كله . تلك القضية التى تفجرت فى ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ بالثورة التى أسقطت حكم الفريق عبود ، وكانت أولى الشرارات فيها قضية الجنوب وبغض النظر عن سؤال ملج حول النجاح الذى حققته ثورة أكتوبر بالنسبة لقضايا السودان الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فان الحكومات التى توالى بعد أكتوبر كان لها وجهة نظر طرحتها بالممارسة لمواجهة قضية الجنوب .

### قضية الجنوب وحكومات ما بعد أكتوبر ١٩٦٤

بالرغم من أن محاولات مواجهة قضية الجنوب أثناء فترة الحكم العسكرى لم تسفر عن أى نتائج ايجابية . . بل على العكس أدت الى تفاقم المشكلة وتصاعدها . . بل وبالرغم من أن قضية الجنوب كانت هى الشرارة



التي تفجر بها حكم الفريق عبود . الا أن حكومات ما بعد أكتوبر لم تواجه القضية باعتبارها قضية قومية بقدر ما تصدت لها باعتبارها أداة للمناورات الحزبية والتيارات السياسية التي برزت في الساحة السودانية مرة أخرى بعد الانتصار المرحلي لثورة أكتوبر مباشرة .

الشيوعيون كانوا يرون أن قضية الجنوب هي قضية مؤجلة لا يمكن حلها الا في إطار حل ( التناقص الطبقي ) وانتصار الطبقة العاملة في الشمال والجنوب والتي تستطيع آنذاك بوحدها أن تفرض حلا ( يتعالى ) على النوازع الوطنية والقومية .

التيار الاسلامي كان يرى أن الدعوة الاسلامية ودخولها الى الجنوب ثم انتشارها بعد ذلك سوف يؤدي الى حل القضية في إطار التضامن الاسلامي .

حزب الامة كانت بعض قياداته تعمل في الجنوب وبالطبع كانت قيادات بغير قواعد ومع هذا فلقد كان الظن بالنسبة لحزب الامة بأن وصوله الى السلطة كفيل ( باقطاع الجنوب عن طريق هذه القيادات ) .

الاتحاديون : كانت نظرتهم للمشكلة تتراوح ما بين امكانية التفاوض عنها وبين النظر اليها كقضية يمكن حسمها عن طريق الانتخابات البرلمانية وبروز تيارات جنوبية داخل البرلمان المركزي كخطوة لحل قضية الجنوب

وفي هذا الإطار كانت الدعوة لمؤتمر المائدة المستديرة والذي تجمع حوله ممثلي الاحزاب الشمالية والتنظيمات الجنوبية في حوار كان من المؤكد أن أطرافه لا يتبادلون وجهات نظر وإنما يطرحون وجهات نظر لمجرد التسجيل .

الغريب أن الاحزاب الشمالية في مؤتمر المائدة المستديرة كانت مختلفة حول ما تراه حلا لقضية الجنوب . . كذلك التنظيمات الجنوبية التي اشتركت فيه والتي تراوحت اتجاهاتها ما بين الانفصال الكامل والاتحاد الفيدرالي أو حق تقرير المصير .

وكان من الطبيعي أن يحقق مؤتمر المائدة المستديرة فشلا جديدا يضاف الى اخفاق الحكومات السابقة على أكتوبر في مواجهة قضية الجنوب .

### الوزارة الائتلافية

بعد النجاح المرحلي لثورة أكتوبر تشكلت حكومات ائتلافية تراوحت نسب الاحزاب فيها تدرجا على النحو التالي :

أولا : عددية كبيرة من الوزراء الشيوعيين في حكومة سر الختم خليفة الاولى .



ثانيا : عددية أقل في حكومته الثانية بينما تعادل حزب الامة والوطنى الاتحادى من حيث عدد الوزراء فى هذه الوزارة .

خلال تشكيل وزارة سر الختم خليفة الاولى والثانية تم ضم عدة عناصر جنوبية الى الحكومة وهى عناصر تميزت للمرة الاولى بأنها تمثل التيارات الفاعلة فى قضية الجنوب بينما كان الحل قبل ذلك هو ضم وزير أو وزيرين من الشخصيات الجنوبية المعروفة .

الا أن دخول العناصر الجنوبية الجديدة فى حكومة سر الختم خليفة الاولى والثانية والتي تمثل تيارات فاعلة فى قضية الجنوب لم يكن هذا الضم يمثل قبولا بمنهج مشترك لحل القضية بقدر ماكان انضماما شكليا حاول كل طرف أن يفرض وجهة نظره من خلاله . . . ولهذا فان القرارات التى أصدرتها حكومة سر الختم خليفه بالنسبة للجنوب لم تؤد الى النتائج المرجوة .

### المؤيدون للقرارات كانت وجهة نظرهم على النحو التالى :

١ — ان اعلان العفو العام سوف يتيح الفرصة لاعداد كبيرة من الجنوبيين للعودة الى السودان من الخارج ما يحقق نوعا من الاستقرار فى الجنوب يصلح لتحقيق تقدم نحو تسوية القضية .

٢ — ان ضبط قوات الامن فى الجنوب سوف يحقق هو الآخر جوا من الاستقرار بحيث تنتهى حلقات الفعل وردود الفعل بمضاعفاتها

الخطرة .

### والمعارضون لقرارات الحكومة كانت تحفظاتهم على النحو الآتى :

اولا : ان العفو العام يعنى عودة عدد كبير من النازحين من الخارج وبعودتهم يزداد رصيد القوى العاملة من أجل الانفصال فى جنوب السودان .

ثانيا : ان ضبط قوات الامن ومنعها من الحركة سوف يؤدى الى خلخلة هنية الحكومة المركزية واظهار المسلحين الجنوبيين بمظهر القوة والتي لايقبلها ردعا مناسباً .

وفى هذا الجو . جو المعارضة والتأييد لقرارات الحكومة بالنسبة لقضية الجنوب كانت تصريحات الشماليين والجنوبيين فى الوزارة يبرز فيها الاختلاف أكثر مما ينعكس فيها أى اتفاق فى وجهات النظر ثم كان يوم الاحد الاسود والذى شهدته العاصمة السودانية نهاية لامل الوفاق فى شكله المطروح فى الساحة السودانية .



## الاحد الاسود

في ٦ ديسمبر ١٩٦٤ كانت جموع من الجنوبيين تنتظر في مطار العاصمة السودانية طائفة كان مقررا ان يصل فيها احد الوزراء الجنوبيين من رحلة كان يقوم بها في الجنوب .

كما هي العادة بالنسبة لطائرات المنطقة العربية فان مواعيد اقلاعها او وصولها تتحكم فيه الصدق والظروف . تأخرت الطائرة لبعض الوقت وتملأ المنتظرون وبدأ السؤال بريئا في البداية لماذا تأخرت الطائرة ؟ ثم كانت الاجابات الغير بريئة بعد ذلك والتي تحدثت عن اسقاط متعمد للطائرة أثناء عودتها الامر الذي دفع ببعض الجنوبيين الى العودة الى المدينة في مظاهرات كان طابعها العنف . خلال المظاهرات حدثت اشتباكات بين بعض الشماليين والجنوبيين استمرت لليوم التالي ثم اليوم الذي يليه وبالرغم من ان القيادات الجنوبية مع القيادات الشمالية واجهزة الامن تعاونت جميعا في محاصرة مضاعفات هذا الحادث الا ان يوم الاحد ٦ ديسمبر كان مؤرخا كالاحد الاسود فيما قبل ثورة مايو سنة ٦٩ والاسباب على النحو التالي :

١ — ان ما جرى في هذا اليوم عكس فقداننا كاملا في الثقة لم تنجح مشاركة الجنوبيين في الحكم المركزي في ترميمه .

٢ — ان الخطوات التي تمت كانت تعتبر آخر ما يمكن ان يصل اليه فكر الاحزاب كحل ممكن لقضية الجنوب وبانهياره خلال أحداث الاحد ٦ ديسمبر فان الامل في حل القضية أصبح مرادفا لليأس .

٣ — ان الصدام في يوم الاحد مهما كان محدودا فانه كان صداما بين شماليين وجنوبيين وفي غير الجنوب لأول مرة .

ولقد كانت هذه الاحداث دليلا في واقع الامر على ان الذين توهموا ان قضية بحجم قضية الجنوب بامتدادها عبر سنوات وسنوات يمكن حلها بمجرد تمثيل شكلي لبعض العناصر الجنوبية في حكومة ائتلافية وان قضية الجنوب كأي قضية لها اسبابها وجذورها التاريخية والاجتماعية والاقتصادية والعرقية وبغير تناول عميق لهذه العوامل مجتمعة فان أي حل يصبح اضاعة تتعقد من خلالها المشكلة وليس اسهاما في حلها .

## الحل الثوري لقضية الجنوب في ظل ثورة مايو

اعترفت حكومة ثورة مايو بالفوارق العنصرية والدينية والثقافية بين الجنوب والشمال وعدم التكافؤ بين شطري البلاد الذي خطط له الاستعمار ورعاه مستغلا هذه الفوارق وعاملا على تعميقها . وعلى هذا الأساس بنيت



السياسة الجديدة حيال قضية الجنوب فأولتها الحكومة العناية والاهتمام وأكدت اتجاهها لاعطائها أسبقية متميزة على غيرها من المشكلات القومية الأخرى وذلك بالتخطيط لخلق حركة ديمقراطية اشتراكية في الجنوب تضع يدها على يد الحركة الثورية في الشمال على قدم المساواة والأخاء في سبيل تحقيق الأهداف التقدمية المشتركة التي تتيح لتلك الحركة الديمقراطية تسلم زمام السلطة لوقف النشاط الاستعماري في الجنوب وتهيئة المناخ الطيب لتطبيق الحكم الذاتي الذي قررت حكومة الثورة منحه لذلك الجزء من الوطن . ولكي يتحقق ذلك الهدف فقد قررت الحكومة اتخاذ الخطوات التالية :

- ١ — استمرار ومد فترة سريان قانون العفو العام .
- ٢ — وضع برنامج اقتصادي اجتماعي ثقافي للمديرية الجنوبية .
- ٣ — تعيين وزير لشئون الجنوب ( شكلت بعد ذلك حكومة اقليمية للجنوب في نطاق الحكومة المركزية ) .
- ٤ — تدريب كادر متمرس لتولى السلطة .
- ٥ — انشاء لجنة خاصة للتخطيط الاقتصادي في الجنوب .

ولقد وجدت هذه السياسة ترحيبا وقبولا تاما من قبل المواطنين في الجنوب وفي الشمال على السواء ، تنطلق من مفاهيم ثورية تنبذ المفاهيم التقليدية التي كرستها السياسات القديمة التي مارسها الحكومات السابقة .

ولقد تأكد للجميع أن هذه السياسة ترسم خطوطا جديدة مبنية على الاعتراف بالفوارق العنصرية والدينية والاقتصادية والحضارية وتضع مهام النهوض بذلك الجزء من الوطن على عوائد أبناءه وحدهم دون سواهم .

وتأكيدا لتصميم حكومة الثورة على تنفيذ ما التزمت به سياستها المعلنة وضعت الثورة برنامجا ضخما للتنمية الاقتصادية والاجتماعية — كما سيلي :

### النتائج المباشرة للحل الثوري في الجنوب

كانت استجابة المواطنين في الجنوب والشمال لاعلان الحل الثوري لمشكلة

الجنوب ، والخاصة بمنحه الحكم الذاتي الاقليمي في اطار السودان الاشتراكي الموحد ، استجابة فورية وتلقائية اتخذت الصور الآتية :

أولا — عودة الآلاف من اللاجئين السودانيين والذين سبق وهاجروا من السودان والتجأوا الى الدول الافريقية المجاورة ويقدر عددهم بنحو مليون .

ثانيا - تسليم أعداد كبيرة من المتمردين لأسلحتهم وانضمامهم للمواطنين الذين عادوا الى البلاد حيث ضمتهم جميعا قرى السلام والتي تم تخطيطها بحيث توفر للمواطنين كافة احتياجاتهم بما فى ذلك العمل .

ثالثا - تفهمت قوات الأمن العاملة فى الجنوب لأبعاد دورها كقوات لها رسالة محددة هى المحافظة على الأمن وحماية وحدة تراب الوطن السودانى مع المراعاة الكاملة لأمن اللاجئين فى الجنوب والفرقة الكاملة بينهم وبين المتمردين . هذا بالإضافة لدورها فى دعم القوى العاملة فى مجالات البناء والتعمير كلما كان ذلك ممكنا .

رابعا - شارك المواطنون الجنوبيون بإيجابية قوات الأمن فى مطاردة فلول المتمردين والذين واصلوا حمل السلاح رغم اعلان الحكم الذاتى الاقليمى للجنوب ، وذلك بالإضافة الى نشاط حرس السلاطين المكمل لنشاط قوات الأمن .

خامسا - نشطت المنظمات الديمقراطية واتحادات العمال فى الجنوب واستطاعت ان تستقطب أعدادا كبيرة من المواطنين الجنوبيين الذين شاركوا جديا فى نشاط هذه المنظمات الذى تبلور فى دعم عمليات التنمية الاجتماعية والاقتصادية فى الجنوب الى جانب قيامهم بالتوعية السياسية لشرح جوانب مشكلة الجنوب وأهداف ثورة مايو الاشتراكية ومنجزاتها وخاصة ما يتعلق منها بقضية الجنوب .

سادسا - وفد الى السودان من الخارج أعدادا كبيرة من المثقفين الجنوبيين والذين كانوا قد غادروا البلاد فى عهد الحكومات الرجعية وتم استيعابهم جميعا فى وظائف تتناسب مع مؤهلاتهم ، وقد أبدوا جميعهم الرغبة فى العمل فى الجنوب وقد اجيبت هذه الرغبة على الفور .

سابعا - تم اختيار أصلب العناصر وأكثرها كفاءة سواء من الشماليين أو الجنوبيين للعمل فى الجنوب ، وذلك لتجاوز أية معوقات قد تعترض المخطط الموضوع لتنمية الجنوب اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا .

ثامنا - تم السيطرة على الأمن فى جميع مناطق الجنوب الامر الذى مكن السلطات من اعادة تشغيل كثير من المرافق التى كانت معطلة ، واعدت فتح المدارس واصلاح الجسور والطرق وتكثيف الخدمات الصحية والاجتماعية فى الجنوب كما اعيد استثمار المشاريع الزراعية والصناعية فى الجنوب وبصورة موسعة .

ونتيجة لهذا النجاح الذى تعدى هذه الصور الايجابية المشسار إليها ، فلقد كان على حكومة الثورة فى السودان أن تجرى اتصالات دبلوماسية على أعلى المستويات مع الدول الافريقية المجاورة والتم، أعلنت



ترحيبها بسياسة الحكومة في الجنوب وتم التوصل الى اتفاقيات بخصوص الحدود ومشاكل اللاجئين ، وقد حققت هذه الاتصالات نجاحا كبيرا ومن هنا السودان ، وقد حققت هذه الاتصالات نجاحا كبيرا ومن هنا فقد تصاعدت حملات الاستعمار ضد هذا الحل للأسباب الآتية :

١ - كانت ثورة مايو الاشتراكية بكل ما تمثله من مخاطر على أطماع الدول الاستعمارية في افريقيا تمثل تهديدا مباشرا لمخططات تلك الدول سواء داخل السودان أو خارجه ومن ثم فقد كان دعم الاستعمار للرجعية المحلية والذي بلغ ذروته في مؤامرة الهادي عبد الرحمن والتي تم دحرها بشكل حاسم يمثل محاولة أولى من جانب القوى الاستعمارية دليل فشل هذه المحاولة بنقل المخطط الاستعماري الى الجنوب ليلقى بكل ثقله على عناصر المرتزقة الاجانب بدعمهم بالسلاح وبالمال وبالمعدات وذلك بأمل ان يؤدي نشاطهم التخريبي الى عرقلة انطلاق الثورة نحو التعمير والبناء في الشمال وفي الجنوب وبالتالي يسهل عليهم تقويض النظام الثوري بعد ان ينجح استنزافه بصورة كاملة من خلال مواجهته لنشاط هؤلاء .

٢ - ولما كان من أهداف ثورة مايو الاشتراكية المعلنة اعادة بناء القوات المسلحة لتنظيمها وتدريبها وتسليحها وما سوف يترتب على ذلك من تكوين قوة عسكرية ضاربة تدعم الخط التحرري للثورة في العالمين العربي والافريقي ، لذلك فان تصعيد مشكلة الجنوب وفق المخطط الاستعماري كان يضمن للعدو عرقلة اعادة بناء القوات المسلحة لانها سوف تنشغل عن هذه المهمة بالتصدي لنشاط المتمردين .

٣ - لما كانت الصهيونية والاستعمار العالمي يدركان بشكل واضح ان السودان يمثل عمقا استراتيجيا للثورة العربية وللقاتلة المقاتلة على جبهة قناة السويس على وجه الخصوص ولما كان السودان قد أعلن بصورة واضحة انه يقف في الخط الاول مع اشقيقه في مصر ضد العدو الصهيوني ، لذلك كله ركزت اسرائيل والولايات المتحدة الامريكية على عصابات من المرتزقة الاجانب باعتبار ان نشاطها في الجنوب سوف يقلل الى حد ما من فعالية السودان في العربي ، كما قد يقلل من خطورة دوره في المواجهة مع العدو الاسرائيلي .

ولهذه الاسباب مجتمعة تضاعف دعم اسرائيل على وجه الخصوص للمرتزقة الاجانب للعمل ضد النجاح الكبير الذي تحقق في الجنوب وعملت على دعمهم بالسلاح والمعدات وتزويدهم بمجموعة من المستشارين والخبراء في حرب العصابات .

واذا أضفنا الى ذلك أن أطول فترة مشكلة الجنوب والتي امتدت لأكثر من

سبعة عشر عاما كاملة قد كونت عناصر قليلة من المرتزقة عاشت طوال هذه المدة على السلب والنهب بكل صوره وبين أبناء الجنوب أنفسهم فلقد بدأ ضعبا عليها أن تستثمر جهودها بعد هذه الفترة في أعمال ذات طابع انتاجى سلمى ومن ثم فلقد لفظ أبناء الجنوب الشرفاء هذه العناصر المرتزقة وكان من الطبيعى أن يتم استقطابهم من قبل القوى الاستعمارية واسرائيل وحاولت التستر بهم على ما يجرى فى الجنوب رغم كل التطور الذى طرأ على الجنوب بعد اعلان الحل السياسى للمشكلة والذى نال تقبلا موضوعيا من جانب الاغلبية العظمى من الجنوبيين كما سبيل خاصة بعد الاتفاقية التى وقعت فى اديس أبابا فى مارس ١٩٧٢ والتى انتهت اقتتال ١٧ عاما بين الأشقاء وعاد مئات الالوف منهم الى الجنوب واستقروا وأخذت الحضرة مكانها بديلا للارض الجرداء المهملة وبدأ العمل فى كل مكان فى الجنوب يتسابق مع الامل والمنى .



## **الباب الثانى**

**جنوب السودان**

**الارض ٠٠٠ والسكان**





## ( الأرض )

ان حلقة الاتصال بين الشمال والجنوب ، وبين الجنوب ومصر والبحر الأبيض المتوسط هو وادي النيل الذي له الدور الهام في تاريخ الاقليمين وحياتهما ، وفيما يجمعهما بالدول المجاورة والقارىء لخريطة السودان يجد أن السودان الشمالى من الحدود المصرية حتى شمال الخرطوم مناطق صحراوية وشبه صحراوية لا تتجاوز المناطق الصالحة للسكن ضفتى النيل وبعض المناطق الشرقية .

والقسم الاوسط من السودان اقليما شبه صحراوى من أقاليم «السافانا» ويجرى في هذا الاقليم النيلان الأزرق والأبيض حيث تقسع بينهما منطقة الجزيرة التي تشتهر بزراعة القطن ومديرية كردفان أيضا تقع في هذا الاقليم حيث تقطنها القبائل الرحل وشبه الرحل من «الكبابيش» «والبقارة» التي تعتمد على تربية الجمال والأبقار وكذلك قبيلة النوبة وغيرها من مزارعى «دارفور» شبه الرحل الذين نمتاز منطقهم بوجود «جبل مره» الرائع المناظر حيث أشتهر هذا الاقليم باعتدال الطقس وغزارة الأمطار والأراضي الخصبة .

أما مديريات بحر الغزال والاستوائية وعاالى النيل فتكون ثلاثهما السودان الجنوبي الذي يقع جنوبى خط عرض ١٠ ويمتد الى شمال بحيرة البرت في أوغندا . وتبلغ مساحة الاقليم الجنوبى ٢٥٠.٠٠٠ ميل مربع وهى نحو ربع المساحة الكلية للسودان . ويختلف الجنوب عن الشمال فى أنه يقع داخل اطار المنطقة المدارية حيث تسقط الأمطار فى الفترة بين شهرى فبراير ونوفمبر وتبلغ أقصاها فى أغسطس .

وقد أدت الظروف الطبيعية والجغرافية وانتشار المستنقعات والسدود فى الجنوب الى ايجاد بيئة تصعب فيها الحياة بالاضافة الى ايجاد أنماط متعددة لحياة السكان ، فهناك الذين يعيشون على تربية الحيوان وغيرهم من الذين يعيشون على المحصولات الزراعية أما صيد الاسماك وأقتناص الحيوان وجمع الفاكهة البرية والنبات البرى فهى من أشكال النشاط الاقتصادية التكميل فى المنطقة بأسرها .

## السكان

واذا نظرنا الى قاطنى جنوب السودان فنجد أنهم مختلفون عن الشماليين حيث لا تسود بين قاطنى الجنوب حضارة متجانسة . وتبعاً للغة والتكوين الجسدى والاصل التاريخى فقد قام علماء الاجناس بتصنيفهم الى ثلاث مجموعات رئيسية :

(أ) النيليون : ويتألفون من « الدينكا » و « النوير » و « الشلك » و « والاذواك » . وهم يعيشون في الاغلب في مديريتي بحر الغزال واعالى النيل ويعتمدون على الزراعة وتربية الماشية التي تمدهم باللبن ومواد الوقود والجلود التي تستخدم أيضا كفراش للنوم ، وهى الاداة التي تيسر لهم الزواج . وتعتبر « الدينكا » اكثر المجموعات تحضرا بينما نجد أن الجانب الاكبر من الانواك يقيمون في اثيوبيا .

(ب) النيليون الحاميون : وهم « المورلى » و « المدينجبا » و « البويا » و «التوباسا» و «اللاشوكا» ويفهم معظمهم فى المديرية الاستوائية وهم كالاشواك لا يعيشون فى السودان وحده بل يعيش أقسام منهم فى يوغندا وكينيا .

(ج) القبائل السودانية : وتتألف من القبائل العديدة الصغيرة الحجم والتي لا تسكن المناطق الغربية والجنوبية الغربية من جنوب السودان واهم قبائل هذه المجموعة هى « الزاندى » .

وهناك قبائل أخرى مثل بالى ومندارى وأينا جورا وفاجولو ومورو ولولويا وهى خليط من المجموعات النيلية والنيلية الحامية والسودانية - وليس بينها قبيلة لها من القوة ما يجعلها نواة تتجمع حولها القبائل الاخرى أو ما يمكنها من السيطرة عليها أو احتوائها .

وكان لفوارق السلالة بين القبائل أثره الواضح فى استخدام لغات متعددة ، وأختلاف فى المؤسسات السياسية والدينية . والمجموعات اللغوية الرئيسية هى اللغات النيلية واللهجات المتفرعة منها كلهجة الدينكا والنوير والشلك والاكولى والبورون ، ومجموعة اللغات البارية واللهجات المرتبطة بها مثل بارى ولاتوكا ، ومجموعة اللغات الديدنجية وتشمل ديدنجا وتوبوسا ، ومجموعة اللغات المادية وتشمل مادي ومورو ، ومجموعة اللغات الأزدية والغربية وتشمل موبنى وكريش وليس بين هذه اللغات لغة سائدة بعينها ، وأكثر اللغات انتشارا اليوم فى الجنوب هى العربية والعربية الدارجة .

## الدين

أما إذا نظرنا الى الناحية الدينية فنجد أن الوثنية لاتزال منتشرة بين أغلب السكان حيث تؤمن اغلبية الوثنيين فى الجنوب بوجه عام بوجود آله قدير يطلق عليه « الدينكا » أسم « وينجديت » أو نيالنج ، أما الشلك فيطلقون عليه اسم « جودك » . وتعتقد هذه القبائل بأن أرواح الأسلاف تلعب فى حياتها اليومية دورا أكبر من دور آلهتها . ويسود الاعتقاد بينها أيضا بأن أرواح الأسلاف تتجسد فى الاجيال المتعاقبة من صانعى الأمطار والرؤساء الروحيين ، وهم أشخاص يجمعون عادة بين السلطتين الروحية والدينية .



وفي العهد التركي المصري والذي استمر من ١٨٢١ م حتى ١٨٨٣ فقد فتح السودان شماله وجنوبه أمام نفوذ الاسلام والمسيحية وقد اعتنق الاسلام بعض القبائل ، وقد اتخذ بعض زعماء القبائل العادات العربية ومن ثم كانت هنالك لهجة عربية مختلطة غير أن بعض القبائل النيلية استمرت تقاوم الاسلام واللغة العربية لاعتقادها بأن ذلك مرتبط بالحكومة وتجار العبيد الذين اشتهروا في ذلك العهد .

وقد اهتم المبشرين المسيحيون كثيرا بنشر المسيحية في ذلك الجزء من السودان وما جاوره من بلاد افريقيا حيث تبينوا أهمية السودان وموقعه ومرور الطرق المؤدية الى جنوب افريقيا وغربها وشرقها عبر اراضيه . وقد ازدادت تلك الأهمية لسعيهم للاستيلاء على الكنيسة القبطية مملكة اثيوبيا المسيحية .

وقد اهتمت أوروبا بالسودان وقضاياها وكان ذلك واضحا في الكتابه عن النيل الابيض بأنه الأداة الطبيعية والعملية للوصول الى اراضى شرقى افريقيا الخصبة والمزدهمة بالسكان . ومن ثم أصبحت للجنوب أهمية خاصة لدى المستكشفين والمبشرين والتجار . وكانت آثار ذلك ان انتشرت الاحاديث عن الثروات الهائلة التى يحويها الجنوب . وعندما ارسل اسماعيل خديوى مصر حملته الى السودان كان قلق الاوربيين بالغاً حيث كان من نتائج ذلك أن بدأ التزاحم على أسواق افريقيا وأنشئت جمعية انكونغو الدولية عام : ١٨٧٦ م بهدف تنمية الحضارة والتجارة فى افريقيا .

وباحتلال القوات البريطانية لمصر فى : ١٨٨٢ كان الطريق سهلا للتدخل المباشر لاحدى الدول الاوربية فى شئون جنوب السودان ومهد السبيل أمام التجارة الأوربية والديانة الأوربية أيضا . ونتيجة لقيام الثورة المهدية وانتصارها على الانراك المصريين فى ١٨٨٤ فقد تأخرت تلك الاحداث .

### العهد التركى المصرى

واذا نظرنا الى الأحوال فى العهد التركى المصرى والذي تميز بفساد الادارة وعجزها فقد ازدادت حياة القبائل ضعفا وتفرقت جماعات الجنوب وتمزقت ولم يتحقق فى الجنوب ما تحقق فى الشمال من الوحدة والأمن .

ولما كانت ثورة المهدي ضد الحكم التركى المصرى فقد قام معه كثير من قبائل الجنوب كالشماليين رعاوضوا ذلك النظام ووقفوا ضده وفى عام ١٨٨٤ سيطر المهدي على مديرية بحر الغزال وقد اضطر لسحب قواته ثم قام بالغزو الثانى للجنوب فى ١٨٨٨ م . وقد قاوم الجيش المصرى والبلجيكي المتمركز فى الكونغو هذا الغزو ونتيجة لذلك فقد انسحب انصار المهدي من الرجاف فى ١٨٩٧ م . وعراقبت تلك المنطقة فيما بعد « باقليم لادو » وبسط البلجيكيون سلطانهم عليها . وكان الاثر الذى تركته المهدية فى الجنوب هو تدمير الادارة

والسلطة في ذلك العهد حيث أدى ذلك الى توقف أى تقدم كان قد حققه الاسلام أثناء تلك الفترة وخلال فترة التبشير المسيحي .

وبهزيمة انصار المهدي في ١٨٩٨ في معركة أم درمان أنتقل مصر جنوب السودان من الأفريقيين الى الأوربيين . ومهد الطريق مرة أخرى لتغلغل التجارة الأوربية والمسيحية الى الجنوب . ومن هنا كانت البداية لدخول هذا الاقليم في مجال السياسة الدولية والتسابق بين دول أوربا على الاراضى الافريقية لانتقال الحكم فيه الى الادارة الانجليزية المصرية .

وفي يناير ١٨٩٩ وقعت اتفاقية الحكم الثنائي بين مصر وبريطانيا لحكم السودان . وقد كان اهتمام الجميع كبيرا بهذا الاقليم حيث يمر النيل الابيض عبر اراضيه وهو الموصل الوحيد بين الشمال وشرق أفريقيا . ولما كانت الحاجة ماسة للمياه في مصر في ذلك الحين لارتباط التنمية بتوفرها فقد بدء في انشاء خزان سنار . ومن هنا ازدادت أهمية السودان الجنوبي بالنسبة لمصر .

### الاستقرار والتمرد

وقد واجهت الادارة الجديدة مشاكل متعددة كانت اكثرها الحاحا العمل على استقرار النظام الادارى واخضاع القبائل المعادية . ولم تبدأ الخطوات التنفيذية لتحقيق ذلك الا عام ١٩٠٠ حيث أنشئت عدة مراكز تولى ادارتها ضباط بريطانيون وكان التملق وتقديم الهدايا أحيانا واستعراض القوة وعرض الحماية والتهديد وفتن القبائل المختلفة واثارة العدوان بينها هو طريق أولئك الاداريين لكسب ثقة الافريقيين من أبناء الجنوب تدريجيا . ولم يكن ذلك بالعملية السهلة الاخضاع تلك القبائل حيث كانت تنظر الى النظام الجديد كمنظرتها للاتراك المصريين والحكم المهدي وكانت أكثر القبائل مواجهة لهذا العهد هي النوير التي أرسلت حملة لاختضاع أحد زعمائها ويدعى « موت دونج » في عام ١٩٠٢ وتوالت بعدها الحملات التي استمر ارسالها حتى ١٩٢٨ حيث خضعت نهائيا في أوائل الثلاثينات . وبالإضافة الى النوير فقد وجهت حملات لغيرهما من القبائل كاتوك وينكا في ١٩٠٧ وضد البير في عام ١٩٠٨ وانتويج ونكا في ١٩١١ وفي عام ١٩١٢ كانت ضد البير ، وضد الانواك في ١٩١٤ ، وضد اللاتوكا كانت في ١٩١٦ أما في الفترة من ١٩١٨ حتى ١٩٢٣ فقد وجهت الحملات ضد الالباب دنكا ، وضد التوبوسا والديدنجا فقد كانت في ١٩٢٨ م . وقد أرسلت بعض الوحدات العسكرية الى مديرية أعالي النيل لقمع القتال الدائر بين بعض القبائل في عام ١٩٣٠ - ١٩٣٢ .

ولما كان اقرار النظام والقانون وسلطة الحكومة يتطلب زمنا طويلا ونظرا لذلك ونتيجة لقة الموارد المالية والبشرية فقد تأخر التقدم الاقتصادي والاجتماعي في الجنوب في الوقت الذي مضى فيه ذلك التقدم في الشمال الذي



كان متقدما عن الجنوب عند وقوع الاحتلال . وقد ازداد ذلك التقدم حتى بعدت الشقة واتسعت الهوة التي تفصل بين اقليمى البلد الواحد الشمال والجنوب .

وبالرغم من أن السياسة الرسمية قد أعلنت منذ الوهلة الاولى تأييدها للسلطات التقليدية وأعطائها الفرصة لتحكم بموجب العرف السائد ونتيجة لتمرکز السلطة الادارية في يد حكام الاقاليم الانجليز الذين عملوا على تحطيم سلطة زعماء القبائل لينفردوا بالحكم ويتمكنوا من ايقاف الحروب القبلية فقد انقسم الاقليم الجنوبي الى وحدات ادارية ثلاث بحر الغزال ، مونجالا وفاشودة التي عرفت بمديرية أعالي النيل فى عام ١٩٠٢ بعد تعديل بعض الحدود الادارية .

### الادارة الانجليزية وتجارة الرقيق

وكان لابد للادارة الانجليزية المصرية ان تقدم للعالم الخارجى اسبابها لاعادة فتح السودان وقد كانت تجارة الرقيق أهم تلك الاسباب . وكان من الطبيعى أن تواجه الحكومة السودانية المشكلة كما وجدها آنذاك حيث كانت تجارة الرقيق قد توقفت قبل ذلك بزمن ليس بالقصير . وكان على الحكومة ان تعترف بنظام العبودية أو تحرر العبيد وقد عملت على تحرير العبيد وكان ذلك سيؤدى الى تدهور الاقتصاد وهجر المزارع على ضفتى النهر وفقد كثير من قطعان ماشية الغرب الرحل هذا الى جانب موت الالاف من الابرياء البسطاء . وكان الرجال والنساء الذين يتم تحريرهم سيتحولون الى خطر على الامن العام والاخلاق العامة حيث لا يتوفر لديهم الاحساس بالالتزام الجماعى .

وقد اتخذت الادارة الاجراءات الفعلية بحل هذه المشكلة والتي تتلخص فى ايجاد العمل ومنع نظام الرقيق كما طبق فى بعض بلاد افريقيا التي خضعت للادارة الاوربية والسماح للعبيد بترك سادتهم اذا رغبوا فى ذلك بالاضافة الى حرمان السادة من حقهم القانونى فى استخدام القوة لاعادة العبيد الذين يريدون تركهم .

### غارات القبائل فى مختلف المناطق

وبالرغم من القضاء على تجارة الرقيق كتجارة منظمة فان غارات القبائل على بعضها البعض فى مختلف المناطق واختطاف بعض افرادها لنشغيلهم بالقوة لم ينته حتى آخر الحرب العالمية الاولى .

وكان لحديث سيز أ . كادرجان ممثل بريطانيا فى مجلس الأمن بتعرض الجنوبيين لغارات الشماليين والاختطاف والبيع فى سوق العبيد حتى دخول البريطانيين للسودان اثرها الضار فى احياء ذكريات الماضى فى النفوس التي تسعى لاقامة علاقات جديدة بين أبناء البلد الواحد . ولما لم

توضع أى مشاريع للتنمية ولم تقدم لإبناء الجنوب أى خدمات تذكر وحينما كان اهتمام الحكومة كبيرا بسيادة القانون والنظام فقد تركت الإدارة أمر الخدمات الصحية والتعليمية لجمعيات المبشرين .

وقد اهتمت جمعيات التبشير المسيحية بالسودان كثيرا وكتبت الى كيتشنر فى الخرطوم تدعوه الى فتح أبواب البلاد كلها شمالا وجنوبا أمام نشاط المبشرين المسيحيين حيث كان من العوامل التى شجعت على ذلك الاهتمام بأحياء ذكرى الجنرال جوردون الذى كانوا يرون فيه بطلا مسيحيا ضحى بحياته من أجل القضاء على تجارة الرقيق ، وقد شجع على ذلك أيضا التعصب الدينى ضد الاسلام الذى زعموا انه يشجع تجارة العبيد بالإضافة الى تحديه للمسيحية .

وبالإضافة الى تلك الجمعيات والارسلاليات التى كانت تتكلم الانجليزية فقد تم فى عام ١٩٠٠ تشكيل ارسالية لطلائع العاملين بالسودان لنشر المسيحية فى غرب افريقيا والسودان . وقد أنشئ فى أسوان مركز للتبشير بين قبائل البشارية شمال شرقى السودان وبين أبناء دنقلا ، وقد عرفت تلك الارسالية بالارسالية المتحدة للسودان حيث وصل الدكتور كارل كوم أحد أعضائها النشطين السودان فى عام ١٩١٠ وتكون حكومة السودان قد تعرضت للضغط من جميع الجوانب لتسمح بعمليات التبشير النشطة وكان من نتائج هذا الضغط أن سمحت الإدارة للمبشرين بالعمل بالجنوب ومن ثم كان النشاط التعليمى للمبشرين فى ذلك الاقليم .

ولما ادخل ذلك على منهج التعليم الحكومى ونفذت تلك السياسة فى كلية غردون فقد اصبحت الكلية أداة لتسليح شباب السودان بأسلحة الجامعة الازهرية لقيام حرب دينية تحت لواء الاسلام تغزو افريقيا لتقضى على الحضارة المسيحية حيث كان من آثار ذلك أن تحول جنوب السودان الى ساحة للقتال ضد الاسلام وضد لعرب وضد السودانيين الشماليين بسبب توجيه التعليم فى الاقليم الجنوبى لخدمة نشرالمسيحية فقط ومنع انتشار الاسلام فى تلك الاصقاع النائية .

### خطوات أخرى لفصل الجنوب عن الشمال

ولم تكتف الإدارة البريطانية بالاجراءات السابقة فحسب بل اتخذت قرارات أخرى كان لها الاثر الواضح فى السير بخطوات لفصل الجنوب عن الشمال فتقرر أن تكون اللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية فى الجنوب واعتبار يوم الاحد عطلة رسمية هذا الى جانب أبعاد الحامية الشمالية التى كانت لها أهميتها فى ربط الاقليمين لتحل محلها القوات الاستوائية . وكان ذلك بين عامى ١٩١٧ — ١٩١٨ م ثم صدرت لائحة جوازات السفر وتصاريح المرور فى عامى ١٩٢٢ والتى جعلت للحاكم العام الحق فى اعتبار أى جزء من السودان منطقة مغلقة بالإضافة الى عدم حضور حكام الجنوب للاجتماعات التى تعقد سنويا ويحضرها جميع حكام المديريات



وزيادة على ذلك فقد اعتبرت الاستوائية وأعلى النيل من المناطق المغلقة ، وبالنسبة للتجارة فقد صدر مرسوم تصاريح التجارة عام ١٩٢٥ والذي حرم على أى شخص ممارسة التجارة فى الجنوب الا بعد حصوله على تصريح بذلك ، حيث كان القصد من ذلك استبعاد المصريين والشماليين من الجنوب خشية قيامهم بأعمال تتنافى وما تريده الادارة لاتباع السياسة المعلنة .

وما أن حل عام ١٩٢٨ حتى سار تنفيذ سياسة فصل الجنوب عن الشمال بخطى حثيثة نتيجة لعوامل خارجية وداخلية حيث تغيرت نظرة الدول الاستعمارية تجاه البلاد المستعمرة واهتمت بتطوير المجتمعات المتخلفة ، وازداد نشاط الارساليات فى مجالات التعليم والتبشير والخدمات الطبية وكثر قلق الادارة البريطانية بسبب نمو الروح الوطنية لدى المواطنين خاصة بعد الحرب العالمية الاولى حيث كان انتشار الوعى الوطنى متمركز فى الشمال لارتباط الحركة الوطنية بنمو الوعى القومى بمصر ، وتكونت قيادة مناضلة بين الضباط وطلبة الكلية الحربية بالخرطوم يتزعمهم على عبد اللطيف .

ولما ارتبط الوضع السياسى بالسودان بالقضية المصرية فقد افزع ذلك الادارة البريطانية واتجهت الى احباط أى محاولة الارتباط مصر بالسودان وأصبحت تؤيد زعماء القبائل والجماعات التى رغبت فى فصل السودان عن مصر وصارت سياسة الادارة البريطانية الرسمية بعد نهاية الحرب العالمية الاولى هى نظام الحكم غير المباشر وعلى هدى ذلك فقد كان انشاء وحدات قبلية فى الجنوب تستند على العرف والتقاليد والتراث الفكرى القبيلى فى تنظيمها هذا الى جانب التخلص من الاداريين والموظفين والمهنيين الشماليين بالتدريج ليحل مكانهم الجنوبيون بالاضافة الى استخدام الانجليزية عند تعدد استخدام اللهجات المحلية .

وقد نفذت سياسة الانفصال هذه والتى وضعت عام ١٩٣٠ بصورة ايجابية وحظيت بموافقة الاداريين البريطانيين فى الجنوب الذين اطمأنوا لتنظيم الشئون الادارية واتبعت سياسة تطوير افريقيا كمسار ارادوها من قبل . واستمر تنفيذ هذه السياسة بحماس شديد باتخاذ القرارات والاجراءات التى تتعلق بالنواحى الاقتصادية والسياسية والادارية .

لا يمكن أن يقال بأن تنفيذ هذه السياسة قد سار كما كانت تتوقع الادارة البريطانية حيث اعترف اداريو مراكز المنطقة الغربية فى بحر الغزال والتى تسمى الآن بالمديرية الاستوائية بأنه كان هناك عجز واضح خلال سنوات عشر فى ايجاد من يقومون بشغل المناصب الادارية من أبناء الجنوب هذا الى جانب أن الارساليات كانت تشجع الجنوبيين على اتخاذ أسماء ومثل مسيحية فى الوقت الذى كانت تسعى فيه الادارة على جعلهم يتمسكون باسمائهم وعاداتهم القبلية .

وعندما رحل التجار الشماليون وحرّم الكثيرون منهم من تصاريح

العمل ولما لم يكن في الامكان أن يحل محلهم تجار من أبناء الجنوب فقد تعرضت التنمية الاقتصادية في الجنوب لتدهور ملحوظ نتيجة لتطبيق تلك السياسة .

### مؤتمر الخريجين عام ١٩٣٨ ينتقد سياسة الحكومة في الجنوب

ومن ناحية أخرى كان أبناء الشمال ينظرون الى هذه السياسة الجديدة ازاء الجنوب بعين الريبة ولم يقفوا ساكنين بل طالب مؤتمر الخريجين الذي انعقد عام ١٩٣٨ وانتقد بمذكرة سياسة الحكومة التعليمية في الجنوب — طالب بتوحيد نظام التعليم في البلاد ومساعدة التجار الشماليين وازالة العقبات امامهم ، كما طالب المؤتمر في عام ١٩٤٢ عندما رفع مذكرة ثانية بتوحيد مناهج التعليم في شمال البلاد وجنوبها الى جانب مطالبته بالغاء الاعانة المالية للمدارس الارشالية .

ومع ذلك فقد نفذت سياسة فصل الجنوب عن الشمال حتى عام ١٩٤٥ حيث كانت السياسة المتفق عليها هي العمل على أساس أن الجنوبيين زنوج افارقة مختلفون عن الشماليين حيث يجب أن تنفذ التنمية الاقتصادية والثقافية على أسس افريقية وزنجية وليس على أسس عربية . ولم تعلن هذه السياسة على الرأي العام تفاديا لاجراج الادارة مع مصر شريكة البريطانيين في الحكم الثنائي التي لم يكن لها رأى في ذلك ولم تخطر بتنفذها .

وعندما بدأ في تنفيذ هذه السياسة وتطبيقها تعرضت لهجوم عنيف وانتقدتها جهات رسمية وشعبية خاصة في الفترة ما بين ١٩٤٢ — ١٩٤٥ وكان لمذكرة مؤتمر الخريجين الثانية في ١٩٤٢ اثرها في ذلك وعبرت عن رغبة الشماليين في تحقيق رابطة قوية مع الجنوبيين ، ولما قررت الحكومة تكوين مجلس استشاري بالشمال عام ١٩٤٤ ازدادت مخاوف الشماليين بسبب ابعاد الجنوبيين من المجلس وزيادة على ذلك وحينما شرع في انشاء الجمعية التشريعية بدلا من المجلس الاستشاري فقد ضاق الشماليون ذرعا بهذه السياسة وأدت هذه التطورات الى التفكير في اتباع السياسة القديمة

ولما تزايدت الصعوبات أمام المحاولات الرامية للانفصال وازدادت الحاجة الى توظيف الشماليين في مشاريع التنمية في الجنوب وتيسرت المواصلات بين الشمال والجنوب هذا الى جانب أن اقاليم شرق افريقيا لم تميل الى الخطط الرامية الى ضم جنوب السودان تحاشيا للمشاكل فقد أصبح من الصعب أن تظل الحالة على ما هي عليه ، ولهذا انفتح الطريق أمام سياسة جديدة . .

ومنذ ذلك الحين سارت السياسة الجديدة التي تمكن أبناء الجنوب



من النهوض بمستقبلها في النواحي الاجتماعية والاقتصادية بطريقة مستقلة  
وانهم سيؤهلون على قدم المساواة مع الشماليين .

غير أن تلك السياسة كانت لها أصداء مختلفة لدى المديرين  
البريطانيين بالجنوب حيث أيدها بعضهم وانتقدوها البعض الآخر . وظهرت  
خلال المناقشات فكرة أن يكون للجنوب في المستقبل استقلاله الاقليمي  
أو اتحاده الفيدرالي مع الشمال وتبنى هذه الآراء سياسة الجنوب لظنهم  
بأنها الحل الوحيد لمشكلة الجنوب . وخلال تلك الفترة انعقد مؤتمر اداري  
أوصى بربط الجنوب بالشمال وتمثيل الجنوب في الجمعية التشريعية ونادى  
بتوحيد التعليم وتطوير المواصلات وتوسيع حركة التنقلات بين الموظفين في  
جميع أنحاء البلاد .

ولما أعلنت توصيات المؤتمر اعترض عليها بعض الاداريين بحجة أن  
هذه التوصيات قد صدرت من أشخاص غير مؤهلين ، واقترحوا عقد  
مؤتمر اداري لجنوب السودان . وابدى وزير الداخلية موافقته على عقد  
المؤتمر الذي انعقد في جوبا في ١٩٤٧ وحضره مديرو الثلاث مديريات ومدير  
شئون الخدمة وسبعة عشر من زعماء الجنوب ورجال التعليم وستة من  
الشماليين .

### الوحدة بين الشمال والجنوب أمر لا غنى عنه

وقد أعلن المؤتمر بأن الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب أمر  
لا بد منه ، كما أن الجنوب لا يمكنه أن يستقل بشئونه ، وأن محاولة فصل  
الجنوب عن الشمال لو تمت ستكون لها آثارها الضارة على الاقليمين  
سياسيا واقتصاديا وكرر الجنوبيون لمواقع خلفهم اقتصاديا وحضاريا  
بالاضافة الى مخاوف الجنوبيين من نوايا الشماليين .

وعلى الرغم من أن أهداف هذا المؤتمر هي القضاء على فكرة  
الفدرالية والحكم الاقليمي أو قيام مجلس استشاري مستقل فقد برزت  
مخاوف الجنوبيين التي أدت الى تأييد الاداريين الذين كانوا ينادون بتوفير  
بعض الضمانات لتطبيق تلك السياسة .

وفي عام ١٩٤٨ صدر قانون الجمعية التشريعية الذي لم يشمل على  
أى نوع من الضمانات الامر الذي أثار الاداريين والارساليات في الجنوب  
التي لم تؤيد السياسة الجديدة منذ البداية لاعتقادها بأن الشماليين  
سيعلنون بأن الاسلام هو الدين الرسمي للدولة زيادة على سيطرتها على  
التعليم في الجنوب .

وكانت بداية الوحدة السياسية بين الشمال والجنوب بتشكيل  
الجمعية التشريعية التي ضمت في عضويتها ثلاثة عشر عضوا من أبناء

الجنوب حيث تطورت الادارة ، وشرع في تنفيذ المشاريع الاقتصادية وفي مقدمتها مشروع الزاندي لزراعة القطن ، والفيت اعانات الارساليات ، وبدأ في توحيد التعليم وتدريس اللغة العربية ، هذا الى جانب مساواة الاجور وتمثلت شروط الخدمة في الجنوب والشمال .

ونتيجة لهذه السياسة وتنفيذ تلك الاجراءات فقد أصبح الجنوب والشمال أكثر تعاوناً ووفقاً والتصاقاً .

ولما كان قادة الجنوب لا يطلبون شيئاً غير التقدم الاقتصادي والاجتماعي ومشاركة الشمال بما يضمن المصلحة للجميع ، وادارة الاقليمين كما لو كانا وحدة ادارية واحدة . وكان الجنوبيون أقل استعداداً للسير بالسياسة الجديدة الرامية لتحقيق الحكم الذاتي والذي طبق في عام ١٩٥٣ حيث لم تكن هناك تنظيمات سياسية ولا وعي قومي يربط قبائله المتعددة ويسمى لوحدة البلاد .

وبينما كانت تتخذ الترتيبات لاجراء الانتخابات لقيام البرلمان فقد عمت الدعايات السياسية في الجنوب من مصر من جهة ومن مختلف الاحزاب السياسية من جهة أخرى ، ونتيجة للسودنة في ١٩٥٤ والتي زادت شكوك الجنوبيين ولما تلاحقت الاحداث بسبب التطور السياسي والاقتصادي والنهضة التعليمية فقد تشكلت بجويا لجنة سياسية كانت مهمتها النهوض بالعمل السياسي ، وتشكل حزب الاحرار الجنوبي وانضم عدد من أبناء الجنوب الى الاحزاب السياسية في الشمال ، ولما بلغت تلك الاحداث ذروتها فقد تمردت الفرقة الاستوائية في ١٩٥٥ حيث أدى ذلك الى مقتل ما يزيد عن الثلاثمائة من الشماليين والجنوبيين .

وقد كان السبب المباشر للتمرد هو انشغال الاحزاب الشمالية في كيفية الخلاص من الاستعمار الانجليزي وعدم قيام الاداريين والمبشرين باسداء الراي السليم واصدار الفتوى حيث هز ذلك التمرد الشمال وادت المواجهة العدوانية الى ضرورة لوصول الى حل لمشكلة الجنوب . ومن ثم وافق ممثلو الجنوب في البرلمان على اعلان الاستقلال في أول يناير ١٩٥٦ استناداً على وعد الاحزاب الشمالية بدراسة مشروع لاقامة اتحاد فدرالى في السودان .

ورغم أن الجنوب كان متحداً مع الشمال من الناحية الرسمية وممثلاً في الهيئات السياسية فقد بقي في عزله رغم تعدد الخطوات التي اتخذت في المجالات الاقتصادية والتعليمية والاجتماعية وظلت الناحية السياسية بغير حل حيث استخدم دعاة الانفصال والمبشرين تلك الاحداث لزيادة نشاطهم وتوسيع دعايتهم ضد الشمال .



## ( موقف أحزاب الشمال وانقلاب ١٩٥٨ )

ولما انصرف تفكير أحزاب الشمال نحو الفوز بكراسي الحكم ولم تفكر في الجنوب وتخلفه ووجد المتمردون الذين افلتوا من يد القانون في تمرد ١٩٥٥ ولجأوا الى الغابات فرصة الظهور من جديد فقد استولى الجيش على السلطة في نوفمبر ١٩٥٨ ودخلت قضية الجنوب مرحلة جديدة .

ولما رأى عبد الله خليل رئيس الوزراء في ذلك الوقت بأن هناك جهودا تبذل لتحالف حزب الأمة الذي ينتمى اليه والحزب الوطنى الاتحادى وعندما اشتدت المعارضة داخل البرلمان وخارجه ضد سياسة الحكومة لتدهور الحالة الاقتصادية والسياسية فقد دعا الفريق عبود قائد الجيش آنذاك لتسليم السلطة فى البلاد .

وقد أهتمت الحكومة الجديدة فى أعوامها الأولى بالموقف الاقتصادي ومحاربة النشاط السياسى للأحزاب والنقابات والطلاب الى جانب تنكيلها بالطامحين من العسكريين لتولى الحكم ولم تلتفت الى الجنوب حيث لم تكن لها أى مشاريع لحل مشكلة الجنوب .

واعتقادا من السلطة الجديدة بأن السبيل الوحيد لتحقيق وحدة البلاد فى المستقبل هو التعجيل بنشر اللغة العربية وبسط الاسلام فقد اهتمت الحكومة بتأسيس عدد من المدارس لحفظ القرآن الكريم وتعيين عدد من رجال الدين لوعظ وارشاد المسلمين .

وقد فر كثير من أبناء الجنوب المثقفين الى خارج البلاد عندما شعروا بأن شأنهم هو شأن الشماليين وتم اعتقال بعض الآباء الكاثوليك نتيجة لتوزيعهم رسالة فى الجنوب مناوئة للحكم العسكرى الذى يريد ان يكبح زمام المسيحيين . ويفرض الدين الاسلامى ، وحرمت الصلاة خارج الكنائس ، ونتيجة لتجاوز هيئات المبشرين حدود العمل فى اطار الدين ، وسعيها على تفويض استقرار البلاد وأضعاف أمنها الداخلى وتشجيعها للجنوبيين على انتهاك القانون فقد طردت الحكومة فى عام ١٩٦٢ جميع المبشرين من جنوب السودان .

## ( نتائج انتهاج سياسة العنف )

ومنذ ذلك الحين اتجهت الرئاسة فى الجنوب وجهة جديدة حيث أدى استعمال العنف والقوة فى الجنوب الى فرار الكثيرين من الجنوبيين الى خارج البلاد ولجأوا الى يوغندا وأثيوبيا وكينيا وأفريقيا الوسطى ، وكان من نتائج ذلك ان كون المهاجرون رابطة المسيحيين السودانيين والاتحاد السودانى الأفريقى الوطنى لجنوب السودان المعروف باسم ساكدنو حيث كانت الكنائس تؤيد تلك الهيئات وتدعمها لمعارضة الحكم العسكرى حتى عام ١٩٦٣ .

وكانت زعامة حزب ساكدنو متمركزة في جوزيف أودهو وينوب عنه ماركو رومي ، أما سكرتارية الحزب فكان يشغلها وليم دينق يساعده أفرى جادين . وتولى بانكراسو أمانة الصندوق ، وغيرهم من أعضاء الحزب ممن كانوا نوابا في البرلمان السابق .

### ( حزب سانو )

غير ان « حزب ساكدنو » قد تغير اسمه في عام ١٩٦٣ وأصبح « حزب سانو » ورئاسته في ليوبولد فيل بالكونغو . وكان نشاطه يقتصر على ارسال الغرائض الى منظمة الوحدة الأفريقية والأمم المتحدة ومختلف المنظمات مستعرضا لأحداث الجنوب وداعيا لمساعدة اللاجئين وطالب باستقلال جنوب السودان .

وتتالت الأحداث ، وازدادت حوادث الشغب وظهرت على هذا المسرح منظمة الأنانيا في ١٩٦٣ حيث كان ظهورها بداية لمرحلة جديدة في قضية الجنوب اذ ان تكوينها كان من جنود الفرقة الاستوائية وأعلنت أهدافها باستخدام العنف والقوة لحسم المشكلة ، وشرعت في شن حرب العصابات وحاولت في ١٩٦٤ الاستيلاء على مدينة واو ببحر الغزال .

وازداد القلق وبلغ دروته عندما بدأت مناقشة سياسة الحكومة في الجنوب في المجلس المركزي الذي تم تكوينه في ١٩٦٤ ، وأصبحت مشكلة الجنوب في متناول اللسان التي أثار سخطها مقتل بعض الشماليين والجنوبيين .

واستمرت الدكتاتورية العسكرية في تنديدها بالاستعمار والمبشرين باعتبارهم أصل المشكلة ، وكانت ترى أن الوحدة لا يمكن أن تتم بغير القوة العسكرية وسرعان ما اختارت الحل السلمي للمشكلة لتدهور الموقف الاقتصادي وشكلت في سبتمبر ١٩٦٤ لجنة لتقصي الحقائق في الجنوب كانت غالبية أعضائها من الجنوبيين .

ولما رأى سانو أن اقصى تكوين هذه اللجنة اعترافا صريحا بالمشكلة فقد سار من الأنانيا اقصى طريق العنف ، وتطورت الأحداث على غير ما كان يتوقع الحكم العسكري حيث سقطت الدكتاتورية العسكرية في أكتوبر ١٩٦٤ .

### مؤتمر المائدة المستديرة

وكانت ثورة أكتوبر في ١٩٦٤ . وسقط النظام العسكري الذي كانت الشرازة الاولى لانهيائه من جامعة الخرطوم حيث كانت ندوة الطلاب التي انتقدت سياسة حكم عبود في الشمال بصفة عامة ، وفي الجنوب بصفة خاصة ، وانتقلت



السلطة للشعب ونكونت حكومة أكتوبر ١٩٦٥ اشتركت فيها احزاب الشمال والجنوب ، وأسندت رئاستها لسر الحتم الجليفة أحد كبار رجال التعليم المعروفين في الجنوب الذي رحب الجنوبيين بدخول السودان وخارجه وحزب سنانو بعهدته ، وأبدوا تأييدهم لحكومته التي ازداد تأييدهم لها بتولي أحد أبناء الجنوب وزارة الداخلية .

وعبر زعماء الجنوب بالخارج عن رغبتهم في العودة الى السودان في مذكرة قدمت لرئيس الوزراء ، وطالبوا فيها بالعفو العام عن اللاجئين ، والسماح لحزب سنانو بالعمل السياسي هذا الى جانب طلبهم بعقد مؤتمر حول مائدة مستديرة لبحث أحوال الجنوب وشئون السياسية .

### العهد الجديد ونظراته لأسلوب حل مشكلة الجنوب

ولما كان من اهداف العهد الجديد حل مشكلة جنوب البلاد بالطرق السلمية ، فقد استجابت الحكومة لتلك المطالب وعملت جاهدة لعقد مؤتمر المائدة المستديرة المقترح ، وحدد السادس من فبراير ١٩٦٥ موعد انعقاد المؤتمر بمدينة جوبا .

ووجهت الدعوة لأحزاب الشمال والجنوب ، والقضاء ، وجامعة الخرطوم والنقابات للاشتراك في هذا المؤتمر الهام . ودعت بعض الدول المجاورة ومنظمة الوحدة الافريقية لمراقبة ذلك المؤتمر .

غير أن تطور الاحداث ادى الى تأجيل موعد انعقاد المؤتمر كما كان مقررا ، وظهر على المسرح السياسي تنظيم جديد ضم في عضويته المتعلمين من الجنوبيين وعرف بجبهة الجنوب التي أصبحت تمثل الرأي العام الجنوبي ، واشتركت في الحكومة ، وارتبطت ارتباطا وثيقا بحزب سنانو الذي كانت رئاسته في يوغندا ، وطالب بمهلة من الزمن لتتمكن من اختيار ممثليها حيث شاركتها الاحزاب الشمالية في طلب تأجيل المؤتمر لتكمل سكرتارية الاعمال التحضيرية . ومن الاسباب التي أدت الى تأجيل ذلك المؤتمر أن صادف موعد انعقاده زيارة ملكة بريطانيا للسودان في ذلك التاريخ .

وتعذر الوصول الى اتفاق لتحديد موعد انعقاد المؤتمر حيث كان حزب سنانو قد تقدم بمطالب جديدة واضروا على أن يكون نظام الحكم في الجنوب فيدراليا ، وأن تكون المفاوضات تبحث قضية الجنوب بخارج السودان ، وهذا الى جانب الانقسام الذي حدث في حزب سنانو نتيجة لاسباب منها الشخصي والقبلي والسياسي حيث نادى جناح بالمفاوضات لحل قضية الجنوب بينما ناصر الجناح الآخر انفصال الجنوب عن الشمال .

ولم تتوقف المساعي ، وبذلت الحكومة جهودا كثيرة وتحشدت الخرطوم

مكنا لانعقاد المؤتمر أذ كان لهجمات الانانيا اثرها الواضح فى ابدى استقرار الجنوب مما يصعب معه عقد المؤتمر فى ذلك الجو ، وجرت الاتصالات ، وسافر وفد الى يوغندا واقنع الجناح المتطرف فى حزب سانو بالحضور الى المؤتمر ، الى جانب المحاولات التى أثمرت باتفاق أحزاب الجنوب فى طريقة تمثيلهم فى المؤتمر وكللت المساعي بالنجاح وعقد المؤتمر فى ١٦ مارس عام ١٩٦٥ واشترك فيه ٤٥ عضوا كانت أكثريتهم من الجنوبيين وتولى رئاسته البروفسير النذير دفع الله مدير جامعة الخرطوم آنذاك .

وتحدث فى المؤتمر زعماء الشمال وحملوا الانجليز والمبشرين والحكم العسكرى مسئولية تدهور الحالة فى الجنوب ، ونادوا بتطبيق الحكم الاقليمى فى الجنوب ولم يؤيدوا الآراء التى تدعو الى انفصال الجنوب عن الشمال ، بينما اختلفت آراء ممثلى الجنوب حيث طالب ممثل الفريق المتطرف فى حزب سانو بالاستقلال السياسى ، بينما نادى الجناح الاخر بالاتحاد الفيدرالى ، ودعت جبهة الجنوب الى حق تقرير المصير .

ومهما يكن من أمر فقد سارت أعمال المؤتمر وتعددت جلساته ، وقدم حزب سانو وجبهة الجنوب مشروعا يدعو الى اجراء استفتاء لتقرير المصير لتطبيق النظام الفيدرالى أو الوحدة أو الانفصال ، وكان رأى الشماليين فى المؤتمر واضحا منذ البداية حيث اعلنوا عدم تأييدهم لذلك الاقتراح الذى ستكون نتائجه فى النهاية فصل الجنوب عن الشمال كما رفضوا اقتراحا آخر يدعو الى تقسيم السودان الى اقليمين تقدمت به جبهة الجنوب وحزب سانو .

وشارفت جلسات المؤتمر على نهايتها ولم يكن هناك أمل فى الوصول الى اتفاق بشأن قضية الجنوب التى طال امدتها لاصرار ممثلى الجنوب على المقترحات التى تدعو الى تفكك وحدة البلاد وانفصال الجنوب عن الشمال فى الوقت الذى عملت فيه أحزاب الشمال ممثلة فى مندوبيها فى المؤتمر جاهدة لحل هذه المشكلة فى اطار السودان الموحد بالرغم من اختلاف آراء الجنوبيين وعدم وحدتهم .

ووصل المؤتمر الى نهاية أعماله وفشل فى الوصول الى قرار نهائى بشأن قضية الجنوب التى انعقدت من اجلها الا أنه أتاح اللقاء بين الشماليين والجنوبيين لبحث أكبر المشاكل وادركوا الأبعاد الحقيقية لها واتفق الجميع على الحل السلمى لهذه المشكلة .

واختتم مؤتمر المائدة المستديرة جلساته بتكوين لجنة سميت بلجنة الاثنى عشر والتى كلفت بالبحث عن حل سياسى والوصول الى حل يرضاه الجنوبيون والشماليون بشأن قضية الجنوب التى شغلت الرأى العام ردحا من الزمن على أن يواصل المؤتمر أعماله بعد ثلاثة شهور .



وتوالى الايام والشهور وتطورت الاحداث ، وانجلي موقه الذين ينادون بوحدة السودان والذين ينادون بالانفصال ، ووصلت لجنة الاثنى عشر الى طريق مسدود لما تمادى جناح حزب سائو المتطرف وجبهة الجنوب والانانيا في الاصرار على انفصال الجنوب عن الشمال بينما كانت احزاب الشمال تدعو الى تحقيق الوحدة وشاركها من الجنوب في ذلك الراى حزب الوحدة السودانى والجناح المعتدل في حزب سائو .

ولما ساد العنف والارهاب في جنوب البلاد ، وشن الانانيا غاراتهم على القرى والطرق والكبارى ومراكز الجيش والبوليس لم يكن امام الحكومة الجديدة والتي شكلت في ١٩٦٥ م الا أن تشدد مقاومتها العسكرية ضد اوائك الخارجين على القانون ، وتتعاون مع دعاة الوحدة من الجنوبيين ، وتؤيد المساعى الهادفة لاحلال السلام في الجنوب ، وقام رئيس الوزراء بزيارة بعض دول شرق افريقيا شارحا سياسة الحكومة الجديدة وداعيا المنشقين للعودة الى السودان .

ومن جهة أخرى فقد كان في اخفاق مؤتمر المائدة المستديرة في الوصول الى حل مقبول لقضية الجنوب ، وعلان بعض قادة الاحزاب السياسية الكبرى في الشمال داخل لجمعية التأسيسية وخارجها بالعمل على أن يكون دستور البلاد الدائم اسلاميا اثره الواضح في تمسك دعاة الانفصال واصرارهم على دعواهم بفضل الجنوب عن الشمال وازدادت اعتداءات الانانيا وهجماتهم المتكررة على الأبرياء مخاوف الجنوبيين من انتشار الاسلام في مناطق الجنوب المختلفة .

ونتيجة للحوادث التي وقعت في واو وجوبا خلال يوليو وأغسطس عام ١٩٦٥ والتي قتل فيها الكثيرين من أبناء الجنوبيين بما فيهم المتعلمين منهم بسبب تعقب الجيش والبوليس للخارجين عن القانون فقد فر بعض المتعلمين من الجنوبيين الى يوغندا ، وازدادت قضية الجنوب تعقيدا لما تدهورت اقتصاديات البلاد ، وابتعد ممثل حزب الشعب الديمقراطي من لجنة الاثنى عشر الى جانب ابعاد الشيوعيين من الجمعية التأسيسية .

ومهما يكن من أمر فان قضية الجنوب قد استنزفت الموارد والجهود التي كانت البلاد اقي أشد الحاجة لها في تقديم السودان ومعالجة قضايا التخلف الاقتصادى والاجتماعى حيث لا سبيل الى تحقيق ذلك الا بالعمل المخلص الجاد ووقف القتال بين الاخوه واحلال السلام لتتوحد البلاد ويتقدم شمالها وجنوبها .

### ثورة مايو والحل الشجاع

وظلت مشكلة الجنوب معلقة ولم يكف مرجلها عن الغليان وانشغلت الاحزاب بالمناورات السياسية وفشلت في أن تقر دستورا دائما للبلاد حتى

كان الخامس والعشرين من مايو عام ١٩٦٩ حيث بدأت مرحلة جديدة وعهد ثوري في تاريخ السودان وتولى الشعب السلطة من جديد وتغيرت المفاهيم السابقة لدى المواطنين ، وجابت قيادة الثورة اقاليم السودان كلها شمالها وجنوبها ، شرقها ووسطها وغربها ، متفقدة أحوال المواطنين ، واضعة الحلول لما يجابههم من مشاكل على الطبيعة .

وانفتحت الثورة منذ الوهلة الاولى نحو اهم القضايا واكبر المشاكل التي كانت الشغل الشاغل للناس في الشمال والجنوب ، واعلنت قيادة الثورة سياستها نحو الجنوب وحل قضاياهم في بيان وجهته قيادة الثورة قبل مرور شهر على تفجيرها قررت فيه امتداد فترة سريان قانون العفو العام ، وانشاء وزارة لشئون الجنوب ، وتدريب كوادر لتولى المسئولية بالاضافة الى وضع برامج لتقدم الجنوب اقتصاديا واجتماعيا .

وكان لابد أن تترجم الثورة هذه القرارات الى واقع معاش ، ولن يتحقق ذلك الا بتضافر الجهود في الشمال والجنوب وتعيش البلاد في وحدة وطنية حيث أدركت الثورة الاهمية الكبرى لذلك وصدرت القرارات على ضوء الحقائق الموضوعية ، وبذلت المساعي لخلق الجو المناسب لتطبيق الحكم الذاتي الاقليمي في اطار السودان الموحد حيث عاد الكثيرون من اللاجئين الى البلاد ومناطق سكنهم التي هجروها خلال سنوات التمرد السابقة ، وازدادت قرى السلام عددا وازدهارا وتوسعا ، الى جانب اهتمام الحكومة بتطور الخدمات الصحية والتعليمية وشرعت الثورة في تنفيذ مشروعات العون الذاتي التي تساعد في نهضة ذلك الجزء من السودان الموحد .

وسار تنفيذ البرنامج الاقتصادي بخطى سريعة ، وأهتم مجلس التخطيط والتنسيق للاقليم الجنوبي والذي انعقد في نوفمبر عام ١٩٧٠ بملكال بمشاريع التوطين ، وانعاش الحالة الاقتصادية ، هذا الى جانب اهتمامه بتطوير الغابات والمراعي .

ومضت ثورة مايو قدما على تهيئة الجو المناسب لتنفيذ الحكم الذاتي الاقليمي للجنوب ، وينذل الجهد والعرق لشرح سياسة الحكومة الجديدة تجاه الجنوب للمواطنين وترسيخها في أذهانهم ، أينما كانوا في المدن والقرى وفي الأعراس والغابات ، وتحدثت الثورة لمجتمعات المواطنين في قرى السلام ولتجمعات المثقفين ، وزعماء القبائل والسلطين باللهجات المحلية واللغة الانجليزية ليغملوا معها في تنفيذ خططها الرامية لوحدة البلاد وتقدمها .

وفي ذات الوقت كان لابد أن تتوفر الحماية اللازمة ويستتب الامن ولو الى حين حتى ترى مشاريع التقدم الاقتصادي والاجتماعي النور في ذلك الجزء من الوطن ، واستوعبت الأيدي العامة للعائدين الذين قامت قوات الأمن باحضار الكثيرين منهم من الأعراس والغابات، وبذلت جهودا كبيرة في سبيل استقرارهم وبناء المعسكرات وقرى السلام ، ووفرت لهم الخدمات الطبية .



وانعكست آثار هذه السياسة ونتائجها في كثير من دول العالم التي قام الصحفيون في بعضها ، والسياسيين والبرلمانيين في بعضها الآخر بمشاهدة ما يجري من أجل تحقيق الاستقرار ، ونشرت صحفهم ما يؤيد حقيقة ما تهدف اليه ثورة مايو من انتهاج سياسة جديدة في جنوب البلاد .

واتخذت الحكومة خطوات ايجابية ، وحسرت المشكلة في أضيق نطاق وقامت الثورة خلال تلك الفترة بالدراسات الوافية المستفيضة لتنفيذ الحكم الذاتي قانونا ، وخطت خطوات بعيدة في أن تجعل ذلك واقعا يعيشه السودانيون ، شماليون وجنوبيون وتمخضت تلك الدراسات عن مذكرات أساسية اقترتها لجنة برئاسة زعيم دعاة الوحدة أبيل الير نائب رئيس الجمهورية ومشاركة في ذلك الدكتور منصور خالد وزير الخارجية والدكتور جعفر محمد علي نجيب وزير الحكومات المحلية والاسكان وتنمية المجتمع ، والسيد عبد الرحمن عبد الله وزير الخدمات العامة والإصلاح الإداري ، واللواء محمد الباقر أحمد وزير الداخلية ، واللواء محمد عبد القادر قائد القيادة الجنوبية آنذاك ومحافظ مديرية كسلا في هذا الوقت .

ولما أقر قائد الثورة الرئيس جعفر نميري تلك المذكرة ووافق عليها ، فقد حملها وفد الحكومة الى العاصمة الأثيوبية حيث كان اللقاء الأول للوفد مع الأخوة الجنوبيين الذين جرى معهم الحوار في مضمون تلك المذكرة بوحدة السودان وإيجاد الحل السلمي لقضية الجنوب .

وتوالت المفاوضات وتوجت تلك اللقاءات باتفاق ممثلي الشمال والجنوب على حل مبني على السلام لمشكلة الجنوب ، ووقع الطرفان على وثيقة الاتفاق والوحدة التي تتمثل في جمهورية واحدة ، ورئيس واحد ودستور واحد ، وعلم واحد ، ولغة واحدة هي العربية مع جواز استخدام اللغة الانجليزية في الجنوب ، وجيش قومي واحد ، هذا بالإضافة على تضمن الوثيقة الاتفاق بين الاخوة على تكوين مجلس شعب اقليمي ، ومجلس تنفيذي عالي للقليم الجنوبي يقتصر على التشريع الداخلي للجنوب في مجال الخدمات الصحية والتعليمية الى جانب الأمن والضرائب .

### ( اتفاقية الحكم الذاتي مارس ١٩٧٢ )

وشهد اليوم الثالث من مارس عام ١٩٧٢ مولد عهد جديد ، بحث وقعت اتفاقية الحكم الذاتي الاقليمي للجنوب في أديس أبابا عاصمة أثيوبيا ، وحرصا من الحكومة على وضع الاتفاقية موضع التنفيذ الفعلي فقد صدرت الاوامر لقوات الحكومة بوقف اطلاق النار كما اتفق على ذلك مع وفد الجنوب في محادثات السلام بأديس أبابا .

ولم تمر أيام الا وتوقف اطلاق النار نهائيا حيث تكونت لجنة لتنفيذ وقف اطلاق النار ضمت في عضويتها بعض العسكريين الشماليين ، وبعض الجنوبيين

المغتربين هذا الى جانب اشتراك ممثلين لدول أثيوبيا ويوغندا وكينيا وأفريقيا الوسطى وزائيرى المجاورة للسودان ، وكانت جوبا عاصمة الاقليم الجنوبي مقرا لتلك اللجنة التى انجزت مهمتها على الوجه الأكمل .

### ( السياسة الجديدة )

وتنفيذا لاتفاق الوحدة فقد شكل رئيس الجمهورية المجلس التنفيذى العالى الانتقالى ليمارس السلطات التنفيذية والتشريعية حتى يتم انتخاب مجلس الشعب الاقليمى الذى يقوم بدوره بتكوين المجلس التنفيذى العالى ، وأسندت رئاسته للسيد ابيلى أليز نائب رئيس الجمهورية الذى يعاونه أحد عشر وزيرا اقليميا يتولون مهام المالية والتنمية ، والتعليم ، والاعلام والثقافة والسياحة ، والنقل والطرق ، والمواصلات ، الزراعية والانتاج الحيوانى ، الصحة ، الادارة الاقليمية وتشمل الحكومة المحلية والشئون القانونية ، والبوليس والسجون ، والاسكان والمرافق العامة ، والموارد الطبيعية والتنمية الريفية وتشمل : استثمار الأراضى والمياة الريفية والغابات والتعاونيات ، الخدمة العامة والعمل ، التعدين والصناعة والتجارة والتموين .

والى جانب ذلك فقد صدرت القرارات والقوانين التى تنظم إيرادات الضرائب والرسوم والاعانات المستحقة للاقليم الجنوبى من الحكومة المركزية التى تساعد الأجهزة الاقليمية فى الخدمات العامة والاستثمار المالى ، بالإضافة الى وضع تنظيم مؤقت لقوات الشعب المسلحة فى الجنوب ويقضى بأن تكون قوة قومية التشكيل تسمى القيادة الجنوبية وتعدادها اثنا عشر ألف من الضباط وضباط الصف والجنود على أن يكون نصف هذه القوة من مواطنى الاقليم الجنوبى .

### ( إعادة اللاجئين واستقرارهم )

لقد كانت إعادة اللاجئين وتوطينهم واغاثتهم من أكبر المهام بعد توقيع الاتفاقية حيث تم توطين الكثير من اللاجئين ووفرت لهم الضروريات من غذاء وكساء وقدمت لهم الخدمات الصحية والتعليمية برغم تعدد الطرق وصعوبة المواصلات على قلتها لبداية موسم الحريف وهطول الامطار .

ويظهر اهتمام الحكومة بشئون اللاجئين بإنشاء صندوق خاص للصرف على اجراءات إعادة وتوطين واغاثة وتأهيل اللاجئين والمغتربين من المواطنين بالاقليم الجنوبى ، الى جانب إنشاء مجلس ولجنة فنية يختصان بالعمل على اتخاذ الاجراءات الكفيلة بتوطين واغاثة وتأهيل اللاجئين والمغتربين من الاقليم الجنوبى وتنسيق الشئون المتصلة بذلك فى جميع أنحاء السودان ، هذا بالإضافة الى تكوين لجنة لإعادة اللاجئين السودانيين من الاقليم الجنوبى المقيمين فى الاقطار المجاورة للسودان على أن تكون مسئولة عن اتخاذ كل الاجراءات الادارية لإعادة أولئك اللاجئين المقيمين بخارج السودان .



### ( عودة أكثر من مليون لاجيء للجنوب )

ومهما يكن من أمر فقد تمت دعوة أكثر من مليون لاجيء للجنوب ، و اقيمت لهم قرى السلام بمختلف مناطق الأقليم وزادت توسعا وتوفرت الخدمات المختلفة بفضل المساعدات الكثيرة التي قدمتها بعض الدول الصديقة والمنظمات الخيرية العالمية ووكالة غوث اللاجئين بالأمم المتحدة .

وكانت لابد أن تتحول تلك القرارات الجمهورية الصادرة في مارس ١٩٧٢ عقب توقيع الاتفاقية الى حقيقة حياة ومعاشة بوضع أسس متينة لعلاقة جديدة ظلت الأعوام طويلة علاقة دماء وسوء فهم ، وكان العبء كبيرا في خلق ذلك الأساس لكل المواطنين للرجل والمرأة ، للطفل والفتاة ، ولقوات الانانيا التي أستوعب منها ٦٢٠٠ في قوات الشعب المسلحة ، و ٣١١٦ في قوات الشرطة الى جانب استيعاب ٥٤٥ في قوات السجن والذين عقدت لهم الفرق المختلفة لتأهيلهم وانضمامهم مع أشقائهم من الشماليين في مختلف المواقع بالاقليم الجنوبي .

### التنمية . . التعليم

وتوالى الشهور على توقيع الاتفاقية ، واستتب الأمن وتهيأت الظروف للسير في طريق التنمية والتقدم وتوسعت الخدمات وبذلت الجهود لاعادة فتح المدارس بمراحلها المختلفة وأوفد المعلمون الاوفياء والمخلصين لبداية مرحلة التعمير والانشاء لان التعليم في لجنوب قد تأثر تأثرا بالغيا في مرحلة التمرد الثانية في عام ١٩٦٤ - ١٩٦٥ حيث أحرقت المدارس ونهبت الاثاثات ولم يبق من المدارس غير هيكلا ، وشرد الطلبة والطالبات ، ونقلت أعدادا كبيرة من المعلمين الجنوبيين للعمل بمدارس الشمال وكذلك الحال بالنسبة للأعداد الكبيرة من الطلاب .

ولم يمض زمن قصير الا وأعيد فتح المدارس ونوسع التعليم في الجنوب ، حيث بلغ عدد المدارس الابتدائية للبنين والبنات ٣١٦ مدرسة بينما كانت ١١٢ مدرسة قبل توقيع الاتفاقية . وأصبح عدد التلاميذ والتلميذات ٧٩٥٨٩ بينما كان عددهم عند قيام ثورة مايو ٢٨٢٤٩ تلميذا وتلميذة ، وبالنسبة للثانوى العام فقد تضاعف عدد المدارس وقفز من ٢٣ مدرسة للبنين والبنات حيث كان يتلقى التعليم بها ٣٦٦٧ تلميذا وتلميذة الى ٤٦ مدرسة أصبح عدد التلاميذ والتلميذات فيها ٧٧٠٩ ، وكذلك الحال بالنسبة للتعليم الثانوى العالى حيث نجد ان عدد الطلبة والطالبات اليوم ٢٦٥٠ طالب وطالبة فيما كان عددهم في الماضى ٩٠٠ طالب وطالبة وصار عدد المدارس ٦ مدرسة بينما كان قبل حلول السلام ٣ مدارس .

ولما كان التلاميذ والتلميذات من أبناء العائدين يتلقون تعليمهم في مختلف المناطق بالغابات والاحراش فقد كان لابد أن يعودوا الى مواطنهم

الأصلية التي هجروها خلال سنين التمرد . حيث شيدت ٣٢٥ مدرسة ابتدائية بالعمون الذاتى بالمديرية الاستوائية استوعب بها ١٦٨٥٦ تلميذا وتلميذة الى جانب استيعاب ٥٢٢٩ تلميذا وتلميذة بالمدارس الثانوية العامة ، أما مديرية أعالي النيل فقد استوعبت ١١٢٥ من أبناء العائدين بالمدارس الابتدائية ١٦٥ منهم بالمدارس الثانوية العامة .

وفتح فى كل من مدينتى ملكال بأعلى النيل وجوبا بالاستوائية معهدا للثقافة وتعليم أبناء الاقليم الجنوبي من موظفين وجنود وعمال اللغة العربية ، وتعريفهم بجغرافية السودان وتاريخه وبعض المعلومات العامة ، ومدتها وزارة للتربية بكل وسائل الثقيف والترفيه من مسجلات وسينما ومكتبة عربية ، ويقوم بالتدريس فيها اساتذة متعددون ، وهما يؤديان واجبهما على أحسن وجه الى جانب التعليم المسائى الذى أدخل لأول مرة للعاملين بمديرية أعالي النيل .

وزيادة على ذلك فقد تم بملكال افتتاح معهدا للتربية فى العام الاول للثورة لتدريب المعلمين من أبناء المديريات الجنوبية ، وتخرج منه أكثر من ٤٠٠ معلم ومعلمة وبه الآن سبعة فصول للثانوى العام وفصلين لتدريب المعلمين ويبلغ عدد الدارسين فيه ٢٥٠ من طلاب ومدرسين ومدرسات .

ولم تغفل الثورة الناحية الصناعية ، حيث انشأ بمدينة واو عاصمة مديرية بحر الغزال معهدا صناعيا فى عام ١٩٧٠ لتدريب الطـسـلاب على الصناعات القومية ويسير الآن بصورة مرضية تحت اشراف ادارة التعليم الفنى .

أما بالنسبة للتعليم الشعبى فقد تم تكوين لجنة شعبية بالخرطوم برئاسة اندرو ريو يساعده مكتب شئون الجنوب بوزارة التربية وآخرين للإشراف على هذا النوع من التعليم ، وتم قبول ٦٠ طالبا بالثانوى العالى والحقوا بالمدرسة الثانوية العليا بملكال فى بداية العام الدراسى ١٩٧٣ - ١٩٧٤ ويعتبر هذا نواة للتعليم الشعبى بالاقليم الجنوبي والذى بداه المواطنين ببناء بعض المدارس والفصول .

### مشروع التعليم

وبالرغم من الجهود الكبيرة التى بذلت لتطوير التعليم فى الجنوب مع قلة الامكانيات المتاحة فقد كان من الضرورى أن يزداد التعليم توسعا وتطورا لينهض الاقليم الجنوبى ويزداد الوعى القومى ويسير ذلك الجزء من البلاد فى طريق التنمية والعمران .

وكان لزيارة مدير البنك الدولى على رأس وفد من البنك للسودان فى نوفمبر ١٩٧٢ اثرها الكبير فى اعداد مشروع تعليمى سريع التنفيذ لسمسد



النقص في مراحل التعليم بالجنوب حيث اتفق مع بعثة البنك الدولي الثانية التي جاءت للبلاد في أغسطس ١٩٧٠ وبعد دراسات مستفيضة على توصيات خرجت بها تلك البعثة الاقتصادية تتركز في انشاء ٥٠ مركزا للتربية الريفية المتكاملة على ان يحتوى المركز على مدرسة ابتدائية حيث تكون نفس المدرسة مركزا لتعليم الكبار ، ويكون على مقربة منها مركزا صحيا تخصص له الى جانب خدماته الصحية موظفا للارشاد الزراعى الى جانب توفير احتياجات الناس الذين يقطنون حول هذا المركز لارساء فكرة النظام التعاونى .

ولما كانت الحاجة ماسة في بعض المناطق الاخرى بشمال البلاد لمثل هذا النوع من المراكز الريفية فستحظى بعض المناطق الأكثر تخلفا في الشمال بعدد من هذه المراكز التي ستوزع على مناطق الاقليم الجنوبي المختلفة .

وكان لابد ان يتبع ذلك توفر نوع خاص من المعلمين الذين سيقومون بالتدريس في تلك المراكز لاختلاف الطبيعة فيها عن المدارس الاخرى حيث اضيف ٢٠٠ خانة جديدة في معهد لتدريب المعلمين بيخت الرضا في الدويم لتأهيل المعلمين الذين سيقومون بالعمل في المراكز الريفية المتكاملة بالجنوب .

وزيادة على ذلك فقد كان من التوصيات التي خرجت بها بعثة البنك الدولي الاقتصادية انشاء كلية لتدريب كادر من الفنيين في القطاعات المختلفة المرتبطة بالتنمية كالزراعيين والبيطرة والاهتمام بالغابات والاقتصاد المنزلى ، الى جانب تحسين مركز التدريب المهنى بواو عاصمة مديرية بحر الغزال وادخال مواد جديدة وتوسيع التعليم الثانوى العام بافتتاح ثلاثة مدارس جديدة بداخلية لنصف عدد التلاميذ بكل مدرسة من هذه المدارس الى جانب توفير المعدات التعليمية ومساعدات التعليم لثلاثة من المدارس الثانوية العليا .

وعلى كل فقد كان الاهتمام واضحاً بتطور التعليم وتوسيعه وادخال نظم تعليمية جديدة تتمشى مع الواقع المعاشى في بعض المناطق بالاقليم الجنوبى والتي سميت بالمشروع التعليمى وتوقع اتفاقية مع البنك الدولى خلال نوفمبر من هذا العام ومن ثم سيدخل هذا المشروع الهام فى طور التنفيذ ليسير ركب العلم والتقدم فى جنوب البلاد .

## الصحة

ولما كانت الفترة التي أعقبت توقيع الاتفاقية فترة خلق مناخ جديد واستقبال عائدين وبداية صفحة جديدة من تاريخ السودان والسعى للعيش فى سلام ، وبالرغم من الفرق فى تلك الرسالة فقد بذلك جهودا

كبيرة في مجال الخدمات الصحية التي ازدادت وتضاعفت حيث ارتفع عدد المستشفيات من ١٤ الى ٢٥ مستشفى وأصبحت المراكز الصحية ١٠ بينما كانت مركزين ، وقفز عدد الشفخانات من ٦٨ الى ١٠٤ شفخانة ، وتوسعت نقاط الفيار فصارت ٢٢٨ حيث كانت ١٢٢ ، وكذلك الحال بالنسبة للأطباء الذين يبلغ عددهم الآن ٦٨ طبيباً في الوقت الذي كانوا فيه قبل اتفاقية السلام ٤٥ طبيباً زيادة على توفر الاختصاصيين منهم في مختلف المناطق بمديريات الاقليم الجنوبي الثلاث .

وبالمقارنة مع توفر الخدمات الصحية في دول العالم نجد أنه يوجد طبيباً مقابل كل ٧٥ ألف مواطن ، ولكل ١٩١٣٠٤ مواطن مستشفى واحد مع أن مقابل كل ١٠ ألف مواطن طبيباً في الدول الفقيرة بينما أن لكل ٥٠٠ مواطن في الدول المتقدمة طبيباً واحداً .

## الزراعة

وكان للظروف التي هيأها استتباب الأمن والسلام أكبر الأثر في تنمية الاقليم الجنوبي والنهوض به إذ أنه ليس هنالك تقدم ولا رقى ولا تطور للإنسان إلا بخلق المناخ الجيد الذي عملت الثورة السودانية جاهدة لتوفره لينعم المواطنون بالاقليم الجنوبي بالرخاء والرفاهية والحياة .

وتحقيقاً لذلك كان لابد من السير في طريق التنمية الزراعية بخطى سريعة حيث توسعت زراعة الذرة والأرز والحبوب الزيتية وانقطن المصري والمحاصيل النقدية ذات القيمة العالية والعائد السريع كالشاي والبن والتبغ الى جانب توسيع زراعة التوابل والخضر والفواكه والنباتات الطبية .

ونتيجة لذلك التوسع كان من الضروري أن تتوفر متطلبات النهضة الزراعية حيث أعيد فتح محطة الأبحاث الزراعية في بامبيو بالمديرية الاستوائية ، واهتم معهد زراعي بمعاونة الأمم المتحدة ويجري العمل لمكافحة أعشاب النيل وإزالتها ، وغير ذلك من الخدمات كالارشاد الزراعي والتدريب وتوفير البذور الى جانب حصر كافة المواد الزراعية للنهوض بالاقليم الجنوبي على أسس علمية وسليمة .

أما في مجال الصناعة فقد كان الاهتمام بها عظيماً تدعيماً لوحدة البلاد وتحقيقاً للتكامل الاقتصادي في السودان الموحد حيث استغلّت الموارد الطبيعية بالجنوب في مجال صناعة السكر والنسيج والتعليب وصناعة الخيش، وغيرها من منتجات الألبان والأخشاب بالإضافة الى بعض الصناعات الخفيفة كالملابس الجاهزة وورش الصيانة .

ولما كنت المواصلات والطرق بالاقليم الجنوبي في أسوأ حالاتها قبل اتفاقية الوحدة والسلام فقد كان لابد من دعم سبل المواصلات وتطويرها ، ومن



ثم شرع في اقامة الجسور وتوسيع المطارات وفي مديريات الجنوب المختلفة الى جانب تطور المواصلات البرية والنهرية والجوية في الوقت الذي بذلت فيه الجهود لاستصلاح الكثير من الطرق في مختلف مناطق الاقليم الجنوبي .

### التطور السياسي

حينما طرحت الثورة السودانية منذ تفجيرها شعار الوحدة الوطنية كانت غاياتها في ذلك أن يعيش الناس في الشمال والجنوب في وحدة فكرية واخلاقية اتوجيه قدرات الشعب للانشاء والبناء والتعمير عوضا عن تسخيرها للتفرقة والتجزئة ، والخلص من الحساسيات التي خلقها المستعمر ليتلاحم أبناء السودان الموحد لتنمية البلاد وتقدمها وازدهارها .

وكان على الثورة أن تدعم وحدة التراب وتجمع شتات أبناء السودان في الشمال والجنوب ، في الشرق والغرب وتزودهم بفكرها الاشتراكي ليعملوا على ضوء مبادئها واهدافها حيث سارت بخطى حثيثة في بناء مجتمع الكفاية والعدل وتمهد الطرق لقيام تنظيماتها الثورية التقدمية وحشدت قوى الشعب لبناء المجتمع الاشتراكي بقيام الاتحاد الاشتراكي السوداني الذي جسده تحالف قوى الشعب العاملة ليقود نضال الجماهير ويعبر عن ارادتها ويوجه العمل الوطني ، ويقوم بالرقابة الايجابية الفعالة لسير هذا العمل في الطريق السليم ووضع السياسات العامة والخطط والبرامج ، ويتصدى للدفاع عن مصالح الجماهير حيث أنه سلطة الثورة على أجهزة الدولة .

ولما كان الاتحاد الاشتراكي السوداني التنظيم الاعلى للثورة بين كل منظمات الجماهير فان مجلس الشعب الممثل لسلطة الدولة العليا ومعه مجالس الحكم الشعبي المحلي واجهزة الدولة المختلفة يقوم بتنفيذ السياسة التي يرسمها الاتحاد الاشتراكي السوداني الذي يشكل الاطار السياسي الشامل للعمل الوطني وينسق مع منظماته الجماهيرية لجميع قوى الشعب من عمال ومزارعين وجنود ومثقفين ورأسمالية وطنية .

وشرع الاتحاد الاشتراكي السوداني في تحقيق اهدافه بتوجيه قوى الشعب العاملة حفاظا على مبادئ ثورة مايو ، وحماية لمنجزاتها وتحقيق اهدافها دافعا العمل الثوري وقيادته لتحقيق الديمقراطية السليمة ، وبناء السودان الاشتراكي الواحد وفق ميثاق العمل الوطني الذي أقره المؤتمر التأسيسي للاتحاد الاشتراكي السوداني في يناير ١٩٧٢ والذي يوضح اهداف الثورة في الداخل والخارج الى جانب بناء وقيادة منظمات الشعب الجماهيرية وتحقيق مبدأ نقل السلطة للشعب .

ولما انتخب الرئيس جعفر نميري قائد الثورة رئيسا للاتحاد الاشتراكي السوداني ورئيسا لجمهورية السودان الديمقراطية في أكتوبر عام ١٩٧٠ فقد

أعيد تنظيم البلاد سياسيا وإداريا ووضع مجلس الشعب الذي أفتتح عام ١٩٧٢ الدستور الدائم للبلاد الذي ستحكم البلاد بمقتضاه وتسير السياسة على هديه .

### المؤتمر القومي الاول للاتحاد الاشتراكي السوداني

وبهلول عام ١٩٧٤ انعقد المؤتمر القومي الاول للاتحاد الاشتراكي السوداني ممثلا لكل تنظيمات الثورة في مديريات السودان العشر ، ومختلف قطاعات الشعب في الداخل والخارج والذي أقر السياسة العامة للبلاد بعد مناقشات واجتماعات متعددة وكون قمة الهرم السياسي واختار اللجنة المركزية للاتحاد الاشتراكي السوداني والتي انتخبت بدورها المكتب السياسي للاتحاد الاشتراكي السوداني الذي يمثل السلطة السياسية العليا في البلاد .

ولما كانت فلسفة الثورة في مجال الحكم بنقل السلطة للشعب بقيام الاتحاد الاشتراكي المحرك الفعلي للوحدة الوطنية والقادر على اعطاء المساواة والاعتماد على النفس من اجل التقدم والعدالة والانتاج وتوزيع الثروات والقدرات الاجتماعية كان لابد ان يشمل هذا الاستقرار السياسي الاقليم الجنوبي بمناطقه المختلفة حيث تكونت تنظيمات الاتحاد الاشتراكي السوداني في مختلف المستويات كما هو الحال في الشمال لتلعب دورها في سبيل نهضة الاقليم الجنوبي وتقدم السودان الموحد .

وبقيام مجلس الشعب الاقليمي بالجنوب في يناير ١٩٧٤ تكون مرحلة جديدة قد بدأت حيث انتهت فترة المجلس التنفيذي العالي الانتقالي ، وانتخب مجلس الشعب الاقليمي السيد ابييل اير نائب رئيس الجمهورية رئيسا للمجلس التنفيذي العالي .

وبهذا تكون التنظيمات السياسية والدستورية والتشريعية قد وصلت الى مراحلها النهائية واكتمل تكوينها في الاقليم الجنوبي بعد ان تحققت الوحدة والسلام والاستقرار وأصبح ذلك ماثلا على مرأى من العالم ، وتحرر المواطن السوداني من تسلط الاداري والقبلي والطائفي ، وحلت مشكلة الجنوب بالرغم مما أعتورها من خلفيات وتعقيدات .

غير انه بالاتفاق على حل قضية الجنوب لم يرق هذا الامر لبعض العناصر في داخل البلاد وخارجها حيث كانت تصور هذه المشكلة وكأنها مستحيلة الحل ، لان العناصر التي بداخل البلاد كانت تظن بأن هذا الوفاق انتصار لفئة بعينها ناسيين ومقتاسيين بأن تحقيق هذا الاتفاق ليس انتصارا لفرد أو أفراد وإنما هو انتصار للسودان والسودانيين في الشمال والجنوب لان الانسان العادي في الشمال والجنوب كان حريصا على أن يتم هذا الوفاق ويعيش الجميع في وحدة وسلام .

ولما كانت قوات الشعب المسلحة هي التي تحارب وتقاتل في جنوب



البلاد فقد كان احساسها أكثر من غيرها بلدغ الحرب وماسيها وضرورة  
انهاها بعد ان ظلت مستمرة طوال سبعة عشرة عاما حيث كان لاحساسها  
هذا أكبر الاثر في توقيع اتفاقية السلام لان قضية كقضية الجنوب لايمكن أن  
تحسم عسكريا لانها مشكلة صراع داخلي .

ودلالة على احساس قوات الشعب المسلحة بضرورة حل تلك  
المشكلة فان الجزء الذي يتعلق باستيعاب الانانيا وانخراطهم في قوات  
الشعب المسلحة قد نفذ قبل غيره من بنود اتفاقية السلام حيث توقف اطلاق  
النار وجند الانانيا في قوات الشعب المسلحة في الوقت الذي كان فيه هذا  
في رأى الكثيرين بأنه المشكلة التي لايمكن حلها والوصول الى اتفاق حولها  
حتى بعد الاتفاق وكانوا يرون ان هذا الجانب من الاتفاقية لايمكن تطبيقه  
بأى حال من الاحوال ، وأن تنفيذ ذلك وتطبيقه وجعله واقعا معاشا هو  
الدالة على وعى الجندي السودانى .

أما العناصر التي كانت خارج السودان والتي تتمثل في بعض الدول  
التي لا يروق لها ان يستقر السودان ويوظف طاقاته وجهوده نحو البناء  
والانشاء حيث كان ذلك واضحا اثناء المفاوضات التي سبقت توقيع  
الاتفاقية بأديس أبابا عاصمة اثيوبيا في مارس ١٩٧٢ اذ كان هناك الكثير  
من التشكيك في بعض ماينشر في الصحف ، وفي بعض مايتهم من اتصالات  
جانبية الامر الذي لم يجد قبولا لدى أبناء الجنوب حيث كانوا يعملون ضد  
هذا الاتجاه ويؤكدون رغبتهم وعزمهم على أن يتم الاتفاق ويتحقق السلام .

وكانت هناك أيضا التساؤلات والتشكيك بأن الاتفاقية لم ينشر كل  
بنودها على الجماهير خشية ان يرفض الناس ما جاء في بعض بنودها  
متناسيين بأن هذا الاتفاق لم يتم بين دولتين وانما هو اتفاق بين أبناء  
السودان في الشمال والجنوب كانوا يؤمنون ولا زالوا بوحدة البلاد غير انهم  
كانوا يختلفون في طرق حل تلك المشكلة التي بذروها الاستعمار .

وزيادة على ذلك فقد كانت هناك أصوات تقول بأن توقيع هذه  
الاتفاقية قد تم على حساب العالم العربى بالاتجاه نحو أفريقيا بصورة أكبر  
من الاتجاه نحو العرب حيث الواقع أن السودان قد تحققت وحدته  
الوطنية ، وأن انتماء السودان للعرب حقيقة الى جانب انتمائه لأفريقيا ،  
اذ ان شخصية السودان مزيج من العرب والافارقة ، وفي الحكومة  
الاقليمية وزير من أبناء الجنوب يعمل على نشر اللغة العربية التي نص  
الدستور بأن تكون هي اللغة الرسمية للدولة . وجواز استعمال  
الانجليزية بالجنوب قد أملت ظروف عملية اذ أنه ليس من المعقول أن  
يفرض على أناس عاشوا لأكثر من خمسة عشر عاما خارج السودان أن  
يتحدثوا بلغة لم يسبق لهم أن تحدثوا بها ويجهلون استخدامها .

ومما لا شك فيه أن انتهاء حرب دامت سبعة عشر عاما وهدت قوى

البلاد السياسية والاقتصادية ، وهزت صورتها في الخارج ، سيلعب دورا كبيرا في تقوية جبهة السودان الداخلية وسيكون السودان أشد عددا ، وأقوى مراسا من أى وقت مضى لان في قوة السودان قوة للبلاد العربية والافريقية ولدول العالم الثالث بأكملها .

ونتيجة لاتفاقية الوحدة والسلام فقد برزت شخصية السودان وأصبح صوته مسموعا واثرا حل هذه المشكلة في الكثير من التغييرات التي شهدتها القارة الافريقية ، وتغيرت مواقف بعض الدول تجاه السودان وتقدير بعضها الآخر لموقف السودان بعد حل هذه المشكلة التي طال أمدها .

وان أكبر انتصار دبلوماسي حققه بلد عربي في السنوات الاخيرة هو حل مشكلة الجنوب التي تعتبر أكبر الانجازات التي قامت بها دولة بمفردها وبجهودها الخاصة وبأخلاص أبنائها وحرصهم على استقرار البلاد وتقديمها لتواكب رضيعاتها من دول العالم .



### **البساط الثالث**

**أيام في جنوب السودان**

**المرحلة الأولى : مديرية أعالي النيل**

**المرحلة الثانية : مديرية بحر الفزال**

**المرحلة الثالثة : المديرية الاستوائية**





الرحلة الاولى  
مديرية اعالى النيل





بعد ١٧ عاما سكنت طبول الحرب وذابت

## قـــوات الانيانيا في الجيش النظامى

احيانا يتجاوز الخيال مساحته المحدودة في رسم الصور ووضع  
الالوان والتفاصيل والتقاطيع ، خاصة اذا كنت في طريقك لرؤية جسد  
عليك مكانا او شخصا .. هكذا انطلق خيالى وأنا في طريقى الى الخرطوم  
في شهر مارس عام ١٩٧٤ .. عبرت بفكرى الخرطوم الى ما وراءها ..  
الى الجنوب حيث كان يحتفل السودان كله بعيد الوحدة الوطنية او عيد  
السلام الذى حل بعد أعوام قاربت العشرين من الصراع الدموى .

كنت في طريقى الى هناك لاحضر احتفالات الوحدة الوطنية في مدينة  
( ملكال ) عاصمة مديرية أعالي النيل . وهى أيضا واحدة من مدن الجنوب  
الثلث .. اشتط الخيال في رسم صورة للجنوب .. كان التفكير حول  
الكثير :

● ● كيف تبدو المدن والقرى بعد صراع أكل الاخضر واليابس ؟

● ● كيف يتعايش الشماليون والجنوبيون ؟

● ● هل يتباين الشمال عن الجنوب بصورة قاطعة ؟

● ● الى أين وصلت اتفاقية السلام بجنوب السودان ؟

● ● ثم أين الحقيقة فيما أشيع من أن الجنوب أصبح قوة حاجبة  
لمعروبة السودان ؟

## اتفاقية السلام

كان اهتمامى الاول يدور حول الذى أتيت من أجله .. حول اتفاقية  
السلام كحل حاسم والى أى مدى حفرت خطوطها على الارض والناس ..  
فالاتفاقية التى وقعت فى أديس أبابا فى مارس ١٩٧٢ والتى أنهت اقتتال  
١٧ عاما بين الأشقاء .. أحاطت بها تساؤلات كثيرة .. بعضها مشفق  
وبعضها خبيث .. كثيرون قالوا أن عشرين عاما من الدماء لا يمكن أن  
تمحوها اتفاقات توقع أو حلول مكتوبة على الاوراق .. الثقة لا تخلقها  
قوانين أو لوائح .. الثقة وليدة التفاعل .. العمل الجاد والاخلاص ..  
وتلك كانت الصورة فى الجنوب بعد مارس ١٩٧٢ .. كانت الاتفاقية  
قد حددت أشياء كثيرة .. كانت تبدو أحيانا وكأنها أكبر من الزمن والقدرة .

● ● قوات الانيانيا ( وهى الطرف الآخر فى النزاع ) يجب أن يتم أستيعابها وصهرها فى القوات المسلحة السودانية .

● ● لابد من حكم اقليمى خاص للجنوب يتيح لامركزية فى العمل .

● ● آلاف العائدين من الغابة والدول المجاورة تنتظر أن تجد مأوى ومستقرا وكساء فهى تأتى لاتحمل الا الامسل فقط .

● ● المشاريع التى تعطلت ابان سنوات التزيف المتصلل لابد أن تعود وتعمل .

● ● وفوق هذا كله كان هناك بناء جسور الثقة التى تهدمت عبر تلك السنوات القاسية على الشمال والجنوب معا .

### البحث عن الرجل

ووقعت الاتفاقية ... ووضعت الأولويات والاسبقيات للعمل .. كان لابد اقبى البداية من رجل قادر على بناء الجسور التى تهدمت بين الشمال والجنوب .. وكان (ابيل أليز) نائب رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة الاقليمية حاليا .. واحدا من الذين يتمتعون بثقة الرئيس نميرى وحببه واختير لهذا المنصب الذى أنيط به تحويل بنود الاتفاقية المكتوبة الى واقع . وتكون المجلس التنفيذى الانتقالى العالى للاقليم الجنوبى من شخصيات الجنوب . بعضها كان حتى قبل تاريخ الثالث من مارس ١٩٧٢ خارج السودان أو فى غاباته يخطط أو يحمل السلاح ضد حكومة الخرطوم .. وكانت المهمة أمام المجلس غاية فى الدقة والتعقيد .. كانت مهمته الاولى أن يستقبل العائدين من أبناء الجنوب والذين تدفقوا من الغابات الكثيفة أو الدول المجاورة بمجرد أن سمعوا بنهاية الصراع فى الجنوب .

وبدأ المجلس التنفيذى العمل .. تكونت لجان للاغاثة والتوطين . ولجان متفرعة منها واستشعر العالم بمسئوليته تجاه الالوف المتدفقة . وانهاالت الاعانات على الجنوب من كل أنحاء العالم .. فقد فاقت اعداد العائدين وحجمهم كل التوقعات .. وانتشرت فى الجنوب اللجان العاملة فى سرعة شديدة .. أقيمت (قرى السلام) فى كل الجنوب (وهى القرى التى أقيمت لاستقبال العائدين) أشرفت اللجان على اعاشة وغذاء وكساء العائدين .. وفى عام واحد كان عدد العائدين يقارب نصف مليون استطاعت الجهود الصادقة أن توفر لهم كل احتياجات الانسان .

### بدلا من صدام السلاح

حقيقة ان عملية استيعاب قوات «الأنيانيا» فى القوات المسلحة السودانية



كانت أخطر مراحل الاتفاقية ، فهي تعنى أولا أن عداوة السلاح أصبحت رقيقة السلاح وأن الذين اقتتلوا سبعة عشر عاما سيلتقون في مكان واحد . وبعضهم يحمل آثارا على جسده تعيد الى ذاكرته تلك الايام المريرة وكانت خطورة هذه المرحلة تكمن في أن نجاحها يرتكز عليه نجاح مشروع السلام كليه . . . فاذا توجهت البنادق مرة أخرى انتهى كل شيء . . رغم هذا أقبلت القوات المسلحة على تنفيذ الجانب العسكري من الاتفاقية بثقة واطمئنان .

المواقع التي كانت مراكز لقيادة العمليات الحربية ضد القوات المتمردة أصبحت مراكز تدريب لنفس القوات والتي أصبح اسمها الآن المستوعبة

الشماليون من أفراد القوات المسلحة أقبلوا على اخوتهم بروح أشاعت جوا من الثقة . . كانوا يزورونهم في معسكراتهم ويشاركونهم الطعام . . حفاظا على عهد (العيش والملح) ، كانت الاتفاقية تقضى أن يتم تدريب القوات المستوعبة لتصبح في مستوى أفراد القوات المسلحة . . وكانت مسئولية التدريب تقع على الضباط والجنود الذين كانوا قبل أسابيع يجوبون غابات الجنوب وأحراشها بحثا عن من يتولون مسئولية تدريبهم الآن ، وكان الرئيس جعفر نميري والذي حضر ذلك الاحتفال أكثر الناس سعادة . . فهيها هو الجهد يثمر وها هم أفراد الأنيايا السابقون يقفون أمامه يؤدون القسم بأن يطيعوا أوامره ولو أدى ذلك الى المجازفة بحياتهم . وعلى طريقة أهل الجنوب وقف أفراد الانيايا ينترون في مهجر الدنكا . . كانت كلمات النشيد دعوة لعشق الارض والسلام . . كأن كلماته تفيض حبا لنميري رجل السلام . . نميري بنج . . هكذا يسمون هناك وينج هذه لا يطلقها أهل الدنكا الا على الرجل الحكيم القادر على جمع شمل القبائل حوله .

لقد حدثت المعجزة . . ووقف العالم كله في مارس ١٩٧٣ ليشهد كيف يحتفل الجنوب بالسلام .

- اكتمل تدريب جميع القوات المستوعبة من الانيايا
- مئات الألوف من اللاجئين عادوا واستقروا .
- الحضرة أخذت مكانها بديلا للارض الجرداء المهملة
- العمل في كل مكان في الجنوب يتسابق مع الامل والمنى .

### العام الثالث

وها هو العالم الثالث . . فكيف تبدو الصورة ؟

أصبح الجنوب قاعدة للعمل السياسي الواسع .. تحسنى بذلك فى كل مكان فالجنوب ذو القبائل المتعددة والمتفرعة والمتشعبة والذي عاش سنوات طويلة حياة متقطعة فى كل شئ .. تجد فيه الآن حركة نشطة .. اعداد المنضوين فى المنظمات والجهزة والوحدات الاساسية للاتحاد الاشتراكي السوداني تسجل ارتفاعا ملحوظا .. تنظيمات النساء والعمال والشباب نشطة ومتحركة .. الأول مرة أتيحت للجنوبيين فرص العمل .. والتجربة كانت ناجحة مائة فى المائة .

### أوهام خاطئة

كانت هناك نقطة تشغل بالي كثيرا .. وقد كانت مثار حديث كثير خارج السودان .. وهى الى أى مدى كان حل قضية الجنوب قوة حاجبة لعروبة السودان ؟

أبدأ بملاحظة هامة .. وهى اننى حين وصلت الجنوب كنت أظن أن واحدا من الصعاب أمامى هى اللغة .. كنت أظن أن اللهجات الكثيرة هناك ستجعل التخاطب مشكلة .. وكنت أظن أن اللغة الانجليزية هى اللغة السائدة واكتشفت خطئ .. وجدت أن لغة التخاطب بين القبائل المختلفة هى اللغة العربية ، الجنوبيون فيما بينهم يتعاملون ويتخاطبون بها .. اللغة العربية هى القاسم المشترك بين تلك القبائل وحتى فى المناسبات الرسمية والتي يتحدث فيها خطبا لا يميلون الى استعمال أى لغة أو لهجة سوى العربية ، الملاحظة الثانية تعود الى فبراير من العام الماضى .. كان الرئيس نميرى يشهد تخريج أول مجموعة من قوات الايمانيا فى (واو) وتحدث اليهم وكان أبرز ما قال لهم :

انكم أصبحتم جزءا من القوات المسلحة التى نعدّها ونؤهلها لتقوم بواجبها وحماية الوحدة الوطنية وفى المشاركة فى النضال من اجل استرداد الارض المحتلة من العدو الاسرائيلي .. قال لهم نميرى اننا نعدكم لكي تستردوا القدس وسيناء والجولان .. كان هذا حديث نميرى لأول فوج من (الانيانيا) الجناح العسكرى المتمرد من قبل .. وكان لهذا الحديث مدلوله ومغزاه .

وكانت حرب اكتوبر - كما قال لى ( أبيل الير ) نائب رئيس جمهورية السودان ورئيس الحكومة الاقليمية شاهدا آخر على كذب المخاوف والاوهام .. كان تفاعل أبناء الاقليم الجنوبي مع الانتصارات العربية عظيما .. عقدت ندوات التعبئة فى كل مكان وتكونت لجان دعم المعركة ، تبرع مواطنوا الجنوب وأسبهموا فى الدعم والعمل من أجل قضية المصير .. باختصار بعد ان رأيت وسمعت تبادلت كل الاوهام والمخاوف حول القوة الحاجبة .



## عادا السلام فعلا

بداية العام الثالث هناك رائعة .. أصبح للجنوب مجلس شعبي اقليمي يمارس صلاحياته من قوانين ولوائح . الحكومة الاقليمية تباشر أعمالها بصورة دقيقة مرسومة . التفاعل بين الجنوب والشمال متكامل .. أعمال الانماء والتطوير مكثفة ومتصلة وأرتفعت مرة أخرى شجيرات الشاي والبن وعادت سنابل الذرة تغطي مساحات واسعة .. البناء داخل القرى والمدن أخذ يمحو آثار الاعوام العشرين .. كل الطرق والمطارات والجسور يجرى فيها العمل بسرعة وفوق كل هذا تم بناء أقوى الجسور .. جسر الثقة وعليه عبر النجاح والاستقرار الى الجنوب .

وباختصار .. فان الذي تحقق في جنوب السودان معجزة لكل المقاييس، وهي معجزة تحققت بإرادة الشعب السوداني وبعزم من الرجل الذي وسع قلبه مليون ميل مربع .. جعفر نميري .

## الانسان والطبيعة في مديرية أعالي النيل

في مديرية اعالي النيل تختلط سمرة الارض بسمرة البشر ، ولعل أول ما يلاحظه الزائر أن الطبيعة قد نركت بصماتها بشكل واضح على الناس هناك الطبيعة الاخاذة .. غابات الاستواء بأشجارها الباسقة العالية والناس بطول أجسادهم المتناسقة مع تلك الطبيعة .. هناك الرقص والغناء .. هناك الاقبال على الحياة .. هناك (بانوراما) القبائل خاصة في المدن .. تستطيع أن تميز القبائل اذا عشت فترة هناك .. فكل قبيلة لها علاماتها المميزة في رجالها ونسائها .. الديكا يختلفون عن الزندي والشلك عن النوير وعن الانوال .. الاختلاف في الشكل والمظهر والملبس والرقص والطقوس .. واذا اردت أن تعرف ذلك جيدا فلتشهد فرق الفنون الشعبية ففيها التجسيد الكامل لكل ذلك .

## العام الثالث للسلام

ولقد أتيج لي في ملكان عاصمة مديرية أعالي النيل وفي غيرها من مدن وقرى المديرية أن أشهد بدء العام الثالث في مسيرة الوحدة الوطنية في ربوع الجنوب .. عامان توقف نزيف الدم في صدق .. في كل مكان استطاع أن يتوقف نزيف الدم بعد السنوات القاسية ويتحول الى أمل اخضر يزرع الارض ثقة في الحاضر وفي المستقبل .. لقد كانت اتفاقية السلام تحديا يواجه الشعب السوداني كله على امتداد الوطن .. مسئولية الجنوب فيها لا تقل عن مسئولية الشمال .. كانت عزمنا يستوجب طاقات الشعب كله وقدرات الوطن كلها .. كانت آملا يتطلب تحقيقه عملا صادقا .

لقد ظل العالم يرقب تجربة السودان في اعادة السلام الى أرض عاشت سنوات طويلة لا تسمع عن السلام الا كلمات يرددها السياسة في الخرطوم

ورقة للكسب والاستهلاك المحلى ووعدا لا يلبس أن يلهيهم عنه بريق السلطة والجاه . . وقف العالم يرقب العمل والعرق في الجنوب . . يشهد مئات الألوف من العائدين يحملون الامل في حياة مستقرة هائلة . . تابع العالم جهدا متواصلا في التدريب والتأهيل اثمر في أشهر معدودة قوات قادرة ومؤهلة تنضم الى صفوف قوات الشعب شريكة مصير وهدف وأمل . . شهد العالم عداوة السلاح تصبح رفقة للسلاح شهد أبناء القوات المستوعبة وهم يقسمون أمام رئيس الجمهورية لحماية ثورة الشعب والدفاع عنها بالروح والدم . . وحماية وحدة الوطن والتراب بالعزم والعمل والحزم . . ولقد تابع العالم كله أيضا جهد العمل الصادق استقبالا لمجموع العائدين الى الوطن تزداد أعدادهم وتتدفق أمام امكانيات يفيض على حجمهم وتقر عن الابناء بكل الالتزام نحوهم فيحولها العزم والاصرار والعون العالى الى انجاز ضخم واستقرار وعيشة كريمة لجميع الاخوة العائدين الى ارض وطنهم بعد غربة مفروضة امتدت الى عشرات السنين .

ولقد بهرتنى مشاريع الانماء العديدة والخضرة التى بدأت تكسو في الجنوب بعد حرب وجفاف . . ومشروعات العمل الصناعى والزراعى ومخططات البناء والتعمير تقف على الارض وتصبح حقيقية . . والطرق البرية والجسور المهدمة تقف مرة أخرى شاهدا على حياة جديدة وتاريخ جديد . . وفوق هذا كله رايت جسور الثقة تمتد مرة أخرى بين الشمال والجنوب .

### من الاتفاق الى الاستيعاب الى الانصهار

ولكن السؤال الكبير هنا :

كيف أمكن نجاح تجربة الاستيعاب في أشهر قليلة بحيث أصبحت القوات المستوعبة جزء لا ينفصل عن قوات الشعب المسلحة ؟

سؤال وجهته للعقيد محمد محجوب سليمان مدير التوجيه المعنوى بالجيش السودانى . . قال : كان احلال السلام في ربوع الجنوب نقطة البداية الرئيسية لتحقيق الوحدة الوطنية . . ولم يكن الطريق سهلا ، ولكن عن طريق العمل الدائب والمتصل والجهد الصبور أمكن ان ينتظم الجنوب حتى تصبح الاتفاقية حقيقة وواقعا ، وحتى تثبت رايات الوفاق . . وعن طريق الايمان بضرورة تحد كل مايمكن أن يكون عقبة اندفعت قوات الشعب المسلحة في جنوب الوطن لتجعل المحال حقيقة ولتصنع من الصعب واقعا معاشا . .

انتشر جهد القوات المسلحة ليعطى كل شبر من ارض الجنوب عرقا غزيرا ، وجهدا صبوراً ، فمستولياتها جسام ، وحساسية ما هو مطلوب منها يضعها في مواجهة وتحدى ، لتكون كما يجب أن تكون ، حافظة للسلام واعية له ، حريصة على الوحدة ، ومستميتة على انجاز الوفاق . .



وكان الرئيس القائد جعفر نميري على رأس قوات الشعب المسلحة في كل موقع من مواقع العمل بالجنوب، تذكير للاخوة من رفاق السلاح بالواجب والمهام ومشيرا الى ان تحقيق السلام وسيادة روح الوفاق ، رهنا بانجاز أفراد قوات الشعب المسلحة وبذلهم بقدرتهم على الاندفاع والسيطرة بامثالهم لارادة الشعب في زرع الجنوب الاخضر بخضرة السلام والوئام . مسئوليات جسيمة .

كانت امام قوات الشعب المسلحة مسئوليات جسام . . اولها وأهمها ان أفراد جدد قد انتظموا في صفوفها . . وعلى أفراد قوات الشعب واجبات نحوهم ، أيوائهم وتدريبهم ، ثم بعد ذلك وفوق الانصهار معهم في وحدة واحدة تجسد بحق معنى الوحدة التي تحققت في الجنوب . . زيارات متصلة لمواقع العائدين .

ولقد كانت القيادة الجنوبية على وعى بدورها وخطورة ما هو منوط بها . اندفع القادة والضباط منذ الايام الاولى للاتفاقية في زيارات متعددة لوححدات القوات العائدة في مواقعها . شرحا للاتفاقية وتنويرا للاخوة العائدين بموقعهم الجديد . وبمكانيهم بين صفوف قوات الشعب أخوة ورفقاء سلاح ، تواصلت زيارات القادة الى معسكرات القوات العائدة على مدى الايام والاسباع عملا متصلا وبذلا لا ينقطع في كل موقع .

### لجان وقف اطلاق النار

ثم تكونت مع أيام الاتفاقية الاولى لجان وقف اطلاق النار لتعمل على الاشراف على عملية استتباب الامن والسلام . ولقد كان من المسعد حقاً ان اللجنة لم تجد مخرجاً للاتفاقية وهي بذلك الى الاشتراك في عمليات الاستقبال للعائدين وأعاشتهم وتوطينهم وتقديم الخدمات اللازمة .

### لجان الاستيعاب :

وقال العقيد محمد محبوب سليمان مكملاً :

ثم جاء بعد ذلك الدور الكبير في عمليات استيعاب القوات العائدة بدءاً بالاختيار ثم بالكشف والتدريب .

ولقد ظلت لجان ( التدريب ) الاستيعاب تعمل لاسباع وأشهر متواصلة ليلاً ونهاراً وهي تبذل كل جهدها وعرقها من أجل استكمال أهم بند من بنود الاتفاقية .

وانتظمت جميع مديريات الجنوب موجة من العمل الجاد والمتواصل ، فرزا للعائدين واللائقين للعمل بقوات الشعب المسلحة ، ثم اختيار مجموعة أخرى للعمل بمرافق الدولة المختلفة حسب الامكانيات والقدرات . وهكذا في

ظرف شهر واحد كانت صفوف من قوات العائدين تقف أمام مراكز الاستيعاب ليتم الكشف الأول لهم ، وفي أسابيع قليلة كانت معسكرات التدريب قد امتلأت بفواج القوات المستوعبة . . ومن ثم كان الجهد المكثف والمضني ، على امتداد الجنوب ، وفي كل مراكزه .

في واو ، وفي بسري ، وفي أويل وراجا ، وفي كل موقع من مواقع التدريب في المديرية الجنوبية كان الاخوة ضباط قوات الشعب المسلحة ومعهم المعلمون من ضباط الصف والجنود يبذلون الجهد المضني والمتواصل . سباقا للزمن والوقت ، تحقيقا للهدف من أجل تدريب المستوعبين بما يواكب احتياجات قوات الشعب المسلحة ومتطلباتها وظلت معسكرات تدريب القوات المستوعبة في كل أنحاء الجنوب تعمل في دأب متواصل وفي صمت وظل الاخوة المستوعبون يتقبلون بصبر وأناة كل التمارين الشاقة والتدريبات العنيفة التي تؤهلهم ليصبحوا أفراد عاملين في قوات الشعب بكفاءة وقدرة تجعلهم مفخرة في قوات الشعب المسلحة .

وكانت مديرية بحر الغزال هي أولى المديرية التي تم فيها اكتمال استيعاب قوات الأنثيا السابقة ، ومن هنا فقد كان تخريج الدفعة الأولى من المستوعبين في مديرية بحر الغزال وقد شهدت مدينة واو أسعد أيامها يوم احتفلت بتخريج أول دفعة من القوات المستوعبة .

وشهد الرئيس القائد هذه المناسبة ، كمناسبة تاريخية حققت بها قوات الشعب المسلحة بندا من أهم البنود الاتفاقية وأكبرها ، حيث أن استيعاب القوات العائدة كان يعد بحق هو أكبر بنود الاتفاقية أهمية .

وهكذا استطاعت قوات الشعب المسلحة ممثلة في حامية واو أن تثبت أولى دعائم الاتفاقية ولقد كان مستوى البذل والجهد الذي أعطى في التدريب قد انعكس في مستوى الانضباط العسكري ومستوى التدريب والكفاءة والتي شهدها جميع الحاضرين لحفل التخريج الذي أقيم ذلك اليوم في معسكر بسري بواو .

قوات الشعب المسلحة ، قد أوفت بكل ما يتعلق بها حفاظا للسلام وتثبيتا لدعائمه واستيعاب للاخوة تأهيلا وتدريباً لهم .

كل ذلك على طريق الانصهار الكامل بين قوات الشعب المسلحة كقوة قومية ، هدفها وحدة السودان . قدرها ومصيرها السلام في ربوع الوطن وجنوبه ، غايتها السبعة عشر عاما ، خضرة وسلاماً ورخاء .

## مناقشات في ملكال

### عاصمة مديرية اعالي النيل

هناك عدة حقائق خرجت بها من زيارتي لمديرية اعالي النيل . . أبرز

هذه الحقائق . . حقيقة اكدت ايماني بأن مصر والسودان قلب واحد لن تستطيع اية يد أن تفرق بينهما — مهما دسست من وثايات واكاذيب .

حقيقة أخرى تاكدت لى وهى زيف الادعاء الذى حرصت الدوائر الاستعمارية على ترديده طويلا . . وهو الادعاء بأن شمال السودان عربى وأن الجنوب افريقى وانه نتيجة لذلك فثمة مايرر انفصال الجنوب عن الشمال . . لقد رأيت فى ملكال كيف تمتزج العربية والافريقية امتزاجا تاما بحيث يستحيل التمييز بينهما حتى من الناحية النظرية ، وعندما نقلت هذه الملاحظة للصديق بترجات كوت محافظ المديرية اجابنى قائلا :

نحن سعداء حقا بسماع هذه الملاحظات . . ان الجميع يشعرون هنا بأنهم عرب وافريقيون فى وقت واحد وبدرجة متساوية ودون أن يثير ذلك فى نفوسهم أى تناقض أو تردد . . نفس المعنى اكده لى السيد ابيلى نائب رئيس الجمهورية ورئيس المجلس التنفيذى عندما قال : ان الاختلافات الثقافية والعنصرية الموجودة فى جميع أنحاء السودان بلا استثناء أمر واضح لا يحتاج لاقامة دليل ولكن وجود تلك الاختلافات الطبيعية لم يكن يفرض على السودان المستقل وجود خلافات سياسية خطيرة كالخلاف الذى حدث لولا السياسة التى اتبعتها الادارة البريطانية لنصف قرن من الزمان ولولا ضيق أفق بعض الحكام الحزبيون فى الشمال والجنوب معا قبل ثورة ٢٥ مايو .

## الموقع

وقبل ان اعرض للمناقشات الطويلة التى دارت فى ملكال عاصمة مديرية أعالى النيل أقدم لكم أولا المديرية . . انها تقع فى الجزء الشمالى من جنوب السودان ، تجدها فى الشرق مرتفعات هضبة اثيوبية وفى الجنوب المديرية الاستوائية وفى الشمال والشمال الغربى مديرتا النيل الأزرق وكردفان وفى الغرب مديرية بحر الغزال . وتنحصر رقعة مديرية أعالى النيل بين خطى عرض ٦ ، ١٢ درجة من ناحيتى الشمال والجنوب . أما من ناحية الشرق فتتمدد من الحدود الاثيوبية عن خط طول ٣٥ حتى خط طول ٢٨٥ درجة .

ومعنى ذلك أن المديرية تمتاز بكثير من مشاكل الحدود التقليدية عند القبائل حيث تمتد حدودها الدولية والداخلية فتؤثر بذلك تأثيرا مباشرا على العلاقات القبلية فى نواحي الزراعة والصيد والمرعى .

ومساحة مديرية أعالى النيل ٢٣٦١٨٠ كيلومترا مربعا تقريبا ومن ناحية جغرافية هى عبارة عن مساحة طينية منخفضة ومنبسطة تحفها تلال صغيرة متفرقة . ولعل أبرز ما يميز الجزء الذى يقع جنوبى « ملكال » العاصمة هو وجود المستنقعات الواسعة وبها توجد منطقة السدود المشهورة



التي تتسبب في ضياع كميات هائلة من مياه النيل عن طريق التبخر والتسرب والذي يأمل الخبراء في تفاديه عن طريق شق قناة جونقلي . ونظرا لان المديرية تقع في منطقة السدود فان المياه والحشائش تغطي جزءا كبيرا من مساحتها كما أن المصرف الطبيعي للمستنقعات التي تملأ جنوب المديرية هو بالطبع مجرى النيل الابيض الذي تصب فيه عدة فروع وأنهر أهمها السوبات وبحر الزراف وبحر الغزال كما توجد عدد من البحيرات والبرك الكبيرة في هذه المنطقة أهمها بحيرة نو وبحيرة نيونق .

يدخل بحر — الجبل مديرية أعالي النيل من الناحية الجنوبية من المديرية الاستوائية وهنا يقل انحدار الأرض فتتخفص سرعة جريان النهر ويصل انخفاض سرعته الى درجة كبيرة فينتشر ويتوه في أراضيها الواسعة المسطحة وتتكون بذلك منطقة السدود التي تغطيها المياه معظم أيام السنة وتشمل هذه المنطقة مراكز بور وفنجاك وجزءا من مركز بنتيو بالمديرية . . يتفرع نهر الجبل شمال جونقلي الى فرعين يسمى الشرقي منها بحر الزراف وتقع بينهما جزيرة الزراف ثم يلتقيان مرة أخرى شرقي قرية تونجة .

ويلتقي نهر السوبات بنهر الجبل جنوب مدينة ملكال بحوالي سبعة عشر ميلا ويشق نهر السوبات المديرية من الشرق الى الغرب حيث ينحدر من المرتفعات الاثيوبية . ونهر السوبات يتكون من ثلاثة أفرع هي أكوبر ونهر البيبور ونهر بارو في الشمال . عند دخول هذه الانهار الى المديرية من اثيوبيا ونتيجة لسطح المديرية المستوي ، تقل سرعة هذه الانهار وتتم بذلك عملية ترسيب كبيرة للطمي في المناطق التي تمر عليها هذه الانهر . وعند مدينة ملكال تسير كل هذه الفروع شمالا مكونة نهر النيل الابيض ويسير أيضا في أراضي طينية مسطحة حتى حدود مديرية النيل الازرق شمال مركز الزنك بمديرية أعالي النيل .

### الارض والتربة : (١)

يتكون الجزء الاكبر من مديرية أعالي النيل من أرض السافانا بحشائشها الطويلة وأشجارها القليلة المتفرقة وغاباتها الصغيرة وكل أراضيها مسطحة وطينية . . ماعدا في بعض الأماكن المتاخمة للمديرية الاستوائية في مركز بوزو الاراضي الاثيوبية في مركزي الناصر وأكوبر حيث تغطي الأرض بعض الغابات ذات الطبيعة الاستوائية هنالك أيضا منطقة جبلية في الجزء الجنوبي الغربي من المديرية حيث تقع هضبة بوما ذات المناخ الفريد .

واستواء سطح أراضي هذه المديرية يتضح من ملكال شمالا حيث يبلغ

---

( ١ ) راجع كتاب مديرية أعالي النيل . . صدر عن وزارة الثقافة والاعلام السودانية عام ١٩٧٤ .

الانحدار سنتيمتر واحد في الكيلو متر الواحد ويبلغ انحدار الارض من بور الى الخرطوم وهى مسافة ٨٠٠ ميل يبلغ ١٣٥ قدما فقط ويتأثر الغطاء النباتى بكمية الامطار ونوعية التربة فيتدرج هذا الغطاء من الجنوب الى حشائش قصيرة موسمية فى الشمال ومن كثافة متوسطة شجرية فى الجنوب الى كثافة حشائشية خفيفة فى الشمال ويستثنى من هذا منطقة السودو حيث تغمرها المياه وتنعدم فيها اسباب الحياة للنبات .

وتمتاز التربة فى هذه المديرية بخصوبة عالية وتقل الخصوبة نسبيا وتدرجيا نحو الجنوب الغربى . . اما تربة منطقة السدود فرغم انها طينية خصبة الا انها تأثرت كثيرا بالزراعة عاما بعد عام حيث قلل ذلك من درجة خصوبتها وذلك لتكرار الزراعة فى الاراضى القليلة العالية التى لم تغمرها المياه . . وتبلغ منطقة الفيضانات هذه حوالى ٢٠.٠٠٠ كيلومتر تغمرها المياه لارتفاع قدم واحد فى المتوسط لعدة أشهر فى السنة وعليه يمكن الاستفادة منها فى زراعة الارز وتربية الاسماك حيث تنفرد هذه المنطقة بوفرة فى الثروة السمكية لوفرة المياه والغذاء للأسماك .

وعموما فان المديرية تمتد فى اراضى مسطحة سوداء مع بعض المرتفعات الصغيرة المتفرقة والتى لايزيد ارتفاعها ٥٠ متر وتتكون المديرية جيولوجيا من الطبقة المعروفة باسم « تكوينات ام روابة » وهى طبقة تختلط فيها الرمال مع التربة الطينية ، ولكن هذه الطبقة لا تظهر على سطح الارض .

### منطقة السدود :

تحتل منطقة السدود جزءا كبيرا من هذه المديرية وهى منطقة مسطحة تنتشر فيها مياه النيل وتتفرع بحيث يتعذر على المشاهد تمييزا أو معرفة مجرى النهر الاصلى وهى منطقة فيها التبخر بنسبة لكبر حجم سطح المياه وركودها . وتشق فروع النهر طريقها وسط حشائش البردى الكثيفة التى تمتد الى عدة أميال فى كلا ضفتى النهر ويقدر فاقد المياه فى هذه المنطقة بنصف الكمية .

يمكن تقسيم منطقة السدود بأعلى النيل الى ثلاثة أقسام رئيسية تشمل جزءا كبيرا من المديرية :

#### (أ) منطقة الحجر الحديدي :

ان التركيب الجيولوجى لهذه المنطقة يؤثر على سطحها وطبيعة النبات فيها . فالتربة متموجة ومسامية وذراتها أخف من ذرات تربة منطقة الفيضانات وهى منطقة ذات تصريف سهل وتشمل هذه المنطقة جزءا صغيرا من جنوب المديرية .

## (ب) منطقة الفيضانات :

يُقع الجزء الرئيسى من منطقة جونقلي فى هذه المنطقة وانحدار الارض هنا بسيط للغاية حيث يبلغ حوالى عشرة سنتيمترات للكيلو متر الواحد والتربة هنا غير مسامية والامطار ما بين ٦٠٠ الى ٩٠٠ مليمتر فى العام . وقد أدت هذه العوامل مع عدم تحمل قنوات النهر للمياه الى حفظ المياه وتعريض المنطقة للفيضانات أثناء موسم الامطار . ولكن توجد بالمنطقة بعض الجزر أو المناطق المرتفعة التى يلجأ اليها السكان بماشيتهم فى زمن الحريف وحتى هذه الجزر تغمرها المياه فى بعض المواسم المطرية فيؤدى ذلك الى تشريد السكان وهلاك الماشية . أما النباتات الطبيعية فى هذه المنطقة فهى حشائش السافانا الطويلة وغابات الهشاب المدارية وعموما نجد أن جزءا كبيرا من هذه المنطقة تغمره المياه .

## (ج) المنطقة الجافة :

ومتوسط الامطار فى هذه المنطقة اقل من ٦٤٠ مليمترا والتربة الرملية والطينية أحسن تصريفا من منطقة الفيضانات وأما نباتاتها فهى النباتات المدارية والحشائش الطويلة والقصيرة .

## أعشاب النيل :

تكسو مجرى نهر النيل على امتداد المديرية أعشاب النيل وهى أصلا من نباتات أمريكا الجنوبية وأول ما ظهرت فى عام ١٩٥٨ بعد عامين من الاستقلال عند مدينة بور وتقوم وزارة الزراعة - قسم مكافحة أعشاب النيل - بجهود كبيرة لبادتها والطريقة المتبعة حاليا هى رش هذه الأعشاب بالطائرات والرفاصات ثم سحبها للشاطئ وحرقها وتتركز أضرار هذه الأعشاب بالنسبة للمديرية فى الآتى : -

- ١ - إعاقة الملاحة النهرية .
- ٢ - زيادة فاقد المياه .
- ٣ - فقدان الثروة السمكية بسبب حرمان الأسماك من الضوء والأكسجين .
- ٤ - نوالد الحيوانات الضارة .
- ٥ - قفل مداخل المصاريع .



والمشكلة الرئيسية في مكافحة أعشاب النيل أن بذورها تعيش  
سبع سنوات دون أن نموت ولذلك فإنها تتوالد وتتزايد بسرعة  
مذهلة .

والسد كلمة تطابق على نباتات تطفو في الماء وتنبت فيها وتسبب عائقا  
لحركة الملاحة ونباتات. هذه السدود تنقسم الى ثلاثة أنواع تبلغ جذوره الأرض  
وغالبا ما يكون من البردى والعنبر . ونوع لا تبلغ جذوره الأرض بل تبقى  
منتشرة في الماء ونوع ثالث يطفو كله على وجه الماء . والسد الحقيقي مكون من  
الأنواع الثلاثة والنوع الأول يقتله الماء إذا علا الماء عليه فيتكون ويجري به  
الماء إلى أن يلتقي بكوم آخر أو يقف في منعطف النهر فيقف وتصل إليه  
النباتات من النوع الثاني والثالث فتندمج الأنواع كلها ويتكون منها سد متين  
يعترض النيل من الشاطئ إلى الشاطئ، الآخر ويزداد طولاً بوصول نباتات  
جديدة إليه حتى يصير طوله عدة أميال وهو في كل مرة يقوى ويزداد متانة  
لدرجة يستطيع منها الإنسان العبور إليه وقد يبلغ سمكه نصف متر أو متر  
أو أكثر وتعلو نباتاته من خمسة إلى ثلاثين قدما ويعرقل سير السفن وهذه  
السدود لا تتكون من مصب نهر سوباط وشماله لأن هذا النهر سريع الجرى  
جدا ويندفع ماؤه بقوة في النيل الأبيض ويصد السدود الآتية من الجنوب  
إلى يساره .

### مشروع قناة جونقلي :

نتيجة لأبحاث ودراسات فريق عرف باسم فريق جونقلي قدم اقتراح  
نتيجة لدراسات هذا الفريق في عام ١٩٣٢ شق قناة تسمى قناة جونقلي تبدأ  
من جونقلي شمال مدينة بور وتنتهي جنوبي ملكال وذلك لتمر المياه التي تتوه  
في المستنقعات عبرها إلى النيل الأبيض كما اقترح الفريق أيضا تجسير بحر  
الجبل على طول ضفتيه . وتتولى دراسة هذا المشروع والقيام بتنفيذه مستقبلا  
الهيئة الفنية المشتركة لمياه النيل لجمهوريتي السودان الديمقراطية وجمهورية  
مصر العربية . . ويشتمل هذا المشروع الضخم على الأعمال الرئيسية الآتية :

١ — إنشاء قناطر على بحر الجبل ونهر الالم وإنشاء قناطر الفم وقناطر  
مصب لقناة جونقلي المقترحة .

٢ — إنشاء قناة جونقلي بقطاع جزئي لتمرير تصرف قدره ٢٠ مليون متر  
مكعب في اليوم لتوصيله إلى النيل الأبيض قرب مصب السوباط  
فوقد معقولة ولرى الاراضى المقرر استصلاحها على طول القناة على  
أن تمر المياه الباقية في مجرى الجبل ولزراف .

ومن المقرر أن يستغرق المشروع في مرحلته الأولى خمسة سنوات ويكفل  
فرص العمل لخمسة آلاف شخص في اليوم الواحد بالإضافة إلى الانتعاش

الاقتصادى الذى يصحب تنفيذه كما انه سيجلب رخاء عظيمًا على المنطقة بعد التنفيذ ويتيح لجمهورية السودان الديمقراطية استغلال نصيبها من المياه وهو نصف العائد من المشروع ويقدر بـ (١٧٥٠) مليون متر مكعب ألف وسبعمائة وخمسين مليون متر مكعب سنويا تكفى لاستصلاح واستزراع أراضى جديدة قد تصل الى مليون فدان مايساعد على الازدهار الاقتصادى للبلاد ونقل المنطقة التى تمر بها القناة من طور البداوة والترحال الى طور الاستقرار والزراعة .

### المناخ والامطار والفصول :

تتمتع مديرية أعالي النيل بطقس متشابه فى أغلب أجزائها مع اختلافات بسيطة فى كميات الامطار وفى منطقة بور جنوبى المديرية يبدأ موسم الامطار مبكرا فى شهر ابريل والطقس هنا اكثر برودة أما فى الاجزاء الشمالية من المديرية مثل منطقة الرنك فان الامطار تبدأ عادة فى شهر يونيو وتميل درجة الحرارة الى الارتفاع . اما بقية أجزاء المديرية فان موسم الامطار بشكل عام يبدأ فى شهر مايو وينتهى فى أوائل شهر نوفمبر عندما تخف حدة الرياح الجنوبية الغربية وتهب الرياح الشمالية الجافة . ومتوسط هطول الامطار هو ٢٧ بوصة فى السنة وأعلى درجة للحرارة ٩٣ر٥ درجة فهو نهايته وأدناه ٧٠ر٨ درجة فهرنهايت .

بعد انحدار بحر الجبل من الهضبة الاستوائية جريان النهر مسافة أربعمائة ميلا ويعبر فيها أرضا بسيطة ثم يلتقى بحر الغزال فى بحيرة نو . وابتداء من بور جنوبى المديرية وحتى الخرطوم وهى مسافة تبلغ أكثر من ٨٠٠ ميل درجة انحدار حوض النيل تبلغ ١٣٥ قدما فقط . وتغطى النصف الاول من هذه المسافة من النيل مستنقعات واسعة تكسو أعشاب البوصى والبردى . وتعرف هذه المنطقة بمنطقة السدود وهى مستنقعات تصعب فيها الملاحة وفى هذه المنطقة يفقد نهر النيل نصف محصوله المائى بسبب التبخير، وتجري الدراسات بين حكومتى السودان ومصر لشق يسمى قنال جونقلي يبدأ من جونقلي حتى جنوبى ملكال ويمكن عن طريق تقليل فاقد المياه وتوفير كميات ضخمة منها لأغراض الرى فى البلدين كما ستكون هذه المنطقة منطقة رعوية ممتازة بعد اختفاء المستنقعات منها .

أما بحر الغزال فهو أكثر فروع النيل التى تضيع مياهه فى المستنقعات بسبب التبخير وفى الحقيقة تصل منه كمية قليلة جدا من المياه الى النيل الرئيسى بسبب السدود والمستنقعات .

عند خروج بحر الجبل أو بحر الرجاف من الهضبة الاستوائية وبعد مسافة ٤٧٠ ميلا يتفرع منه بحر الزراف ويسير البحران شمالا منفرجين الى أن يبلغا خطا عرض ٩ ويكون الرجاف على نحو ٢٠٠ ميل من نقطة انفراج

الزراف عنه • عندها يلتقى بحر الجبل أو الرجاف ببحر الغزال وهو بحر كبير آت من الجنوب الغربى ويتألف من عدة أبحر أشهرها وأهمها بحر العرب ثم يسير النيل شرقا ٤٥ ميلا فيقترن ببحر الزراف ويسير ٢٥ ميلا أخرى فيقترن بنهر سوبات الآتى من الجنوب الشرقى من الهضبة الاثيوبية • ثم تجرى النيل الابيض شمالا مسافة ٥٠٠ ميل ونيف من مصب نهر سوبات و ١٥٣٠ ميلا أو حوالها من مخرجه الاول من بحيرة فكتوريا فليتنقى بالنيل الازرق عند مدينة الخرطوم •

أما نهر سوبات فهو يؤثر كثيرا على درجة ارتفاع وانخفاض النيل الابيض وهو يعتمد على أمطار الصيف الموسمية فى اثيوبيا • ونهر السوبات يخترق سهولا واسعة فى مراحلها الاولى والوسطى حيث يلتقى بالنيل الازرق عند مدينة الخرطوم بفرعيه الكبيرين نهر البيبو ونهر بارو •

### المجلس التنفيذى الشعبى

ساعدتنى المعلومات الوفيرة التى قدمها لى ابييل الير نائب رئيس جمهورية السودان على تكوين فكرة واضحة عن مديرية أعالى النيل قبل أن أصل اليها •

ولقد تلقيت من الصديق بيجرات كوت محافظ المديرية أكثر من دعوة لزيارة معظم المناطق الادارية هناك مثل الرنك وكدوك وبنتيو وفنجاك وبور والبيبور واكوبو والناصر وسوبات وكان الرجل كريما معى عندما أصر على أن أحضر اجتماعات المجلس الريفى الشعبى فى كل منطقة من هذه المناطق لأستمع اليهم وأناقشهم فى كل قضاياهم وكانت لفظة كريمة من الأعضاء عندما أصروا على أن يتحدثوا معى باللغة العربية تكريما لشقيق من مصر التى يكون لها محبة خاصة •

وهناك سألت أولا عن المجلس الشعبى وتكوينه واختصاصه ؟

وقيل لى أن مجلس الوزراء هو الذى ينشئ المجلس الشعبى التنفيذى ويخول له الصلاحيات اللازمة لادارة المرافق العامة فى المديرية ... بالطبع ماعدا تلك التى تتعلق بالقوات المسلحة والامن القومى والمواصلات والقضاء وأية مرافق أخرى تستثنى فى أمر التأسيس وفقا لما جاء فى قانون الحكم الشعبى المحلى لسنة ١٩٧١ •

وقيل لى أيضا أن مجلس تنفيذى شعبى مديرية أعالى النيل يتبع اداريا للمجلس التنفيذى العالى للاقليم الجنوبى وفقا لقانون الحكم الذاتى الاقليمى للاقليم الجنوبى لعام ١٩٧٢ • وأما محافظ المديرية فيتم تعيينه بواسطة رئيس الجمهورية بدرجة نائب وزير ويختار من ذوى الكفاءة العالية والخبرة والمقدرة الادارية العالية وهو مسئول عن الادارة الحسنة فى المديرية وهو



الممثل الادارى والسياسى للدولة وللـمجلس التنفيذى العالى للـلاقليم الجنوبى على مستوى المديرية ويحافظ على النظام الثورى الاشتراكى الذى أقامته ثورة مايو وهو يرأس المجلس الشعبى والموظفين ومسئول عن الأمن بالمديرية وهو فى نفس الوقت أمين عام الاتحاد الاشتراكى السـودانى بالمديرية .

ومن الوحدات الادارية بالمديرية الادارة الاهلية وهى لم تتأثر بقرار التصفية الذى أعلنه ونفذته ثورة الخامس والعشرين من مايو والذى استثنى المديريات الجنوبية الثلاث لظروفها القبلية . ويتولى أمر الادارة الاهلية فى المديرية السلاطين ووكلاؤهم والعمد والمشايخ . ويختلف وضعهم من مركز الى آخر . وفى بعض المراكز يجمع هؤلاء السلاطين والمشايخ بين السلطتين الادارية والقضائية وفى البعض الآخر ينحصر دورهم فى النواحي القضائية أو الادارية .

### المحاكم والقضاء

ماذا عن الأمن والقضاء هنا ؟ أن طبيعة الوضع القبلى تتطلب أن يكون هذا الجهاز قويا ؟ ثم ما هى مصادر التشريع عندكم ؟

قال أزيونى موجهها حديثه لأعضاء المجلس : اسـمحوا لى أن أتولى الاجابة على هذا السؤال . فهو من اختصاصى .

وعندما التفت ناحيته للاستماع قال لى أحدهم مبتسما : انه قاض والقضاء يميلون عادة الى الحديث الطويل . . انه عملهم الوحيد .

وابتسم أزيونى لهذه المداعبة ثم قال :

القضاء فى المديرية يشرف عليه قاض مديرية مقره ملكال كما يوجد بمدينة ملكال قاضى مقيم وقاضى جزئى للقضائين الجنائى والمدنى كما تصدق بتعيين قاضى مقيم بكل من الرنك وبور . أما فى بقية المراكز فان رئيس القضاء فى الوقت الحاضر يعين مفتش الحكومة المحلية قاضيا مقيما لدائرة مركزه وضابط المجلس قاضيا من الدرجة الثانية وذلك حتى يعم نظام القضاة فى جميع المراكز . كما توجد بملكال محكمة شعبية مكونة من اثنى عشر عضوا تنظر فى القضايا المدنية والجنائية البسيطة .

وقال : وتوجد دائرة للأحوال الشخصية للمسلمين ومن المقرر افتتاح دائرة أخرى فى شمال المديرية فى مدينة الكرنك .

ويحكم القضاء الاهلى على حسب العرف والتقاليد القبلية ويتكون من أعضاء المحاكم الاهلية من السلاطين والعمد والمشايخ من رجال الادارة

الأهلية . والمحاكم الأهلية تنقسم الى محاكم رئيسية ومحاكم فرعية ويرأس الرئيسية السلاطين بينما يرأس الفرعية العمدة . ويبلغ مجموع محاكم السلاطين والعمدة بالمديرية ١٢٢ محكمة .

### السكان والقبائل

سألت عن عدد السكان في مديرية أعالي النيل واشهر قبائل المديرية وعدد كل قبيلة ؟

قال لى أحدهم واسمه باتريس :

يبلغ تعداد سكان مديرية أعالي النيل حسب تقديرات ١٩٧٣/٧٢ ١٣٨٠٠٠ نسمة بنسبة ٧٥ شخصا لكل كيلومتر مربع . وقبيلة النوير هي أكبر قبائل المديرية من الناحية العددية حيث يبلغ تعدادها أكثر من ٧٢٠٠٠ نسمة ويحتلون أكبر مساحة في المديرية تنتشر في أربعة مراكز هي الناصر وأكوبو وفنجاك وبنيتو . تليهم في العدد قبيلة الدينكا حيث يبلغ تعدادهم ٢٧٠٠٠ نسمة تليهم قبيلة الشك حيث يبلغ تعدادها حوالي ١٩٠٠٠ نسمة ثم قبيلة المورلي ويبلغ تعدادها حوالي ٦٢٠٠٠ نسمة ، قبيلة البرون ويبلغ تعدادها حوالي ٦٣٠٠٠ نسمة ثم قبيلة الأنواك ويبلغ تعدادها داخل السودان حوالي ٩٠٠٠ نسمة وتوجد قبائل أخرى متنوعة تسكن المديرية يبلغ تعدادها حوالي ٥٢٠٠٠ نسمة .

تسكن قبيلة النوير في أربعة مراكز بالمديرية هي مراكز بنيتو وفنجاك والناصر وأكوبو وتشكل القبيلة الغالبة الساحقة في هذه المراكز بينما تشكل قبيلة الدينكا كل سكان مركز بور ماعدا أقلية بسيطة من الأقليات من القبائل الأخرى كما يشكل الدينكا غالبية سكان مركز الرنك وسوبات ويكاد الشك يشكلون كل سكان مركز كدوك ماعدا بضعة آلاف من القبائل الأخرى كما يشكلون غالبية سكان منطقة ملكال . ويمثل المورلي الغالبية الساحقة من سكان مركز البيبور ماعدا أقلية بسيطة من قبيلة الأنواك والقبائل الأخرى ويتوزع أفراد قبيلة الأنواك السودانيون في مركزى أكوبو والبيبور .

### علاقات القبائل الرئيسية

سألت عن نوعية العلاقات بين القبائل هناك وعرفت أن بعض قبائل المديرية تقيم في كل من السودان وأثيوبيا . مثلا قبيلة النوير أكثرها تقيم بالسودان وقليل من أفرادها يقيمون في أثيوبيا وبعضهم يتجول بين السودان وأثيوبيا بمشيئتهم دون اهتمام أو اكتراث لكان تواجدهم . كما أن أغلبية قبيلة الأنواك تقيم بأثيوبيا وجزء غير قليل منهم يقيم بالسودان . وقد خلق هذا التقسيم في إقامة أفراد القبيلة الواحدة وتعدد القبائل الكثير من

المشاكل والمنازعات القبلية والتي تروح ضحيتها الكثير من الأرواح والممتلكات . مثال لذلك ما يحدث من وقت الآخر بين قبيلتي المورلى والدينكا في حدود مركزى بور والبيو وما بين المورلى والنوير في مراكز بور وأكويو والبيو أو ما يحدث بين قبيلتي الدينكا والنوير في جهات بنتيو وحدود مديرية بحر الغزال أو بين قبيلة نزه من النيل الأزرق ودينكا الرنك ومشاكل القبيلتين الأخيرتين تسببها الهجرة جنوبا من أجل المرعى ومع أن هذه القبائل تعتمد في معيشتها على الماشية فقد يظن البعض أنها قبائل رحل غير أن توفر الماء والمرعى الجيد جعلهم يقيمون أساسا في أماكن ثابتة متفرقة غالبا ماتكون بالقرب من شواطئ الأنهر . ويباشر أفراد هذه القبائل بجانب الرعى الزراعة وصيد السمك .

ولكل قبيلة من هذه القبائل لغتها الخاصة وعاداتها وتقاليدها التي تعتر بها . أن قبائل مديرية أعالي النيل الرئيسية وهي القبائل النيلية الشهيرة أبناء عمومة بعيدة نمت بينها الاختلافات بحكم تطور الزمن والنظام الاجتماعى والاقتصادى إلا أن بينها كثير من أوجه الشبه . وحتى لهجات بعض القبائل مفهومة لدى القبائل الأخرى . والقبائل الرئيسية المعنية هي كما ذكر من قبل النوير والدينكا والشلك وهناك قبائل أصغر هي المورلى والأنواك والبرون .

وهذه القبائل الرئيسية الثلاثة كما قيل لى تشبه بعضها من النواحي الثقافية والاجتماعية . فالنوير والدينكا يكونون معا فرعا من القبائل النيلية من ضمن مجموعة شرق افريقيا الثقافية . أما الفرع الآخر من القبائل النيلية والذي يمثل مجموعة متشابهة فهم الشلك والقبائل الأخرى التي تتكلم لغة تشبه لغة الشلك وهي اللاو والأنواك وغيرهم . والدينكا والنوير يشبه بعضهم البعض الى حد كبير من الناحية الجسمانية وهناك شبه كبير أيضا في لغاتهم وعاداتهم مما يوحى بأن تاريخهم وأصلهم واحد . مثال آخر جماعة ( الأتوت ) من النوير — وهم يسكنون غرب النيل — يبدو أنهم قد تشربوا بكثير من عادات الدينكا بينما فرع الجيكاني من أرض النوير يقال أنهم من أصل قبيلة الدينكا وعلى كل فالاتصالات الكثيرة والمستمرة بين القبيلتين قد نتج عنها الكثير من التزاوج والتبادل الثقافى ويشعر أفراد القبيلتين فى داخل أنفسهم أنهم من أصل واحد بل أن أسباطير القبيلتين ترجع أصلها الى أب واحد حيث تقول أسطورة النوير أن والدهم كان له أبناء أحدهما ( مونيجانق ) وهو دينكاوى والآخر ( مونيتوير ) وهو نوير أوى وكان الرجل يملك عجلا وبقرة وكان يجب ابنه النويراوى فأعطاه العجلة ، ولكن ابنه الآخر ( مونيجانق ) غضب لذلك واستولى على العجلة فشكاه ابنه الآخر ( مونيتريو ) النويراوى لأبيه ولكن أباه رجاء أن يتركها له وقال له ( يابنى أنك سستعيش حياتك كلها تتعقب تلك العجلة وتريد الاستيلاء عليها ) وذلك هو السبب كما يقول رواة الأسطورة فى أن النوير لا يزالون يغيرون على الدينكا وينهبون أبقارهم لاعتقادهم فى دخيلة أنفسهم أنها أصلا أبقارهم ! أما الابن الدينكاوى فقد ذهب وسكن بعيدا



عن أخيه الآخر بعد ما استولى على عجلته وبذلك تكونت القبيلتين وأكن ذلك يثبت على حسب رواية الأسطورة أن القبيلتين من أصل واحد .

### فتش عن البقرة

سألت عن طريق معيشة هذه القبائل والموارد التى تعتمد عليها .

● قال لى كابرال :

تعتمد قبائل المديرية الرئيسية فى معيشتها على رعى البقر والزراعة وصيد الأسماك . وهذه القبائل هى أساسا قبائل « ليو » الجنوبية وهى النوير والدينكا والشلك والانواك . وتتفاوت أهمية كل من تربية الماشية والزراعة وصيد الأسماك تبعاً لما تملك كل قبيلة من ماشية .

والماشية عند هذه القبائل لها قيمة اجتماعية أكثر منها اقتصادية حيث تعتمد سمعة الفرد ومكانته فى القبيلة على قدر ما يملك من ماشية . كما أنها تستخدم فى سداد المهور عند الزواج . . . ويعلق النيليون أهمية كبرى على ماشيتهم وكل تفكيرهم وحياتهم تدور حولها وفى هذا يقول عالم الانثروبولوجيا الاجتماعية المشهور ايفانزيريتشارد :

( ان النوير رعاة بالفطرة . . والعمل الوحيد الذى يجلب السرور لهم هو العناية بالابقار . . فالابقار هى أعز ما يملكون ، وأنهم ليعرضون أنفسهم للمخاطر ، على طيب خاطر ، لحمايتها أو لنهب ابقار جيرانهم ويدور أكثر نشاطهم حول الابقار ، حتى يكاد يحور لديهم المثل المشهور : « فتش عن المرأة » للقول « فتش عن البقرة » ، وهذه أفضل نصيحة يمكن أن تقدم لمن يرغبون فى فهم سلوك النوير وعاداتهم وتقاليدهم ) .

وقال : وهجرة هذه القبائل محدودة بسبب الحشائش الطويلة والنهيرات المتعددة . فالأراضى التى تنمو فيها الحشائش تغمرها المياه لمدة طويلة فى السنة ولذلك فالنيليون من أهل الماشية يهاجرون سنوياً من إحدى ضفتى النيل الى الضفة الأخرى أو الى الأراضى العالية التى لا تغمرها مياه الفيضان وتتوفر فيها الحشائش . وتوجد فى تلك الأراضى العالية قرى دائمة ، تحوطها الأراضى اللازمة للزراعة ، فى موسم الأمطار والأراضى اللازمة للرعى أيضاً ويكثر الأهالى فى هذه القرى عادة من مايو الى أكتوبر أو أكثر قليلاً فى الوقت التى تكون فيه بقية الأراضى مغمورة بمياه الأمطار أو الفيضان وتقل مخاطر الفيضان فى نهاية شهر أكتوبر وبداية شهر نوفمبر .

يبدأ النيليون الهجرة بماشيتهم تجاه الأراضى المنخفضة حين تتوفر الحشائش الصالحة للمرعى وربما قاموا باحراق تلك الحشائش لتنمو مكانها حشائش خضراء أجود للمرعى ويستعين رعاة الماشية فى شربهم وشرب

بهائمهم بالخيران والمستنقعات ولكن عندما تبدأ الخيران والمستنقعات في الجفاف يبدأ السكان الهجرة بهائمهم تجاه نهر النيل الرئيسى .

وتتوافر المراعى أيضا على امتداد النهر وفي السهول وهى قد تكفى قطعان القبائل حتى بداية موسم الامطار .

وهجرات القبائل النيلية — النوير والشلك والدينكا — قصيرة اذ لا تهاجر القبيلة الا فى مدى مائة ميل أو اقل فى المنطقة الوسطى ، بل أن قبائل الشلك ودينكا الشمال تهاجر الى حدود اقل من ذلك بكثير على امتداد النيل الابيض والهجرة لا ترتبط باتجاه معين بقدر ما ترتبط بمورد المياه أو العشب وقبيلة الانواك على عكس اخوانهم قبائل الدينكا والنوير والشلك اقل اهتماما بالابقار ولذلك فانهم اكثر استخداما للماشية فى البيع والذبح . . . . . والماشية عند هذه القبائل قليلة اللبن بسبب عدم توافر العناية العلمية والمرعى الصحى ويتراوح انتاج البقرة بين ثلاثة وأربعة أرطال يوميا وهم يحلبونها مرتين فى اليوم . والابقار لا تذبح للحمها الا نادرا ويكون ذلك خلال الاعياد والمواسم كل عام .

وأضاف : يبنى النيليون قراهم على الاراضى العالية وهى تتكون من عدة قرى وتبنى كل أسرة عدة أكواخ ومعها حظيرة كبيرة للماشية تسمى « لواك » .

وعندما تنحسر مياه الفيضان يهاجر الفتيان المسئولون عن الرعى الى السهول الفيضية ويبنّون مباني مؤقتة من القش تقيمهم رياح البرد . ثم يتبعهم الى السهول الفيضية الكهول والنساء والاطفال عندما يفرغون من جنى المحصول . ويبعد مصدر المياه عن القرى المستديمة فى منطقة بور حيث قبائل الدينكا جنوب المديرية . يهاجر الدينكا مسافة خمسين ميلا تقريبا ما بين النيل وأطراف بور ، بينما تجد الشلك مثلا تقف مراعيهم فى أطراف ملكال شمالا بالقرب من النهر بل أن كثيرا من الشلك يتمكنون من قضاء جميع أيام السنة فى قراهم المستديمة ويتصلون يوميا بالذين يرعون الماشية . وتعتمد مساحة الاراضى العالية كل عام على درجة فيضان نهر الجبل وغزارة الامطار الموسمية . واذا تجاوز أحدهما المنسوب العادى تتعرض المنطقة بأسرها — سكانا وحيوانات ومزروعات — الى مخاطر الفيضان وقد تنفق الماشية أما بسبب الفيضان أو انعدام المرعى .

أما الزراعة فتأتى فى المرتبة الثانية من الاهمية بالنسبة لقبائل المديرية الرئيسة . والزراعة دائما ما تكون فى الاراضى العالية التى لا تغمرها الفيضانات ويزرع السكان أيضا فى بعض السهول الفيضية فى شمال ملكال وفى الجنوب الغربى مثل زراعة السلوكة فى شمال السودان . . . كما توجد أراضى زراعة الحريق على ضفتى النيل الابيض شمال ملكال . والمحصول الرئيسى الذى يقوم السكان بزراعته هو الذرة الشامى وهم يزرعون دائما فى مزارع عائلية صغيرة تكفى لقوتهم الضرورى فقط .

وتعتبر الثروة السمكية ثروة رئيسية ضخمة بالنسبة للاقليم الجنوبي عموما ولاعلى النيل بصفة خاصة وتكثر الاسماك بصفة رئيسية في منطقة بحر الجبل ونهر السوبات والنيل الابيض . وتعتبر الاسماك بالنسبة لقطاعات كبيرة من السكان المورد الرئيسى للنقد والغذاء . ويصطاد السمك بكميات تجارية جنوبى ملكال وعلى نهر السوبات ويشمل صيد الاسماك الانتاج الطازج والمجفف والذي يعرض للبيع فى القسرى وفى ملكال ويصدر السمك المجفف الى الاقطار المجاورة مثل زائرى .

## قبائل مديرية.أعلى النيل

### تاريخها وطرق معيشتها (١)

اولا : قبيلة النوير :

وهى اكبر قبائل المديرية ويبلغ تعدادهم حوالى ٧٢.٠٠٠ نسمة وهم يقطنون فى أربعة مراكز وهى شرق النوير فى الناصر وغرب النوير فى بنتيو ثم اللاو نوير فى اكوبو ووسط النوير فى الرجاف او منطقة وادى الزراف وتقع أرضهم ما بين خط عرض ٣٠°٧ الى ٣٠°٩ شمالا . وتنقسم قبيلة النوير الى عدة فروع تكاد تكون قبائل قائمة بذاتها . ففى منطقة شرق النوير هنالك القاجاك والقاجوك والجيكاني اما اللاونوير فيسكنون منطقة ابونج . اما فى اكوبوفهنالك المورو القون وفى منطقة وادى الزراف يقطن اللاك قـوار والثيانق اما منطقة غرب النوير فتقطنها قبائل الليك والبول والجاقى والروك والدور والريانقيان . . وتنقسم كل من هذه الفروع الرئيسية الى افرع أصغر حسب المناطق التى يسكنونها . والنوير يمتازون بالقامات الفارعة والافراف الطويلة ويشبهون الدينكا الى حد بعيد وذلك ربما يرجع الى وحدة أصلهم . والنوير كقبيلة مثلهم مثل الدينكالا يجمعهم تنظيم واحد او ادارة مركزية ويمكن فى هذا المجال تسميتهم سياسيا بأنهم مجموعة من القبائل المؤتلفة التى تكون أحيانا اتحادا فيدراليا مضافا . وهم يميزون قبائلهم التى تسكن فى الأرض الام غرب. النيا أى نوير الغرب على أولئك الذين هاجروا الى شرق النيل أو نوير. الشرق . وأهم ما يميز أرض النوير : أنها أرض مسطحة للغاية ، تربتها طينية ، تتخللها أشجار قليلة متفرقة ومن ناحية ثانية تكسوها حشائش عالية زمن الامطار وتتميز بغزارة الامطار كما تخترقها أنهار كبيرة تفيض مياهها سنويا . وعندما تتوقف الامطار وتنخفض أنهار تتعرض أرض النوير للعطش الشديد .

والنوير قوم محاربون كما يحبون الماشية ولطالما كانت لهم صولات وجولات مع الدينكا والقبائل المجاورة الاخرى .

---

( ١ ) راجع كتاب مديرية أعلى النيل الناشر وزارة الثقافة والاعلام .



## قصة هجرة النوير

ولهجرة النوير شرقا قصة ترويها أساطيرهم وهي أن قبائل شرق النوير الحالية قد عبرت النيل الأبيض من فشودة تحت قيادة زعيمها « لانجور » واتجهت شرقا واستقر بهم المقام في مالار على بعد خمسين ميلا شرقي ملكال وزاولوا الزراعة ويجيء في قصتهم أيضا أن هنالك ثور أبيض كان يختفى لبضعة أيام ثم يعود وفي روثه بعض من حبوب الذرة فقال أحد رجال القبيلة أنه لابد من وجود سكان حيثما يذهب هذا الثور فمتبع الثور الأبيض عابرا الخيران والانهار والجداول وكان يتعلق بذنب الثور في أماكن المياه العميقة حتى وصل به الثور الى منطقة قبيلة الانواك . ورجع ومعه قندول من الذرة وعرضها على رجال القبيلة ليبرهن لهم صدق حرسه من أن هنالك بعض الناس في تلك المنطقة التي تقع شرقهم . ثم قرر بعض النوير الهجرة الى الشرق فمدججوا انفسهم بالسلاح ورحل الانواك الى منطقة بعيدة تقع جنوبى شرق منطقة غرب النوير ومن ثم سميت المنطقة الجديدة التي سكنها النوير « منطقة شرق النوير » .

واقسام النوير وقبائلهم على اختلافهم تعيش بنفس الأسلوب وتتحدث بنفس اللغة مع اختلافات بسيطة في سبل العيش واللغة لا يكاد يميزها الغريب وتشارك قبائل شرق النوير في المنطقة قبيلة الكسسوما التي تقطن المنطقة الشرقية المجاورة للقاجوك وتعيش معظم قبيلة الكوما في اثيوبيا ولكن من يعيشون في السودان لهم شيوخهم وسلطينهم الذين يخضعون للسلطات السودانية وأرض النوير في هذه المنطقة تكسوها المستنقعات مابين شهر مايو وأكتوبر .

### ● مواسم العمل عند النوير :

في مايو يبدأ النوير في نزع سيقان الذرة وفي زرع الذرة الجديدة ولكل عائلة مزرعتها الصغيرة ويحصدون الذرة في شهر أكتوبر وهم يحفظون الذرة في مخازن على سطح الأرض . . . وخلال العمل الزراعى تقام حفلات غنائية فيها الاله «دينق» والآلهة الأخرى وقد يذبحون خروفا أو عجلا قربانا للآلهتهم وفي وقت الخريف تقل بالزرع . . أما في المدة ما بين أكتوبر طقوسهم وعباداتهم نظرا لانشغالهم وديسمبر فينشط النوير نشاطا كبيرا من حيث الرقص والغناء لان هنالك وفرة في الاكل والشرب حيث يصنعون « المريسة » مما يجنون من محصول وفير . . وفي نهاية ديسمبر يحفظ ماتبقى من ذرة في حظائر الماشية ومن ثم تبدأ فترة راحتهم التي تمتد لخمس أشهر يبقونها مع ماشيتهم في معسكرات الماشية .

ولقد لاحظت أن للاكل عند النوير عادات متبعة فالرجال يأكلون سويا ونساء الرجال يجتمعن للاكل سويا وكذلك الاطفال . ويرى النوير في هذا النظام تقوية للعلائق الاسرية فهو زيادة على ما يخلق من ألفة ومحبة فانه نموذج للتعاقد وفرصة متاحة لحل المشاكل الاسرية وغيرها . . ويقرر

الشيوخ والحكماء الوقت الذى توضع فيه العلامات المميزة على جباه أبناء القبيلة الذين يختارون طور الطفولة الى طور الرجولة وهذه العلامات هى خطوط متوازية على طول جبهة الفتى .

وفى نهاية ديسمبر من كل سنة يذهب الشبان بالماشية والأغنام والماعز حاملين معهم قليلا من الطعام ويننون حظائر للحيوان وعششا لسكناهم ويلحق بهم الكبار بعد حين ويجدون أن قرى كثيرة متناثرة قد بنيت . وكثير من هذه المعسكرات تبنى داخل الحدود الاثيوبية وفى هذه الاثناء يحدث اندماج فى الحياة بين نوير السودان ونوير اثيوبيا وتدار أمورهم بصفة مشتركة بين السلطات السودانية والاثيوبية . ويتكون طعام النوير فى حينها من السمك واللبن والعصيدة . ويكثر النوير فى هذه الاثناء من صيد السمك بينما تذهب الماشية ترمى فى دعة دون رقيب أو رعاة . ويقضى الشبان أوقات راحتهم راكدين على ضفاف النهر أو على الرمال بينما يقضى الكبار نفس الوقت نائمين فى عششهم أو يدخنون فى لذة كبيرة مستغرقين فى الأحلام والتصورات ويقضون الليل فى الرقص والغناء الذى يشترك فيه الكبار والصغار من الجنسين ويستمررون فى ذلك حتى منتصف الليل وحتى الساعات الأولى من الصباح . ويتبع الرقص ساعات حاملة يقضيها الفتيان والفتيات فى طرح أحاديث الحب والهيام يتطارحون آيات الوجد والغرام وحتى الصغار ينعمون بمثل تلك اللحظات فى حدودهم ثم يخلدون واشتبكوا مع الانواك وهزموهم من منطقة اللاو نوير للاختلاط بالنوير من الناصر اذ أن الأرض هناك جدياء قاحلة فى فصل الجفاف وليس بها ماء أو أنهار جارية . وحياتهم تشبه الى حد كبير أو تطابق نوير الشرق . فى مايو يرجع النوير الى قراهم الدائمة حاملين معهم الأنيسة الفخارية الجديدة التى صنعوها ويحملون أيضا كميات كبيرة من السمك المجفف تسمى « لوك » .

يتكون منزل النوير عادة من حظيرة للبهائم تسمى « لوك » تحيط بها عدد من العشش على حسب زوجات رب العائلة . والابن الأكبر لكل زوجة مسئول عن أمه وأطفالها ولكن تحت اشراف الأب . وليس فى منزل النوير اثاث بالمعنى المعروف ولكنه يحتوى على أنية من الطين للطبخ وأخرى للمشرب وجلود ليناموا عليها وبعض المناضد للجلوس والنوم . والثسروة عندهم عمادها مهر الزوجة وهم يزرعون مايكفى أكلهم وشربهم وإذا بقى شيء يبيعونه لشراء بعض الملابس والاحتياجات الأخرى .

ومجتمع النوير مجتمع غير مستقر وليس لهم نظام تشريعى أو تنفيذى أو قضائى منظم وثابت كما أسلفنا ويحل المشاكل بين الناس رؤسائهم وأكثر الرؤساء احتراماً عند النوير هم لابسو جلود الفهود وهم يعتمدون فى حل نزاعاتهم على العادات والتقاليد القبلية المتوارثة عبر أجيالهم . وهم معتدون بأنفسهم الى أبعد حد ولا يرى أفقر فرد فى النوير فرقاً بينه وبين أعظم رجال القبيلة ويمكن الاى شسباب منهم أن يتزوج من اية عائلة متى ما أمكنه دفع المهر وهم يحترمون بعضهم البعض فى اعتداد ولكنهم يحتقرون

من يشعرون بأنه يتعالى على أفراد قبيلتهم . ويرى النوير أن ماشيتهم زمانا أكثر منها الآن وفي ذلك الوقت كان مهر الفتاة أربعين بقرة وقد تصل الى ستين بقرة للفتاة أما الآن فان المهر لا يتعدى عشرين بقرة وقد يصل الى الثلاثين .

### الماشية عند النوير

والماشية هي محور حياة النوير وعلاقاتهم مع القبائل الأخرى تتأثر مباشرة بحبهم للماشية أو رغبتهم في امتلاكها وهم لا يكونون أى احتشام للقبائل التي لا ترعى الماشية أو تكثر من امتلاكها . وملكية الماشية تكون على أساس الأسرة . وطوال حياة رب الأسرة فان له السيطرة المطلقة على قطيع الأسرة من الماشية ولكن النساء لهن الحق في استغلال الماشية بينما يمتلك الأبناء بعض الثيران . وعندما يبلغ أى ابن سن الزواج فانه يتزوج بجزء من قطيع الأسرة ، بينما ينتظر الأبناء الآخرون حتى يكتمل الزواج ومن ثم يتزوج الابن التالي في السن وهكذا ، وعندما يموت رب العائلة تستمر ملكية القطيع الجماعية ويظل مركزا لوحدة العائلة ويتحاشى النوير تكسير القطيع حتى يتم زواج جيلا الأبناء لانه في الواقع ملكية الجميع . ويبلغ حب النوير لماشيتهم مبلغا عظيما حتى أن الفرد يسمى بلون وشكل ثوره المحبب ، بينما تتسمى النساء باسم البقرة المحببة التي يقمن بحلبها . وحتى الأطفال يتنادون بأسماء ثيرانهم المفضلة عندما يلعبون وقد يسمى نهائيا باسم ثور العائلة أو البقرة الحلوب في حالة الصبي أو الصبية .

والماشية عند النوير بجانب انها مصدر الثروة والغذاء والعزة فهي أيضا مركز الطقوس الدينية فالنويراوى يبنى صلته بالآلهة عن طريق الماشية وعندما يمسح فرد من النوير ظهر ثوره أو بقرته بالرماد فانه يعتقد بأنه يتصل بذلك بالآلهة ويطلب مساعدتهم . والطريقة الأخرى للاتصال بالآلهة والأرواح هي طريق الضحية ولا يكتمل أى مهرجان ديني للنوير الا بضحية سواء كانت كبشا أو نعجة أو ثورا ويشكل لبن البهائم الغذاء الرئيسى للنوير . ففي حالات فشل محصول الذرة أو عدم صيد الأسماك فانهم يعمدون الى اللبن كغذاء رئيسى وقد يجمعون بعض الفواكه والجذور والحبوب من المناطق الخلوية .

ويقول الأستاذا ذيفانز بريتشارد « يشار الى النوير بأنهم يعيشون عالة على الماشية ولكن يمكن القول بنفس القوة ان الماشية تعيش عالة على النوير الذين يقضون أيام حياتهم سعيا وراء رفاهيتها . فهم يبنون لها الحظائر ويولعون النيران وينظفون حظائرها لراحتها وصحتها ويتنقلون بسببها من القرى الى الفرقان ، وهم يتحدثون الوحوش الكاسرة من أجل حمايتها ، ويصنعون الجلى من أجل تجميلها . وهي أى الماشية تعيش حياتها في دعة وتراخ وكسل وسلام والفضل والشكر يعود للنوير » .

● من تاريخ الوطنية عند النوير :



والنوير قوم معتدون بأنفسهم وهم رغم اعتبارهم لكل نويراوى  
شخصا أجنبيا الا أنهم يكون شعورا عميقا للصدقة لكل نويراوى . ويقول :  
المستر جاكسون عن النوير :

« وهم يقولون لا نرغب فى أى نوع من الحكومات نحن لا نريدكم أيها  
الانجليز ، كلما نريده ان تتركونا نعيش أحرارا كما نريد وعندما كان  
البيشوب قوين يتكلم ذات مرة مع النوير عن عدائهم المر للحكم الانجليزى  
قال له بعض رجالات النوير نحن النوير رجالا أحرارا وليس لنا ما نعمله  
مع حكومتك او أى حكومة أخرى .. أبعدوا عنا ... »

وهكذا نهضت علاقات النوير مع الانجليز دليلا على شجاعة ووطنية  
النوير وقسوة الحكم البريطانى عليهم والذى حرم بلادهم فيما بعد من كل  
أسباب الاستقرار والتطور .

إذا قابلت فردا من النوير فأول سؤال يوجه لك هو :

« اجن توك نات » ؟ ومعناها « هل تعرف كلام الناس » والناس هم  
النوير وهم يقولون من يعرف الكلام غير النوير ! . وهذا من فرط اعتقادهم  
وثقتهم فى أنفسهم . وهم على هذا يجب ان يميزوا أنفسهم عن الآخرين  
فهم يخلعون أسنانهم الأمامية الأربعة ويرسم الرجال ستة شلوخ  
متوازية فى أعلا حواجبهم من الأذن . والوشم للصبيان يكون مابين الثانية  
عشر والسادسة عشر بعدها يصبر الصبى رجلا . وتقام عملية الوشم  
بشكل جماعى كل أربعة سنوات وهى بذلك تحدد كل جيل لكل قرية أو  
مجموعة من القرى تتفق على وقت الوشم . ويتطور الزمن بدات هذه  
العسادة تختفى .

### ● بعض عادات النوير البارزة :

● لا يحلب البقرة الشاب الذى رسمت الشلوخ على جبهته وإذا لم يوجد  
خلافه فإنه يقوم بحلبها مرغما وفى هذه الحالة لا يشرب اللبن المحلوب  
الشسبان الذين فى سنه .

● لا يقتل العدو الصبى الصغير الذى لم ترسم الشلوخ على جبهته ،  
أما إذا كان العدو قاسيا فإنه يقوم برسم الشلوخ على جبهة الصبى  
أولا ثم يقوم بقتله .

● المرأة لا تقتل بأية حال من الأحوال فى حالة الحرب .

● لا يأكل أفراد قبيلة النوير الدجاج قط الا الأطفال منهم .

● عند دفع المهر تعطى الجدة الميتة أو الجد الميت بقرة يحتفظ بها أصغر أحفادها أما إذا كانت العروس قد ولدت بعد موت جدتها أو جدها فلا يعطيان بقرة عند تقديم المهر .

● إذا كان الرجل لا يملك سوى الأبقار التى تقدم كقرايين للآلهة فان المحكمة لن تأمر بدفع تلك الأبقار فى حالة الغرامة أو أى حكم فى قضية ما .

● الثور الذى يولد ببيضة واحدة لا يقدم للمهر .

● لا يزوج الزوج والد أو والدة زوجته أثناء مرضهما والا فانهما يموتان حسب اعتقاداتهم .

● لا يشيع النويراوى جثمان جدته قط ولا يمشى فى جنازتها .

### ● الديانة عند النوير :

معظم النوير وثنويون ويطلقون كلمة « كض » للرب وهى تطلق على كل شئ روحى عندهم . وعندما تحل الأرواح فى رجل يصير نبيا ولكل روح اختصاص . فمثلا ( دينج ) يختص بالأمراض و ( ريو ) بالحرب و ( كول ) للرعد والصواعق والبرق . وقد ادعى النبوة كثير من النوير فى أواخر القرن التاسع عشر وهم يخشونهم ويقدمونهم ويوجه هؤلاء ( الأنبياء ) الناس حيث أرادوا . وأول من ادعى النبوة ( واندنيق بنق ) من نوير اللاو حوالى عام ١٨٤٠ وأدعى بأنه يبرىء السقيم ويعالج المريض فأتى اليه النوير من كل الجهات يحملون الذبائح والهدايا . وعندما مات واندنيق خلفه ابنه ثم ادعى النبوة آخرون من اللاو والقبائل الأخرى كالقادر والقاجاك ومازال لهؤلاء الأنبياء أو ( الكجرة ) نفوذ واسع على النوير حتى اليوم .

أما الديانة المسيحية فقد دخلت بلاد نوير تحت نفوذ الكنيسة الأمريكية التى دخلت الى سوباط فى عام ١٩٠٦ وأسست كنيسة فى الناصر وقد وضعت للنوير الطريقة التى يتعلمون بها كتابة لغتهم . كما يوجد أفراد قليلون يدينون بالاسلام فى قبيلة النوير مثلهم مثل المسيحيين .

### ● أغنيان من النوير :

والنوير مثل كل القبائل الرعوية شعراء يملكون ناصية تأليف الشعر فى المناسبات والغناء . وأغانيهم الجماعية رائعة وتبدو فيها خصائصها الفنية وبراعتهم فى الأداء والإيقاع وهم دائمو الغناء فى خلوتهم أو حينما يرعون الماشية فى الوديان والشباب يغنون فى تمجيد أجسادهم ومحبتهم وماشيتهم فى أى مكان كانوا ومتى شعروا بجو من السعادة . ونورد هنا ترجمة الأغنيتين الأولى يمدح بها فتى ثوره والثانية أغنية وطنية عامرة بآيات الحب :

## ● أغنية في مدح الثور :

الثور الأبيض طيب مثل أمي  
وكذلك أهل أختي  
أهل نياريو بسول  
وعندما كان معي ثوري ذي الردف الأسود  
ذهبت الأصطحب فتأتى السباحرة  
فأنا لست الرجل الذي ترفضه الفتيات  
نحن نسطحب البنسات خلصة في الليل  
أنا وكويجوك  
ابن نيسادينق  
أحضرنا الثور عبر النهر  
أنا وكيرجوك  
ابن شقيقة أمي  
بوث قوتجك  
يا صديقي الثور العظيم ذو القرون المنتشرة  
الذي يخور وسط القطيع  
فأنا ابن بول مالوا

## ● أغنية في الحب والوطنية :

دعوني أغني له صديقي العزيز « باقوال »  
دعوني أغني فهذا الصديق  
صديق فريد ...  
وأمدحه ورفيقا له  
شجاعته يا رفاقي عجيبة  
وسلاحه صارم نافذ  
وكل البنسات يحببته  
وباقوال هذا حبيبي  
ووالده يا رفاقي نبيل  
وقامته في اعتدال النخيل  
وهو يشمخ في عزة واعتداد  
مثلما يرفرف رفيقا علمنا الحبيب  
في سماء الوطن  
علمنا الذي سما وارتقى  
أثر خروج الغاصبين - الانجليز الطغاة  
لا أحد يجرؤ يا حبيبي عليك  
وليس هناك من يغلبك  
لقد زرتنا خلف عشنا  
ليلة البارحة ...  
وكنت تشع ضياء ، وضياء كنور القمر



نظرت اليك وعم شعاعك كل المكان  
وانت هناك من خلفنا  
تضيء المكان كبدر السماء  
ومازال الشعاع القوى  
سوى مسحة من جمالك  
يا حبيبي الفريد ...  
الرقص عند النوير :-

رقصات النوير رقصات جماعية تعتمد على الكورس الجماعي وهم بارعون  
الى أقصى حد في الغناء الجماعي حتى انهم يشبهون فرقة موسيقية وللنوير ثلاثة  
رقصات رئيسية هي :-

#### ١ - رقصة (الدوم بنى) :

وهي رقصة اجتماعية يبدؤها النوير بالتنبيه بالقرن بعد مغيب الشمس  
وعند وصول الرجال يلتفون في دائرة حول الطبل أو النقارة ومعهم قائد  
الغناء الذي يغنى بصوت مرتفع جميل ويقفز قائد الغناء من جانب من الحلقة  
آخر وهو يلوح برمحه ويتبعه الرجال في الغناء ثم يقفزون في الهواء في ايقاع  
واحد . أما النساء فهن يبقين خارج حلقة الرجال يرددن الغناء مع الرجال وقد  
يستخفن الطرب واحدة منهن فتدخل الحلقة وتراقص أحد الرجال ثم تعود وقد  
يتبعها الرجل الى حيث مكان النساء وقد تسبب هذه الاستجابة من الرجل  
ببعض المشاكل مع الزوج أو أب البنت .

#### ٢ - رقصة (البول) :

وهي تشبه في أدائها الرقصة الاولى ولكنها تؤدي في المناسبات الكبيرة  
كالزواج والجنائز وأثناء أداء الرقصة في هذه الحالة يقوم النوير بالمبارزة  
بالحراب والدرق في شكل معركة وهمية ويكاد الواحد منهم ينال من غريمه  
ولكن غريمه يقفز جانبا فجأة متجنباً الضربة . والنوير بارعون جدا في المبارزة  
بالحراب ويخيل للشخص الغريب انه لا يمكن النيل منهم أبدا . وعند نهاية  
كل مبارزة يقفزون في الهواء ثم يعودون مرة أخرى الى حلقة الرقص . وهذه  
الرقصة لاتستمر أكثر من ساعتين وتنتهي قبل غروب الشمس .

#### ٣ - رقصة ثوم :

وهذه ليست رقصة جماعية بل فردية وتؤدي دائما في معسكرات صيد  
السمك . ويؤدي هذه الرقصة الرجال والنساء على كل ثنائي فيرفعون أيديهم  
عاليا في الهواء ويعقدونها وراء رؤوسهم بشكل قرن ثور يضربون أرجلهم  
بقوة على الارض في حرية سريعة منتظمة مع استمرارهم في الغناء وتبدأ هذه

الرقصة عندما تنادى البنات الشبان للرقص فى أثناء صيد السمك فيستجيب هؤلاء فيأتون الى محل الرقص واحدا أثر الآخر ونبدأ الرقصة فى ظهيرة وتنتهى قبل غروب الشمس .

## ثانيا - قبيلة الدينكا :

قبيلة الدينكا هى أكبر قبائل السودان قاطبة من حيث تعداد السكان وهم يسكنون معظم أنحاء مديرية بحر الغزال وجزءا من مديرية أعالي النيل وجزء صغير منهم يسكن فى الطرف الجنوبى من مديرية كردفان فى منطقة أبيس . وفى أعالي النيل يسكن الدينكا الجزء الجنوبى من المديرية المتاخمة للمديرية الاستوائية فى مركز بور وفى الجزء الشمالى من المديرية والواقع شرق النيل والممتد من شمال مدينة كدوك حتى الحدود الجنوبية لمديرية النيل الأزرق . وهناك جزء آخر منهم يسكن بعيدا عن النيل شرق مركز ملكال .

وتشبه الرقعة التى يسكنها الدينكا أرض النوير وتشابهها فى كثير من السمات الجغرافية فأرضهم فى المديرية مستوية مسطحة تكسوها مستنقعات كثيرة دائمة وتتخللها بعض الجزر فى الجزء الجنوبى من المديرية وهى مسطحة مستوية. فى الجزء الشمالى من المديرية وتمتد من خط عرض ٦ الى خط عرض ١٢ شمالا فى فصل الشتاء تكثر فيها المراعى وتنمو النباتات أما فى فصل الجفاف فيندر الكلاً وينعدم الماء فيعود الدينكا للاراضى المنخفضة وعلى العموم فان اعتماد الدينكا فى الجزء الشمالى من المديرية يتركز على الزراعة أكثر مما عند القبائل الأخرى فى المديرية .

وان العناصر التى تتحكم فى الحياة الاجتماعية لهذه القبائل النيلية متشابهة مع اختلافات افي التفاصيل . فالشلك والانواك متشابهون عندما تنظر الى ناحية الحياة المستقرة نسبيا التى يحيونها . وتجده نفس هذا التشابه فى المجموعة الأخرى من القبائل لنيلية وهى الدينكا والنوير حيث يتأثر تكوينهم الاجتماعى بحياة الترحال الرعوية ، فهم أصحاب القطعان الكبيرة يتنقلون بها من مكان لآخر حسب ما تقتضيه حالة الطقس الموسمية وكميات الاعشاب والكلاً والمياه المتوفرة . وأرض الدينكا فى بورأرض عشبية مفتوحة فى فصل الجفاف وهى ذات شجيرات قصيرة وخيران كثيرة وتسمى عندهم بأرض (التوج) التى تغمرها المياه وهى جنوبا تمتاز بغابات غنية وبها مراعى صيفية غنية وفى فصل الجفاف تعيش فيها حيوانات برية متعددة مثل الزراف وحمار الوحش والغزال وأحيانا الفيل والنعامة ، وعلى بعد ثلاثين الى أربعين ميلا من النهر يعلو سطح الارض وتكثر الغابات والاشجار الكبيرة وتوجد هنا عدة قرى كبيرة مثل دوك فيديت ودوك قايويل . وفى بور يضطر الدينكا لرفع منازلهم عن السطح على أعمدة لتراكم مياه الامطار .

وقبائل الدينكا فى المديرية تنتشر فى الشمال الشرقى من جنوب الجبلين

الى مسافة عشرة أميال جنوب كدوك على الضفة الشرقية للنيل الأبيض وهذه القبائل هي قبائل ابلا وابيو وقيرو ويسكن هؤلاء بين العرب الرحل من قبائل سليم شمال كرشول وبالقرب من خور عدار ويسكن دينكا النيل وهم فرعى بيرونجيل على الجانب الشرقى الى دنجول وهؤلاء يهاجرون فى زمن الصيف بماشييتهم لانهم يسكنون شاطئ النيل فى جماعات . وجنوب ملكال يجاور الدينكا الشلك فى خور فلوس الى أبونق على نهر السوبات . وهناك يسكنون الشاطئ الغربى لنهر سوبات حيث تسكن قبيلة فاجاك وقاقوان ولأول من قبيلة فاجاك وقاقوان ولأول من قبيلة النوير وهنا يسكن الدينكا فى دوك فيديت ودوك فايويل الى كنقور الى حدود الباري من الشاطئ الشرقى للنيل الأبيض أو ما يسمى ببحر الجبل .

### الزواج والعقب

وعادات الدينكا عموماً تختلف كثيراً عن عادات النوير والشلك . والزواج عند الدينكا عموماً يتم بدفع البقر ومتوسط ما يدفع مهراً للفتاة خمسة عشر بقرة وخمسة ثيران توزع على والد الفتاة ووالدتها وقد يبلغ المهر مائة بقرة عند الأغنياء . وهناك اختلافات بين قبائل الدينكا نسبة لضخامة واتساع أرضها ومجاورتها لعدة قبائل ، فالدينكا الذين يسكنون بالقرب من الرنك وجلهاك وما جاورها قد اختلطوا بالقبائل العربية وتأثروا بهم كثيراً فى اللغة والعادات الاجتماعية وسبل الحياة .

ويفصد الدينكا جباههم بستة خطوط أفقية قصيرة ثلاثة منها فوق كل حاجب ورغم أن قبيلة الدينكا قبيلة رعوية إلا أن الدينكا فى شمال المديرية مبالون للزراعة وهم يزرعون الذرة والقطن وبكميات تكفيهم وتفيض عن حاجتهم فيصدرونها للمناطق المجاورة .

وقبائل الدينكا التى تسكن شمال المديرية تسمى قبائل المادانق دينكار أو دينكا الشمالية وهى تنقرع الى دينكا دنجول ودينكا لوج ودينكا أبلانج وحسب روايتهم فانهم قد هاجروا من منطقة بور قبل حوالى مائتى سنة تحت قيادة زعيمهم أكوى كاكاب . ويبدو أنهم عبروا منطقة جزيرة الزراف ومنطقة المابان وغيرها حتى وصلوا الى هذه المنطقة بعد ما قام الشلك بمنازعتهم هذه المنطقة توجهوا شرقاً حتى اتصلوا بالقبائل العربية فى منطقة كاوا .

وترجع أساطير الدينكا الى « قرنق » الذى كان له ولدان هما دينج وأبيدينق وهم يستبشرون بدينج ويعزون له الخير والمطر والعشب ويقولون أن أبنونيق هو أر نيل النوير والدينكا وعندما أحب تقسيم الماشية بين أبنائه أعطى جائق بقرة عجوز وأعطى بقرة صغيرة لابنه نوير . وعندما مات أبنونيق ادعى جائق أنه نوير وأخذ البقرة الصغيرة وسافر جائق أو ايويل فى رواية أخرى ، وبدأ يقسم الأرض والدوكات ( جمع دوك ) الى أبنائه وأخيراً



استقر في يوم في جزيرة الزراف في القوار . وايويل هذا هو الجد الأعلى لدينكابور . وايويل في الديانة القديمة لدينكا يعتبر جد دينكا مندبور فقط .

### الارواح عند الدينكا

ويعتقد الدينكا ان لكل واحد منهم روحا ويطلقون عليه اسم ( اتيبب ) ويعتقدون ان الاحلام التي يراها النائم ماهي الا نتيجة لذهاب الروح الى آمال بعيدة والى تجوالها أثناء النوم كما ان روح الميت قد تظهر في أحلام الاحياء وتطلب طلبات خاصة كاعطاء شيء من الاكل أو تقديم بعض القرابين . وكما يطلقون على روح الميت الحديث اسم « اتيبب » فانهم يطلقون اسم جوك على روح الاموات الذين ماتوا منذ آمام بعيدة ولذلك فان روح ( جوك ) عندهم أقوى من روح ( اتيبب ) لذلك يقيمون لها القباب في أماكن كثيرة . . . . . وعندما يموت شخص فانهم يقيمون لروحه ( اتيبب ) الولائم ويذبحون الذبائح بعد الموت حتى لا تنزل المصائب بالاحياء وتسبب لهم المرض أو الموت . وهم يعتقدون ان الموت والمرض والمصائب هي نتيجة غضب ارواح الاجساد من اقاربهم ولا يفرقون في هذه الاعتقادات بين الرجل والمرأة ويرى فريق من الدينكا ان ( أشيك ) هو الخالق ( وجوك ) الروح الساحرة أنه بالرغم من أنها من أصل واحد الا أنه في حالة الخلق فان السبب هو ( أشيك ) وفي حالة الأذى فان السبب هو جوك ( بعض العادات الاجتماعية عند الدينكا :

يؤمن الدينكا بتعدد الزوجات ولكن عددا كبيرا منهم لايتزوج بأكثر من امرأة واحدة ولا يتزوج الرجل من المرأة التي تنحدر معه من جد أو تقرب اليه من جهة أمه . ومن واجب الاب أن يجد لابنه زوجة عندما يأتي دوره في الزواج في العائلة . أما المال فانها يتحصلون على البقر للزواج من مهر ابنة الوالد التي تزوجت الابن مهر زواجها يصير ملكا للعائلة . والمهر كما ذكرنا سابقا يتعدى في الغالب ثلاثين بقرة غير انه قد يصل الى مائة بقرة في حالة الاثرياء .

وعندما يطلق الدينكاوى زوجته فان أبقار المهر تعود اليه ومعها ماولدت . . . . . ويأخذ الرجل أبناءه وبناته وقد يترك لهما بعض الإبناء وهنا يتوقف ما يحتفظ به الرجل من بقرة على عدد ما يترك وما يأخذ من أطفاله . ومعظم أسباب الطلاق تنتج من العقم أو هروب الزوجة أو مشاجرة عائلية الزوجين وإذا ماتت الزوجة في ظرف سنتين بعد زواجها فان مهرها يقسم بين زوجها ووالدها أما اذا لم تنجب طفلا فان الزوج يطلقها ويأخذ كل مهره ولكنه يترك عجلين أحدهما كبير والآخر صغير لوالدها وعائلتها .

ويؤمن الدينكا والنوير بضرورة وجود خلف للميت ولذا عندما يموت الشاب عازبا فان أحد اقاربه يتزوج باسمه وعندما يلد يحمل الأبناء اسم المتوفى ويعتقدون انهم اذا لم يزوجوا المتوفى العازب فان لعنته تلاحقهم وأطفالهم واذا كان للقريب عدة اخوان ولم يتزوجوا فانه يجب أن يتزوج

باسمهم أولا قبل أن يتزوج . ولا تحدث في حالة وراثه الزوجه طقوس زواج جديد .

وفي حالة الميراث فان الماشية عموما تكون ملكا عاما للعائلة ولكن المتصرف فيها هو الابن الاكبر ويسمى ( كون ) وهو رسميا يرث كل التي يتركها والده المتوفى وتلك التي تخص والدته وهو المتصرف الاول في ماشية أمه أثناء حياتها . ويقتسم أبناء الزوجات الاخريات الماشية التي تخص امهاتهم . وفي حالة الزواج يمكن لاي ابن من الابناء أن يأخذ عددا من الماشية لدفع مهر زوجته أو لدفع غرامة أو تعويض . وفي حالة الولادة تتبع تقاليد تكاد أن تكون قانونا قديما فالأم يجب أن تضع طفلها الاول في منزل جدته وعندما يشب عن الطوق ويتعلم المشي يؤخذ الى منزل والده وفي هذه الحالة تصحبه بعض الفتيات من العائلة ويأخذن معهن ( المريسة ) وشيئا من الطعام ويذبح الاب في هذه الحسالة خروفا ويولم وليمة كبيرة احتفاء بالمناسبة . وبعد يومين من هذا الحفل يؤخذ الطفل الى (لواك) البقر ويشرف الوالد على هذه العملية ، ويعقب ذلك اختيار الجدة اسما للطفل .

وعند الموت يدفن المتوفى مباشرة في قبر هو عبارة عن حفرة مستديرة يوضع فيها الميت في اتجاه الغرب . . ويدفن الرجال بين لواكات البقر بينما تدفن المرأة والطفل على يمين المنزل وهم لا يضعون علامات على القبور .

ويستمر مأتم الدينكا أربعة أيام لا يشرب الدينكا اللبن أثناءها وبعد مضي الاربعة أيام يغتسلون ويواصلون شرب اللبن .

ويحزن الدينكا لموتاهم لمدة ثلاثة شهور للرجال وأربعة شهور للنساء ويتم تقسيم ميراث الميت بعد هذه المدة .

يعتقد الدينكا أن المرض يصيبهم نتيجة غضب أحد أشباح العائلة وذلك عندما لا يقومون بتقديم الصدقات للالهة التي يطلقون عليها اسم (كولانق) وهي الالهة التي تنزل اللعنة باعداء العائلة . وتكون الصدقة على شكل خروف أو معزة أو بقرة يتم ذبحها . في بعض الحالات يحضرون ساحرا لمعرفة المرض ويتبعون ارشاداته وينفذونها تماما . . وهذا الساحر يسمى ( تميت ) وهو ساحر ذو أهمية اجتماعية كبيرة عند كل من الدينكا والنوير . . وهنسا يلاحظ أيضا تشابه النوير والدينكا في الطقوس الدينية .

والرئيس عند الدينكا يدعى ( بنج وت ) وهو رئيس الماشية ورئيس الحر بوعليه حفظ النظام الحسن والمحافظة على سلامة ماشية العشيرة أو القرية . وخبر صيد السمك يسمى عندهم ( تيت دي راج ) أما الساحر الذي يحارب الطيور الصغيرة التي تأكل المزارع فانهم يسمونه ( تيت دي رب ) ويلاحظ هنا أيضا أن الدينكا مثلهم مثل النوير ليست لديهم زعامة سياسية مركزية واحدة . وتكاد كل قرية من قرى الدينكا تتكون من أفراد تجمع بينهم صلة القرابة والرحم ( وت ) ولذلك فان أغلب المشاكل بين الناس في القرية

يجلها كبار السن في القرية وفي حالة الاساءة أو الاذى أو الاغتصاب أو الزنا تدفع غرامة أو تعويض في شكل أبقار . أما في حالة القتل فيكون التعويض ما بين ثلاثين الى خمسين رأسا من الماشية وإذا لم يدفع التعويض يؤدي ذلك الى أراقة الدماء بين أهل القاتل وأهل القتيل .

أهم شخصية في القرية عند الدينكا هي شخصية رئيس الحربة . والقرية عند الدينكا هي الوحدة العائلية اذ تتألف من عدة عوائل تجمع بينها صلات القرى واسم رئيس الحربة عند الدينكا هو بان بيت وهو الخبير في انزال المطر ويسمونه أحيانا صانع المطر ونفوذ عاده لا يتعدى القرية ويسمى رئيس الحربة لانه يملك حربة أو حرابا مقدسة عندهم يتوارثها هؤلاء الرؤساء أبا عن جد . ومن مهام رئيس الحربة وسط القرية :

✳ هو مسئول عن تدشين الاطفال عندما يبلغون سن البلوغ حيث يسرون أمامه في لباس الحرب .

✳ يقوم بقيادة الطقوس القبلية ويحدد الكرامات والاضاحى لضمان حياة الناس وسلامتهم وأمنهم .

✳ يقوم رئيس الحربة بدور كبير في استتباب السلم وفض المنازعات في القرية وهو هنا يشبه رؤساء النوير ممن يسمون لابسى جلود الفهود .

وفي حالة دفع التعويضات يتقدم بها شيوخ الفريقين المتنازعين الى رؤساء حرابهم الذين يكملون بقية اجراءات التسليم والتسوية .

لايسمح لرئيس الحرب بالاشتراك في معركة أو مشاهدتها فهو يقودهم فقط الى خارج القرية ويباركهم ثم يعود الى كوخه ليصلى من أجل هزيمة أعداء قريته وانتصار رجاله .

### تقسيم العمل في العام عند الدينكا :

يميل فصل الشتاء الى البرودة وتقل المياه وتصفّر الحشائش وهنا يقوم الصيادون من الدينكا بحرق الحشائش لطرد الحيوانات وصيدا كما أنهم بهذا الحريق يهيئون الارض للزراعة في الموسم الجديد . وعندما تملو الحشائش فصل الامطار يقوم الدينكا بارسال كشافين لتحديد الاماكن الصالحة للمرعى ثم تذهب بعد ذلك فئة معينة من الشبان الى أماكن المرعى ويبقون هنالك حتى فصل الجفاف .

وفي فصل الجفاف ينذر الكلا والماء فيرجع الشبان والشابات لقراهم مع ماشيتهم ويتحركون بعدها الى منطقة التونج حيث الماء والكلا . أما الرجال والنساء الكبار فانهم يبقون في القرى يحفظون محصول الذرة



ويحيطون المنازل بأسوار الشوك . . ويذهب الشبان من توج الى آخر ويرسلون أمامهم في كل مرة أطرافا من الكشافين . . ان هذا التجوال متعب للابقار حتى ان محصولها من اللبن يصير قليلا ولذلك تحمل الفتيات معهن كميات من الذرة والاطعمة الاخرى لضمان غذاء الشبان وهم يقيمون في هذا الاثناء في عشش مؤقتة يذهب اليها العجائز في وقت متأخر ويعودون منها مبكرين للقرى لتحديد الاماكن الصالحة للزراعة قبيل نزول الامطار .

وفي فصل الامطار تعود الماشية يصحبها ملاكها ويتركونها في مكان مناسب ثم يذهب الشباب لمساعدة آبائهم في الزراعة . وتبقى الفتيات في معسكر الماشية يحلبن اللبن ويأخذونه الى ذويهن . . ويلاحظ ان الرعى والزراعة هنا يتمان جنباً الى جنب حيث يتحرك الشبان مابين الرعى والزراعة .

ويبكر الدينكا بزراعة الذرة الشامي واللوبيا أولا ثم يزرعون الذرة وذلك لان المحصولين الاولين ينضجان في وقت مبكر . وفي المساء - وقت العودة من الزراعة - يقضى الشبان الوقت في السمر والحديث مع الفتيات وعندما تنضج الذرة تقوم النساء العجائز بحصدها تساعدن الفتيات ويحفظ الذرة حينئذ وتضع منه المريسة وتذبح الماشية او الخراف او الماعز قربانا للالهة .

### اغنية شعبية من اغاني الدينكا

انا لنصلى لام الالهة  
من جمع سحري هادىء  
في ارض « كواك لياث جوك »  
الثور العاتى والصارخ  
بركاتك يا جدد القوم  
انزلها ترحم ارواحنا  
سأشيع بوجهى عن الشمس  
وأقدم قربانا الى « لواك قرنق »  
ليعود علينا بالرحمة  
يا بقرة تدعى « اليك قوانق »  
فلترفف علينا الروح الجبارة  
في قبر من غير قبورنا  
وانا لنصلى لام الالهة  
في جمع سحري هادىء  
في ارض كسواك لياث جوك

### ● بعض رقصات الدينكا :

لكل قبيلة من قبائل الدينكا او رقصات مميزة وهى تتشابه في الكثير

وتختلف في بعض ، ومن رقصاتهم المشهورة رقصة الجناسزة وهى تؤدي في حالة الوفاة وتذبح فيها القرابين وتؤدي بعض الطقوس على روح الميت .

ومن الرقصات الاجتماعية السائدة عند دينكا أعلى النيل في منطقة بور في الجنوب ودنجل في الشمال رقصة القفز وهذه الرقصة يقف الشبان والشابات في حلقة وهم ينفون ويصفقون بأيديهم ثم يدخل شاب الى وسط الحلقة . ويقفز في الهواء الى أعلا ما يستطيع باسطة يديه الى الأمام وضاربا رجليه خلف أردافه ويقوم الفتى بذلك حتى ينال منه التعب ثم يدخل فتى آخر . والشبان في منطقة دنجل ومنطقة بور يملأون صدورهم وقت الرقص ببزات مصنوعة من الخرز الملون يصنع خصيصا للرقص ويضعون على رؤوسهم ريش النعام . والدينكا بور رقصات جميلة مليئة بالايقاعات المختلفة وهم يجيدون الغناء الجماعي الذي يطرب له كل من يسمعه

### ● قبيلة الشلك

قبيلة الشلك هي القبيلة الثالثة من حيث التعداد في المديرية ولسكن لهذه القبيلة أهمية تاريخية واجتماعية خاصة وذلك لأن لقبيلة الشلك ملكية عريقة تضم كل القبيلة ظلت قائمة منذ زمن طويل قبل مجيء الأتراك للسودان . تأسست هذه الملكية حوالي عام ١٥٠٠ ميلادية ومؤسس المملكة هو « نيكانج » البطل الروحي العظيم للقبيلة والذي ينتسب اليه كل الشلك ومن ضمنهم الملك الحالي الذي يسمى عندهم بالرت .

ويقطن الشلك في الأرض التي كان يحتلها الفونج زمانا ويقال أن « نيكانج » قد طرد الفونج من هذه الأرض الى الشمال . فنيكانج لم يكن زعيما روحيا فحسب بل كان زعيما سياسيا وقائدا حربيا محنكا . وقد اختار الشلك الضفة الغربية للنيل كمواطن لهم وكانوا زمانا يسكنون منطقة تبدأ من تونجو جنوبا بالضفة الغربية الى قرية ( أوجيج ) التي تقع على بعد خمسة وعشرين ميلا جنوبى كوستى . واليوم يسكن الشلك في الضفة الغربية ابتداء من تونجه وخور فلوس جنوبا حتى كاكا شمالا مع قليل من القرى على الضفة الشرقية مجاورين بذلك الدينكا كما يسكنون على شريط يمتد عشرة أميال حذاء نهر السوبات حتى تقدير حيث يجاورون الدينكا والنوير . وتنقسم منطقة الشلك الى قسمين القسم الشمالى ويسمونه « القير » والجزء الجنوبى ويسمونه « اللواك » ومقررات الشلك الرسمية فشوده غير أن الرث يقيم في عاصمة المركز كروك وفي فشوده توجد الوثائق الموروثة من نيكانج وبعض الأشياء الأخرى التي يضعها الشلك موضع احترام كبير عندهم .

والشلك من ضمن مجموعة القبائل النيلية مثلهم مثل الدينكا والنوير والأتواك . وتقول روايات الشلك أن أصل نيكانج زعيم الشلك الاول

وقبيلته من كينيا ، وقد زحف منها في اتجاه الشمال وتحرك معه أهله وأتباعه غير أن بعض أخوانه وأتباعه لم يذهب معه في اتجاه الشمال بل بقوا في يوغندا وكونوا قبيلتهم التي تعرف باسم ( جولو ) . أما البعض الآخر فقد وصل معه الى السودان ولكنهم استوطنوا في المديرية الاستوائية وهم يعرفون الآن بالاشولى واللوكرو . من يوغندا عـمـر نيكانج وأتباعه الجزء الشمالى من جمهورية زائيرى الحالية ووصل الى برالغزال واستقر هنالك ولكن الأمور لم تسر هينة بينه وبين أخيه ( ديمو ) فتشاجر وترك نيكانج بحر الغزال لأخيه وتوجه شمالا بالمرابك الطويلة ( كانوا ) الى أعالي النيل ورست مراكبه أول مارست قرب ( تونجة ) في قرية أستياقوك الآن على بعد ٥٦ ميلا جنوبى ملكال ثم تقدم نيكانج ومجموعته قليلا الى جهة نبالوال حيث أسس مقر رئاسته وبنى قريته في ديديجو بمقاطعة فانيدواى ومن ثم أنشأ الشلك قرى كثيرة في تلك المنطقة في البر الغربى . وتقول الرواية أن الجماعة التي ذهبت نحو فم نهر سوباط ثم انتشرت نحو شاطيء سوباط الشرقى قد تكونت منها قبيلة الأنواك الحالية ومن ثم أنشأ الشلك قرى كثيرة في تلك المنطقة في البر الغربى للنيل الأبيض يطلق على تلك القرى اسم قرى نيكانج . لم يؤسس نيكانج فشودة والمعتقد أن نيكانج سار شمالا حتى وصل الخرطوم الا انه لم يؤسس أية قرى خلاف قرى الشلك المعروفة .

وهكذا تأسست مملكة الشلك الحالية والتي تنفرد من قبائل المديرية الكبيرة بوحدها ومركزيتها المطلقة تحت زعامة رئيس واحد . والشلك لهم قرابة مع بعض القبائل الأخرى داخل وخارج البلاد وقد نشأت تلك الصلات بزيارات نيكانج المختلفة وتحركاته الواسعة . من هذه القبائل خارج البلاد قبائل الجولو في كينيا ويوغندا وفي الداخل لهم صلات مع قبائل الاشولى واللوكورى في الاستوائية والانواك في أعالي النيل والجور والبلنדה والشات في بحر الغزال . وكل هذه القبائل مضافا اليها قبيلة الشلك يطلق عليها قبائل ( اللو ) التي تنتمى كلها الى عائلة نيكانج وهذه القبائل تتحدث لغات مختلفة ولكنها كلها ذات صلة وثيقة بلغة الشلك .

ثم انتشرت نحو شاطيء سوباط الشرقى وتكونت منها قبيلة الانواك الحالية ، وللشلك صلات وثيقة منذ زمن بعيد مع القبائل الشمالية التي تجاورهم ، وهم العرب في الشمال من بقارة سليم والنوبة في الغرب . وقد كان لهم دور وطنى بارز أيام الثورة المهدية وكان لهم ملكان انضموا للمهدية هما الرث يور والذى سماه الامام المهدي بالأمير عمر والرث كورنيدهواك الذى سمى الأمير كور عبد الفضيل .

ويرأس كل منطقة من منطقتي حالة المنطقة الجنوبية رئيس الشلك الجنوبية ( لواك ) والشمالية ( قير ) رئيس هو في منطقة ديبالوكوم وفي حالة المنطقة الشمالية رئيس منطقة قولبان ويفصل بين المنطقتين خـوـر أرياجو- جنوب فشودة .



والشلك من حيث النظام الطبقي ينقسمون الى قسمين هما طبقتيهما « الكواريث » اى العائلة المالكة « والكول » وهم عامة الشلك . فالملكيون هم أحفاد نيكانج والمواطنين العاديون « الكول » هم أولئك الذين التفوا حول نيكانج وناصروه ونصروه . وهناك أقسام فرعية أخرى وقد تكونت لها أهمية فى القيام بهمام الطقوس القبلية . فأهل قرية « كوارليل » مثلاً هم الذين يقومون بتتويج الرث الجديد غير أنه لا يوجد فارق فى الزواج بين الطبقتين .

والشكاوى يفصد جبهته بصنفين من الوشم تشبه العقد من الاذن الى الاذن ويسمونه « الطابور » ويستوى فى ذلك النساء والرجال ولكن هذه العادة غير ملزمة وهى قد بدأت فى الزوال الآن .

### النظام الملكى عند الشلك

يمتاز الشلك عن باقى القبائل الجنوبية بنظام حكومتهم القبلية التى تخضع لسلطة زمنية وروحية واحدة هى سلطة « الرث » . والرث هو حفيد نيكانج العظيم الذى تعتقد روايات الشلك أنه لم يمت بل ذهبته به الرياح ولذلك يعتقدون أن روحه تنقل الى كل رث من عائلته يحكمهم . وهذا هو السبب فى المركز الروحي العظيم للرث عند الشلك فهو مسئول عن سعادة شعبه وسلامتهم وكلمة رث تعنى ملك . أما كواريث فهم أبناء وبنات الملك سواء كان حاكماً أو متوفياً وأحفاد الرث أو أبناء أولاده وبناته يدعون « نيارث » وأحفاد هؤلاء ويسمون كوانيريث .

هذا ويتم اعتماد جميع العمدة والمشايخ بواسطة الرث قبل ممارسة سلطاتهم . وفى كل قرية من قرى الشلك شيخ أو عمدة . وفى ظل النظام الحالى يوجد ثلاثة عشرة عمدة يشرفون على مشايخ القرى وعندما يحدث اخلال بالامن يتصل الشيخ أما بالعمدة أو بالرث مباشرة اذا كان الامر خطيراً ولكن كثيراً مايفض العمدة المنازعات دون اتصال بالرث مثل حوادث نزاع الشباب حول البنات . . واختيار العمدة يعتمد على قبول أهل المنطقة ثم يعتمد الرث وعندما يتم اختيار العمدة تبدأ الاحتفالات بتنصيبه بذبح الذبائح ويجمع حوله الكبار لاسداء النصيح بينما ينهمك الشباب والشابات فى الرقص والغناء ثم يتكرم الرث باهدائه ثوب « اللاو » وهو زى الشلك التقليدى ويعتق ذلك تفويضه نيابة عن الرث فى حكم المنطقة .

والرث هو زعيم القبيلة المطلق وحاكمها ويلجأ اليه الناس فى القضايا الكبيرة كجرائم القتل والنزاع حول المراسم . . والرث يحول هذه القضايا الآن الى القضاء المدنى الجنائى فى المديرية ويفصل فى بعض القضايا الاخرى على الغرف القبلية .

### تتويج رث الشلك

عندما يموت الرث لايبكىه الشلك بل تعمد موجة اليمه صامتة من

الحزن و لاتقام حفلات الرقص أو الجنائز . . ثم يعلنون أن كرسى المملكة فى فـشودة قد خلا . . ويبقى جثمان الرث فى فـشودة حتى تقام الطقوس ثم ينقل بعد ذلك الى قريته ويدفن فى منزله وتغلق العشة وتصير بعد ذلك قبة أو ضريح . . وعند دفن الرث تقام الرقصات الجنائزية لمدة أربعة أيام ويقدم أثناءها كل من رؤساء البيوت المالكة ثورا وكذلك مشائخ القبائل . . وتذبح الثيران فى هذه المناسبة ثم يجتمع رؤساء الاقسام الثلاثة عشرة فى فـشودة ويتشاورون فيما بينهم فى اختيار الرث الجديد من بين الاسرتين الملكيتين الاخرين خلاف أسرة الرث المتوفى . . والمعروف أن العشائر الملكية التى تتوارث منصب الرث هى ثلاثة تنحدر كلها رأسا من نيكانج مايجب أن يكون الرث شجاعا وصحته جيدة وقويا . اذا كان هنالك أمير أسير يستبعد من الاختيار وتستبعد النساء من الاختيار اللهم الا مرة واحدة فى تاريخ الشلك اختيرت امرأة لمنصب الرث هى « أبودوك » . لم تكن فـشودة قد أسست حينها وكان مقر حكم الملكة أبودوك قريتها « تورو » . بعد اختيار الرث يؤخذ الى فـشودة وهو لايفعل شيئا هناك الى أن يتم تتويجه . وأثناء ذلك يبعث ببعض أهل قرية « بادهينق » الى جبال النوبة لأحضار حجارة خاصة لرأسم التتويج كما ينهمك أهالى قرية « قلوبنايو » وقرية « بوث » فى صنع الحراب الخاصة بالتتويج بينما يذهب بعض الجنود الى قرية « أوبى » فى الجزء الجنوبى من دار الشلك لأحضار جريد النخل الذى يعمل سياطا لصـد الناس الذين يزدهمون أثناء حفلات التتويج . . وينهمك أهالى قرية «ديبالو» فى صنع العاج المقدس وزخرفته ليستعمل فى حفل التتويج أيضا . ويسرع بعض الناس فى الجزء الجنوبى من المملكة الى بحيرة نو لأحضار الخشب المقدس .

بعد الفراغ من كل هذه التحضيرات يؤخذ الرث الى قرية (ديبالو) التى تبعد ميلين جنوب فـشودة حيث يحفظ كرسى التتويج . وفى قرية (ديبالو) يوجد قطيع من الماشية يسمى (كوانيوث) يؤتى به من قرية ويبقى الرث (باناو) وهو ملك خاص للرث أربعة أيام فى ديبالو يعنى فيها بالقطيع ومن ثم يعود الرث الى فـشودة ومعه القطيع ويستمر فى العناية به .

ويكون الشلك أثناء التتويج جيشان رمزيان : الرث وجيش نيكانج أما جيش الرث فقوامه الشلك الذين يقيمون جنوب فـشودة وأما جنود جيش نيكانج فيتكونون من الشلك الذين يسكنون شمال فـشودة . يحضر جيش نيكانج الرمزي معه تمثالا لنيكانج وابنه (داك) من قرية (اكوار) التى تبعد ثلاثة أميال جنوبى قرية كاكأ . ولايمكن تتويج الرث الا بأحضار ذلك التماثيل ومباركة روح نيكانج للرث الجديد . ويتحرك الجيش من اكوار ويرتاحون فى أربعة نقاط فى الطريق قبل وصولهم الى فـشودة وهم يذبحون ثورا فى كل نقطة من النقاط الأربعة أثناء سيرهم . وفى قرية (أدوت نقر) على بعد ميلين جنوبى فـشودة ينتظر جيش نيكانج وصول جيش الرث من قرية (ديبالو) وأثناء سير جيش الرث يجرى الناس الذين يمر الجيش بقراهم مصفقين بعضى حرابهم ومعنى ذلك أن الرث لن يعود لهم ثانية حتى يموت . وعندما يخطو

الـرث أى خطوة خارج ديبالو يتخطى ثورا أسود يوضع فى طريقه كبداية لسير الـركب الملكى الذى تتقدمه فى اتجاه فشودة . وفى قرية نيكانج يجر الناس ثورا أبيض مغطى بثياب بيضاء يجرونه من ذنبه حتى افشودة التى تبعد عن قرية نيكانج بحوالى ميلين ويحضر الناس حـراب من قريتى لول وبول لاستخدامها فى حفل التتويج .

وطوال فترة زحف الجيوش يجرى الرسل بين الجيشين يعلمون الناس بمدى تقدم كل جيش ويحمل رجال جيش الـرث سنابل الذرة التى يرمزون بها للحراب ويقومون بهزها تهديدا لجيش نيكانج ويرمونها عليهم ولا يسمح باستعمال الحراب الحقيقية . أما جيش نيكانج فهو ينقسم الى قسمين أحدهما يسمى ( كوامال ) والآخر ( كوانى كيوم ) يحمل الاول سياطا مصنوعة من سعف النخيل .

ولا يسمح لأمراء العائلات المالكة بالتقرب من الـرث أثناء السير لانهم يعتبرون منافسين خطرين فى ذلك الوقت ، وحسب التقاليد القديمة والتى أوقف العمل بها اليوم اذا اغتيل الـرث أثناء الموكب يسير الموكب دون توقف ويهجم الناس على أقرب أمير فى سلسلة الوراثة أو حتى على القاتل الذى لم يكن دوره قد جاء ويتم تنصيبه رثا ويستمر الموكب ولذلك يحيط الشـلك الـرث أثناء سير الموكب بحرس خاص و ببعض الشيوخ الذين ينبهونه من حدوث ذلك الخطر .

وعندما يصل جيش الـرث الى خور «أريبارجو» بالقرب من فشودة تبدأ المعركة الرمزية بين الجيشين . يأتى الناس بثور ويبطحونه على الارض ويتخطاه الـرث ليلاقى جيش نيكانج فى شجاعة . عند ذلك يعلن قسم كوامال فى جيش نيكانج أن المعركة قد بدأت وفى ذلك الوقت يحمل القسم الآخر من جيش نيكانج تماثيل نيكانج وولك ويلوحون بها فى الهواء .

ويبدأ جيش الـرث الحرب برمى سنابل الذرة على جيش نيكانج بينما يقوم قسم كوامال من جيش نيكانج بضرب جيش الـرث بسعف النخيل حتى ينفذ الجيش من حول الـرث فيقوم جيش نيكانج باعتقاله ويصير بذلك جنديا فى جيش نيكانج ويعتقد الشـلك أن هذه الجرائد فيها نفخة من روح نيكانج وهى أن هذه الجرائد فيها نفخة من الحالة تدخل فى روح الـرث . وستمر الكوامال فى تعقب جيش الـرث حتى يتفرق الجميع . يذهب الـرث بعدها الى دائرة نظيفة من الارض يشبه بحيرة من دون ماء ويدور فيها أربعة مرات وتمثال نيكانج على كتفه وقبل أن يدخل فشودة عاصمته حاملا التمثال تتبعه فتاتان ممن اشتركن فى سير الجيوش وتصير هاتان الفتاتان زوجتين للـرث فيما بعد .

وفى فشودة يؤخذ الـرث الى أمام قبة نيكانج ويجلس على كرسى التتويج



الفضى والمغطى بقماش أبيض جميل ويوضع حول رأسه تمثالا نيكانج وداك وهما محليان بنوب جميل من ريش النعام الاسود ، ويعنى ذلك أن روحهما ترفرفان على الرث الجديد وتكسبانه القوة والمنعة . ويجلس بجانب الرث أكبر مساعديه ورئيس آخر يمسك برجل الرث أثناء جلوسه على العرش ومن حوله يقف بعض الناس حاملين الثياب البيضاء التى تظله وتحميه . ويستمر رجال جيش نيكانج فى هذا الاثناء فى الغناء والرقص بينما تتقمص روح نيكانج الرث الجديد . بعد ذلك يؤخذ الرث الى عشه مصنوعة من القش مجاورة لقبة نيكانج وهذه العشة هى التى نصب فيها أول رث لقبيلة الشلك فى فشودة ويبقى هنالك يومين يرعى الابقار التى جىء بها من ديبالو . ويقوم الرث بهذا العمل فى الصباح المبكر حتى لا يراه الناس ويستمر رجال جيش نيكانج فى الرقص والطرب أمام قبة نيكانج وهن يلوحون بتمثال نيكانج وداك . اعباء المنصب وعدم تنازله عنه طوال حياته .

بعد قضاء اليومين يؤخذ الرث الى أربعة قطاطى مبنية فوق مرتفع من الارض يبقى فيها يومين أيضا بعد ذلك تهدم القطاطى رغم جدتها لكى يقوم الرث الجديد ببنائها ويستمر الرقص والطرب ويأتى الشلك من جميع أنحاء المملكة للاشتراك فى الاحتفالات والرقص . ثم يخرج الرث ليجتمع بالمجلس الاستشارى (لوكو) ثم يؤذن له أن يمارس أعباءه كرث للشلك .

وفى أثناء هذا الاجتماع يتحدث الشيوخ واحدا تلو الآخر وبعد نهاية كل خطبة تقرر الطبول كابتهاج بما قيل وتقديرا واعجابا بحديث الشيخ ويقف الرث بعد كل خطبة ويشكر المتحدث على حديثه وعلى أتباعه تقاليده نيكانج وعلى تشريفه بالمنصب العظيم والخطير ويؤكد للناس استعداداه لتولى أعباء المنصب وعدم تنازله عنه طوال حياته .

ويبقى رجال نيكانج فى نشوة حتى نزول المطر وعند ذلك يتحركون الى قرية كوام حاملين تمثالى نيكانج واك ويبقى التمثالان فى القرية التى يعنى اسمها الكرسي بلغة الشلك حتى تتويج رث آخر .

وتفاصيل موت الرث وتتويجه واجراءات التتويج واجراءاتها بالغة فى النظام والدقة وهى تختلف من وقت لآخر خاصة بعد انتظام الحكم الحديث فى البلاد . والمؤكد ان بعض الطقوس التى كانت تتبع زمانا قد تخطاها العصر والزمن . جدير بالذكر ان الرث الحالى كان يعيش فى كدوك ولكنه عاد اخيرا الى فشودة .

## المسرة والزواج

يحترم الشلك نساءهم الى درجة كبيرة ويسمحون لهن بالاختلاط بالرجال والحديث معهم ومناقشة الامور القبلية كما تقتسم النساء العمل مع الرجال فى المزرعى والزراعة وبناء المساكن بجانب مسئوليات المنزل . والمرأة

لا تغفل العناية بطفلها ففي أثناء العمل تضع الرضيع في سلة وتحمله معها أينما سارت فوق رأسها ، وتمتاز النساء بالقوام المعتدل والجسم المشدود ويتزين بالحلي المصنوعة من المعدن والسكسك الملون . وتلبس الفتاة الشلكاوية قطعة من القماش مزينة بالسكسك أو الخرز في أطرافها وتربطها حول خصرها بشريط وتسمى هذه اللبسة ( أبانو ) عندما تكتمل أنوثتها تلبس لبسه تسمى ( اثسينو ) وهي قطعة من القماش تلف حول الحصر وتتدلى حتى الركبتين ويلبس الشلك زيا من الديمورية يسمى ( اللاوو ) وهو قطعة قماش تربط في الكتف الأيسر للرجال وفي الكتف الأيمن للنساء . ويفضل الشبان صبغ ( اللاوو ) باللون الأحمر ويضيف الشبان لهذا الزي عقدا جميلا من السكسك يسمى ( تيقو ) يلفونه حول الرقبة ويتدلى في الظهر .

والزواج عند الشلك يحدث أساسا برضاء البنت ذاتها وتبدأ حفلة الزواج في حلقة الرقص حيث يتزين الصبيان ويلبسون الخرز والاساور وعقود السكسك والعاج ويصففون رؤوسهم ويلقون حراهم ، فإذا أعجبت إحدى الفتيات في حلقة الرقص أحد الفتيان ذهب إليها وبدأ يعدد صفاته ومزاياه ، فإذا قبلته الفتاة قبلت عليه تراقصة وبعد الرقص يفاتحها في الزواج وغالبا ما تقبل لأنها قبلت الرقص معه وقد تتمتع لعدة أيام أو شهور ثم تقبل ويخبر الصبي والدته باسم الفتاة وقربتها . وبعد أن تتأكد والدته من عدم قرابتها لها أو لوأله تذهب دون أن تخبر أهل الفتاة بقدمها إليهم وتدخل عليهم كان الطريق قد جاء بها وتبدأ في مراقبة الفتاة وتصرفاتها الخاصة ، مثلا هل تجيد صنع طعام الشلك المشهور وهو ( المنجاكيلو ) والمنجبا فوتو وهل تخدم أهلها بكل نشاط فإذا تأكدت من ذلك باركت لابنها البنت ويتم الزواج بعد ذلك . يتأهل الشباب للزواج عندما يبلغ عهد الرقص وعند ذلك يجمع الفتى ثروته . والشلك قبيلة رعوية والزواج عندهم يتم بتقديم الأبقار والماعز وهدايا أخرى . ولا يتقدم الشاب للخطبة إلا بعد احضار مهره من الأبقار والماعز والخراف . ويذهب العريس مع ثلاثة من وزرائه إلى أهل الفتاة ويعطى العريس أم الفتاة عنزتين وبعض المال كهدية لاستمالتها ثم يذهب أحد وزراء العريس ومندوب من قبل والد الفتاة للتشاور في عدد الأبقار التي تدفع كدفعة أولى من المهر . والشلك يدفعون المهر على دفعات وقد يكتمل المهر في ثلاثة سنوات ويمكن لوأله العروس أن يرفض بعض الأبقار لأنها ليست مناسبة . وطوال هذه الفترة يواصل العريس اهداء والدي العروس هدايا تتكون عادة من السمك واللحم والتبغ والملابس وعندما يكتمل المهر فإن والدي العروس يقيمون حفلا كبيرا يقدمون فيه كميات كبيرة من ( المريسة ) ويدعون العريس وكل أهل قريته وعند ذلك يتقابل الزوجان ويرقصان مع أهلهم وترقص الزوجة مع أصدقاء الزوج . ولا تصحب الزوجة زوجها بعد الحفل ولكنها تقيم مع أهلها لفترة وإذا لم يحدث ذلك سريعا فإن العريس وأصدقاءه يسرقونها . وعند وصول الزوجة إلى قرية زوجها تقطع عجائز القرية الأذن اليمنى للخروف ويرشون الماء على الزوجين مباركة لهما بدوام الزواج والاستعادة وقبل

أن يأخذ العريس زوجته الى قريته يزورها كثيرا فى قريتها وقد يدخل فى مشاجرة عنيفة مع من يجده يجالسها .

وفى أثناء جمع اقساط المهر يقول لك الفتى الشلكاوى عندما تسأله عن اكتمال المهر ( لا ازال اجرى ) يعنى مازلت أدفع وهذا القول تسمعه عند الشلوك لاي شىء لم يكتمل عندهم . والمهر فى المتوسط عشر بقرات ويدفع لبعض الاثرياء خمسة عشر بقرة وهو الحد الاقصى وهم يدفعون بجانب ذلك الماعز والحراف على الا تتعدى الثلاثين . ( ويمكن مقارنة ثراء قبيلة الشلوك مع قبيلتى الدينكا والنوير الذين يدفعون فى المتوسط ما بين ثلاثين وعشرين بقرة أى حوالى الضعف ) .

والمرأة بعد الزواج تصبح جزءا من عائلة الرجل واذا مات زوجها تحولت الى زوجة لاحد اخوانه أو احد أبناء أبيه بدون مراسيم جديدة وقد يتزوج الرجل من الشلوك ثلاث أو اربع مرات أو أكثر اعتمادا على ثرائه ولكل منهن منزلها الخاص واثائها واكلها وشربها ونسبة الطلاق عند الشلوك منخفضة عموما .

## الرقص :

رقصات الشلوك نوعان اجتماعية ومراسمية الاولى تسمى (بول) ومعناها النقارة أو الطبل والثانية تسمى ( يووك ) وهى جنازوية وتؤدى بعد اسبوع من الوفاة ثم تعاد بعد اسبوع آخر . وتبدأ رقصة اليووك فى الصباح وتنتهى بعد الظهر . والخلاف الرئيسى بين الرقصتين ان البول تؤدى بكامل الزينة وتربط الأجراس الصغيرة حول السيقان أما الثانية فيحملون فيها الدروع ويلبسون لباس الحرب ويربطون جرسا واحدا حول الخصر . وفى رقصة البول تعلق النقارة على جذع أما فى اليووك فان النقارة اليووك يحاط القبر بالأوانى والسلال التى تحوى الطعام وتقوم قريبات المتوفى بنشر الرمل كل مرة فوق القبر وهن يبكين بصوت ملء بالحزن .

وفى رقصة البول يستعد الشبان والشابات منذ زمن طويل لحفلات الرقص وقد يبلغ زمن الاستعداد يوما أو يومين يبحثون خلالها عن الاصباغ والزيوت ويضعونها على الوجه والسيقان والاذن والطابور فى أشكال فنية بدیعة للغاية . وللمناسبات القبلية والاجتماعية عند الشلوك الوان زاهية من الملابس والزينات فنجد الرجال يتحلون بارياش مختلفه ويلفون أجسامهم بأشرطة قماشية زاهية ويحملون العصي والحرايب اللامعة ويغرسون فى أطرافه الريش أو الصوف الأبيض أو الاسود كما يلبس بعضهم جلود الحيوانات كالقط الحلى أو القرد أو الفهد . ويسرح الفتى شعره ويغرس فوقه ريشة بيضاء كما يطلى جسمه بالدهن ويغطى بعضهم ذلك الدهن بمسحوق الطوب الأحمر ثم يرسمون على جباههم أشكالاً بالرماد الأبيض فيبدو جميلا جذابا من البعد . أما البنات فهن



يلبسن جلد العجل فوق اللاو وعند الرقص ويتمسحن بالدهن ويتحلين بالحرز  
والسكسك والقماش الملون .

وعند الرابعة ظهرا وبعد عودة الشبان من المراعى والحقول والصيد تنصب  
الطبول فى مكان مرتفع فى القرية ويبدأ احد الشبان فى القرع منبها الجميع  
الى دنو وقت الرقص فتأتى النساء والعجائز ويجلسن تحت ظل شجرة مجاورة  
ليشاهدوا بناتهم واولادهم فى الرقص وتقدم لهم المريسة ، أما الشبان فيأتون  
من كل جهة على دفعات قد تبلغ عشرة أفراد للواحدة وهم يحملون عصيهم  
وحرابهم ويغنون . وعندما يقتربون من الطبل يرسلون صرخاتهم ويلوحون  
بحرابهم وعصيهم فى شكل هجوم على الطبل ثم يرتدون منه وتسمى هذه  
الحركة (تحية الطبل) ثم تدخل الى الحلقة أسراب الفتيات ويرقص الجميع على  
شكل حلقة كل فتى معه فتاته التى اختارته للرقص معها أما الذين لم يقع عليهم  
الاختيار من الشبان فينتظرون على مضض خارج الحلقة وقد يدخلون الرقص  
من دون الفتيات .

ويربط الشبان الاجراس حول سيقانهم ثم يقفزون قليلا فى الهواء وهم  
يغنون على نغمات الطبل ومن حين لآخر يرفعون عصيهم وحرابهم الى أعلا  
ويدورون وترفع الفتيات أيديهن معهم ويدرن معهم فى حركة منسقة . وفى كل  
مرة تتسع الحلقة بقدم مزيد من الشبان والشابات ويستمر الرقص هكذا حتى  
وقت الغروب وقد يعودون اليه فى الليالى المقمرة .

وثروة الشلك تتكون من توضع على الأرض . وفى رقصة النساء ولكنهم  
يعتقدون أنها أقل الماشية الا أنهم أقل حظا فيها من أبناء عموماتهم الدينكا  
والنوير . وتحفظ الماشية عندهم فى ( اللواك ) وهى حظيرة كبيرة تتوسط  
منزل العائلة فى الحريف وفى الصيف تحفظ الماشية فى زريبة من الشوك .  
وفى المساء يوقدون النار فى روثها ليترد دخان الروث الذباب عن الماشية .  
ولبن أبقارهم قليل يتراوح ما تحلبه البقرة من رطلين الى ستة أرطال .  
والشلك يزرعون الذرة لغذائهم والذرة المفضل عندهم يسمى ( الاقونو ) وهو  
أبيض اللون وقد بدأت تنتشر عندهم زراعة الخضروات والفواكه فى السنين  
الآخيرة كما أنهم يصطادون - السمك ويعتمدون عليه فى غذائهم وفى حصولهم  
على النقود كما يربون الدواجن . وغذائهم الرئيسى المنجا كيلو والمنجا فوتو  
بجانب المريسة . أما المنجا كيلو فعباره عن كرات صغيرة من الذرة تشبه  
( السكسكانية ) وهى تصنع بعد تنظيف حبوب الذرة من قشرتها ويخلطون  
تلك الحبوب بالسمك أو بعض الخضروات . أما المنجا فوتو فهو عبارة عن حساء  
من الذرة يضاف اليه المسلى أحيانا ويأكلونه بملاعق من المحار . أما السمك  
فهو غذاء رئيسى عندهم خاصة فى مواسم تكاثره فى النيل والأنهار الأخرى .  
ويتسلح الشلك بالحرية والعصى والدرع الذى يصنع من جلد فرس البحر .  
والشلك مشهورون بالمهارة فى صيد فرس البحر ولصيده مواسم عندهم  
وتعتمد مواصلات الشلك المائية على قارب ( الكانو ) ويصنع من جذع الشجرة  
الدوم ويتحولون به بين شاطئ النيل بين قراهم ويحملون عليه أشياءهم

ويحمل الكانو الواحد حوالى سبعة أشخاص ويسمى عندهم ( بالشروق ) وهم يجلسون القرفصاء فى وسطه ويجلس عامل المجداف فى المؤخرة .

ان الشلك معظمهم وثنيون وبينهم عدد من المسلمين والمسيحيين ويرجع عهدهم الى مملكة الفونج والمهدية حيث كان منهم اميران كما اسلفنا واول كنيسة تأسست فى منطقة الشلك هى الكنيسة الكاثوليكية فى كل من « لول » و « ديتوك » فى عام ١٩٠٣ .

### بعض العادات والتقاليد

( أجواقو ) عند الشلك الآله وهم يعتقدون انه يملك المجتمع ولذلك يلجأون اليه طلبا قوة سحرية يستخدمها لخيز هو الساحر أو رجل جوك أى رجل المساعدة والرحمة . ويعتقد الشلك أن هذه السحرية الخيرة ترجع لاسلافهم القدماء من ملوك القبيلة . وحراس قباب نيكانج قد يكونون سحرة وقد لا يكونون لان مجرد حراستهم للقباب لا تعطيهام تلك الخاصية .

أما ( جاليات ) عند الشلك فهو عكس أجواقو أى انه يملك الروح الشريرة وهم يخافونه كثيرا وهو يمارس سحره سرا بالليل وقد يعتدى الشلك على أى شخص يثبت أن به روح ( جاليات ) والدائيات هى الروح الشريرة فى وسط خطرا أما العين الساحرة فهم يسمونها ( يوب ) ويعتقدون خلافا للدائيات والجاليات أنها تورث أبا عن جد . . والشخص الذى يملك هذه الخاصة يحاول اخفاءها عن الناس وهى عندهم تنتج عن الحسد والغيرة والغضب .

والشلك لا يقتلون الثعبان أبدا وهم يحاولون منع أى انسان آخر من غير قبيلتهم من قتله ويعتبرون الثعبان حيوانا مقدسا ومن عاداتهم أنهم لا يتكلمون أثناء نزول المطر .

وبالطبع فان كثيرا من عادات الشلك وتقاليدهم قد طغت عليها المدنية والتعليم الحديث الذى بدأ ينتشر بين شبابهم غير أن الشلكاوى مع ذلك مازال يغترز بقبيلته والانتماء اليها والى قريته .

### فشودة

فشودة هى عاصمة الشلك التقليدية وهى تقع شمال ملكال على الضفة الغربية بالقرب من مدينة كدوك وينظر اليها الشلك باحترام كبير ويحجون اليها أحيانا . . وفشودة لم تكن معروفة قبل سنة ١٦٧٠ ميلادية حين كان كل رث من الشلك يحكم من قريته الخاصة . أما الطقوس عند التتويج التى تحدث أغلبها فى فشودة فقد كانت تمارس فى قرية ( ديبالو ) . وتحكى روايات الشلك عن تأسيس فشودة القصة الآتية :

أسس فثودة الرث ( توقو ) ابن دوكت حوالى عام ١٦٧٠ ميلادية  
وكان ذلك الرث يحكم من الجزء الجنوبى من مملكة الشلك وكان مقره  
قرية واسمها ( باديانق ) جنوبى كدوك وبالقرب من فثودة وكان هذا الرث  
يملك عجلين من دون قرون وكانا دائمى الانفصال عن القطيع فى الرعى  
وينتجان مكانا بعيدا من القطيع ويحفران الارض برأسيهما فى مكان بالقرب  
من قرية ( باديانق ) من جهة الجنوب . وقد أثارت هذه الظاهرة انتباه الرث  
توقو وجميع شمائخ القبيلة فاجتمعوا للمناقشة الامر فاتفقوا ان هذه ظاهرة  
الهيئة فقاموا بردم المكان الذى كان يحفره العجلان برأسيهما وصار مرتفعا .  
وأمر الرث بأن تبنى أربع قطيات لاتزال باقية حتى اليوم بفثودة . وقامت  
حولها المنازل الكثيرة وعرفت المدينة منذ ذلك اليوم باسم ( باكود ) وهى  
كلمة باللغة الشلكاوية معناها العجلين الذين لا قرن لهما وتحرف الاسم  
بمرور الايام حتى صار ( فثودة ) وصارت هذه القطيات الاربعة مقدسة  
ولا تزال أحفاد الرجال الذين بنوا تلك الطيات يتوارثون بناءها حتى اليوم .

وفى فثودة يوجد معبد نيكانج ويسمى ( كنجو ) وتحيط به أعمدة صغيرة  
تسمى ( أريك ) وتوجد معابد كثيرة لنيكانج وأحفاده فى قرى الشلك . وتعقد  
محاكم الشلك أمام هذه المعابد ليشهد الاجداد على عدالة الاحكام .

### من أغاني الشلك : أغنية تتويج الرث :

والشلك يعشقون الغناء والطرب وقلما تجددهم سائرون دون غناء .  
هذه الاغنية تردد فى احتفالات تتويج الرث وهى ضمن معزوفات قوات الشعب  
المسلحة اليوم :

أجاك أقرع الطبل قرعا ليدوى  
على أرواح جدودنا  
والطبل يدوى عنيفا يارفاقى  
وها أنذا السوح برمحي فى يدي  
وأنا أقرع الطبل فى عنف وحمية  
ورمحي فى يدي  
وأرفع الصوت جهور اثم أصلى  
وقل لقد عاد الرث الينا  
وقل لقد عاد الرث الينا  
لقد نجا الرث وعاد البهجة  
وأنا أرفع ساعدى قويا  
فتولنى يا الهى وقوى ساعدى

### رابعا : قبيلة الانواك :

يعتبر الانواك من ضمن القبائل النيلية التى تنتمى الى الشلك فى كثير  
من العادات وفى الانتساب الى أصل لغوى واحد .



كما انهم يشبهون في كثير من مفردات لغتهم قبيلة الجور ببحر الغزال .  
واسرتهم الكبيرة : ( الشلك - لاو ) تضم الشلك والانواك والاشولى واللاو  
ببحيرة فكتوريا واللاو ببحر الغزال والدمبو والشات وكوام والمنانكير والجوبا  
أو غيرهم من القبائل الصغيرة .

ويسكن الانواك على ضفة نهر جيلا ونهر البارو ونهر اكوبو وفي منطقة  
البيبور حيث يشتركون مع المورلى . غير أن الجزء الأكبر من القبيلة يسكن في  
داخل الحدود الاثيوبية . وكان الانواك يسكنون قديما على نهر سوباط من  
قمم نهر البيبور الى أسفل النهر عند ملتقى سوباط بالنيل الابيض والى والى  
الشمال الشرقى من خور مشار وعلى نهر ادورا ومكواى الى الجنوب ولكنهم  
قد جلوا عن معظم هذه المناطق بعد الحروب العنيفة والمتكررة التى كانت  
تنشب بينهم وبين جيرانهم نوير الشرق من قبائل الجيكانى .

والقرية هى الوحدة السياسية والاجتماعية الكبرى عند الانواك  
وتسكن القرية دائما عشيرة واحدة وقد تسكن العشيرة الكبيرة عدة قرى  
ولكن في هذه الحالة لا يوجد تعاون بين أفراد العشيرة الواحدة في القرى  
المتعددة .

والانواك بحكم الفارات الكثيرة التى كانوا يتعرضون لها من النوير  
وبحكم طبيعة بلادهم ووجود ذبابة التسي في بعض مناطقهم فانهم ميالون  
للزراعة أكثر من تربية الماشية .

والانواك ينقسمون الى عدة بطون وبجانب هذه البطون توجد عائلة  
النبلاء التى تسكن كلها تقريبا في شرق المنطقة وجنوب شرقها . . والقرية  
تشكل وحدة دفاعية قديما ، فهى اما تحيط بها الاشجار والحشائش كحاجز  
دفاعى طبيعى أو تعمل الحصون على النهر لحماية القرية اذا كانت في المنطقة  
مستنقعات أو ذات ارض مفتوحة . . والقرية قد يصل افرادها الى ألفى  
نسمة وقد تكون مابين خمسين الى خمسمائة نسمة . والقرى تعتمد على  
الزراعة وتقوم المزارع حول القرية . . والقرى على هذا الاساس تكون  
وحدة اقتصادية منفصلة عن بقية القرى مثلما هى مستقلة دفاعيا . . والوحدة  
الصغيرة في القرية هى منزل العائلة وهى تتكون من عدة قطاطى قطية لكل  
مطبخ واحد وقطية للصغار وأخرى للشباب غير المتزوجين . . وقد تتعاون  
القرى المتجاورة في حالة العدوان ولكن هذا التعاون مؤقت ولا يخضعهم  
بالضرورة لزعامة سياسية قبلية واحدة . ووحدة القرية عند الانواك تشبه  
القرية عند النوير حيث يكون شيخ القرية هو محور الحياة فيها فان كان قويا  
كانت القرية قوية وان كان ضعيفا تفتت وحدة القرية . والزواج هو سبب  
من أسباب الاندماج عند قرى الانواك .

والانواك من ناحية الحكم لهم نظامان : النبلاء في الشرق والجنوب  
الشرقى ورؤساء القرى في بقية المنطقة . ففى هذه المنطقة يرأس القرية نبيل  
يسمى ( ناى ) .

وهو ينتمى الى طبقة النبلاء التى تسكن تلك المنطقة فقط . والنبيل

عندهم يمتلك الشجر الملكى وهو يتكون من خمسة خرزات للرقبة وأربعة حراب ومقعدان وموقد حربة وطبل ويعتقدون أن عقد الرقبة المكون من الخرزات الخمسة كان يلبسه جدهم الأكبر ( أوكيرو ) .

وهو مؤسس العائلة المالكة عندما خرج من النهر حسب رواياتهم . أما رئيس القرية فيسمى كوا آرئ أو أبـو الارض وهم يحترمونه للغاية وهو يمتلك أشياء خاصة تدل على الرئاسة مثل طبل القرية والتي لا يحتفظ بها سواه وبعض عقود الحرز الخاصة وبعض الحراب المقدسة . . وهم يفرزون أعمدة مميزة أمام منزله وهم يقدمون له مختلف الهدايا وفي حالة الفدية يعطون منها بقرة لان القتل قد قتل في أرضه . ولكن منصبه رغم ذلك غير مضمون الاستقرار فقد ينتزع من السلطة بواسطة ثورة وينصب مكانه آخر والرئيس يجب أن يكون ذكرا ومن أعضاء العائلة الغالبة في مكان آخر . . والرئيس يجب أن يكون رؤساء قبله . ومعظمهم أسباب اقضاء الرؤساء تنتج من عدم مساعدتهم أفراد القرية أو بخلهم وعدم ذبحهم للناس في المناسبات . والانواك لا يعطون رؤسائهم هؤلاء سلطات تقليدية بل تختلف السلطات من رئيس لآخر حسب مكانته عندهم وهم غالبا مايميلون الى تسوية نزاعاتهم دون اللجوء الى الرؤساء . وقد يحدث أن تعطى قرية رئاستها الى نبيل من النبلاء بدل رئيسي القرية أما لاكتساب الشهرة أو تسوية لموقف ما .

ومعظم الانواك يتزوجون زوجة واحدة غير أنهم يؤمنون أيضا بتعدد الزوجات ولكنهم خلافا للقبائل النيلية الأخرى يعطون المهر كله لوالد الفتاة ولا يحق لاي أحد آخر من العائلة أو والدة الفتاة مشاركته فيه . . والوالد يلعب الجانب الأكبر في زواج ابنته فاذا رغب والد أحد الشبان الزواج ابنته أرسل أحد أصدقائه ليتفاهم معه فاذا لم يجد الشاب ممانعة يتفقان على المهر . . أما اذا رغب أحد الشبان في فتاة فانه يرسل أحد أصحابه ومعهم رأس حربته وخرزة بيضاء لوالد الفتاة ويستشير الوالد عندئذ ابنته فان قبلت اتفق الصديق والوالد على المهر وان رفضت ردت الى الخاطب الخرزة البيضاء ورأس الحربة .

ويتكون المهر من أربعة بقرات مع بعض الحراب والخرز والماعز وفي السنين الأخيرة كثر الزواج بين قبيلتي الانواك والنوير لتجاوزهما في الأرض واذا لم تنجب الزوجة تطلق بعد مدة ويرد المهر للزوج ليبحث عن غيرها .

ومن بعض عاداتهم أن الشجر الذي ينبت فوق قبر أحد النبلاء يعتبر مقدسا وهم كالشلك يعتبرون ( جوك ) هو الخالق وهم يقدمون القرابين في حالة المرض والمحن ولكنهم يصلون اليه مباشرة عكس الذين يتصلون بالآله ( جوك ) عن طريق ( نيكانج ) . . وهم يقيمون قبابا لنبلاتهم ويزورونها في حالة طلب العون . وأشهر القباب عندهم تلك التي بالقرب من ( أوئون ) ويعتقدون أنها قباب الآله ( جوك ) وهم يؤمنون بالسحر الذي يجلب الضرر للشخص الآخر مثل الشلك . وفي حالة الولادة فان والد الطفل يمنع من رؤية

مكان الولادة لمدة ثلاثين يوما وكذلك المرأة الحبلى والا تسبب ذلك في موت  
الطفل .

### خامسا : قبيلة المورلى :

المستر جون بارك هو أول من كتب عن المورلى من الذين سافروا  
لاستكشاف مناطق أعالي النيل وكان ذلك في كتابه ( أسفار في وسط  
أفريقيا ) عام ١٨٦٩ ومنذ ذلك الوقت أرسلت حملات عسكرية لاستكشاف  
المنطقة واخضاعها لسلطان الحكومة الاستعمارية . وكان سبب حملات  
الحكومة عليهم في الغالب هو غاراتهم على جيرانهم خاصة دينكابور حيث  
كانوا يستولون على ماشيتهم . والمورلى قوم أشداء محاربون ويخافهم  
جيرانهم كثيرا ويعملون لهم ألف حساب وكانت هذه الحملات تفرض عليهم  
الغرامات من أبقار وذرة . وكانت أهم تلك الحملات في عام ١٩١٢ حيث  
قامت من بور وتتكون من ثلاثة كتائب من السرية السودانية الحادية عشر . .  
وقد اخترقت هذه الكتائب أرض المورلى من ثلاثة جهات معتقلة الزعماء  
ومصادرة الماشية والممتلكات وقد أدى ذلك في النهاية الى استلام كل الزعماء  
لسلطة الحكومة . . وأنشئت ادارة عسكرية لمنطقة سوباط - البيبور تحت  
قيادة ضابط انجليزى حتى عام ١٩٢٥ حيث أنشئت ادارة مدنية تتبع لمديرية  
أعالي النيل وكان لهذه الادارة مفتشان واحد للمورلى والآخر للأنواك . . وفي  
عام ١٩٣٥ أعيد تقسيم مراكز تلك المنطقة ونشأ عن ذلك مركز للمورلى  
بالبيبور .

وروايات قبيلة المورلى تقول أن أصل القبيلة من ( منطقة جن ) هي تقع  
بعيدا الى الشمال الشرقى من اثيوبيا . وهم يؤرخون هذا المنشأ في عدة أغاني  
منها هذه الاغنية :

أوه يا جن . . فمن ( جن ) جاء أسلافنا الى الارض  
وقبضوا الماشية السوداء  
فتت التباكو فنى (جن) كان التباكو لذيذا مثل الماشية  
اللعة اللعة على العدو الذى وجدناه هنا  
فهم لن يتركوا عجولنا تهرب من أرضها

هذه الاغنية قد دلت على اليوم عندهم كثيرا سوى انها تذكرهم بأهلهم  
في ( جن ) التى ترمز الى الشرق المقدس عندهم ومصدر الحياة والمطر في  
عقيدتهم حتى انهم ينامون وهم يواجهون الشرق واذا تحول الطفل اثناء نومه  
ليواجه الشرق . وعلى العكس من ذلك الغرب الذى يعتبر مصدر الارواح .  
وقد تحرك المورلى من موطنهم الأول نحو نهر أومو الى بحيرة رودلف ثم  
دخلوا أرض التبوسا ووصلوا الى مرتفعات يوما والى شمال تلال ( مارو )  
ثم دخلوا في عدة معارك مع جيرانهم من الدينكا والنوير والأنواك حتى أستقروا  
في منطقتهم الحالية . فحددوهم الآن الى الشمال والغرب كونت حديثا نسبيا



وايضا طبل مع النوير والدينكا والى الشرق يجاورون الأنواك والذين لهم مجموعة صغيرة تسكن في جبل لوفان ولهم بعض الاتصالات مع اولاد عموماتهم من قبيلة لونقاريم الذين يعيشون في تلال بويا شمال جبال الديدنجا . ويتصلون في الجنوب بقبائل الجيبى والتبوسا في اعالي نهر الكنجن . وتعيش مجموعة صغيرة . وشرق بوما يتصل المورلى في مرتفعات يوما في اقصى الجنوب الشرقى من بلادهم حيث يجارون قبائل السورى او الدهواك وقبائل اخرى صغيرة . وشرق يوما يتصل المورلى بقبائل القالا في المرتفعات الاثيوبية .

وأرض المورلى تمتلأ بالانهار ومن اهمها البيبور ونانعام وكونق كائق ولوتيلافيفينو وكنقن وأقوى . هذه الأنهار وفروعها تنحدر من الهضبة الاثيوبية وتصب داخل أرض المورلى وتكون كثيرا من المستنقعات وتكسر الحشائش والاشجار على شواطئ هذه الأنهار أما بقية المناطق فسهول واسعة مسطحة تملأها الحشائش الطويلة معظم هذه الانهار تجف في زمن الجفاف مخلفة وراءها عددا من أماكن الماء المتقطعة وتنتشر اشجار البوى على شواطئ الأنهار فيفينو ولوتيلاف وكنقن بسيقانها السوداء اللتوية وأوراقها الخضراء الباهتة وهذه الاشجار تميز منطقة المورلى عن بقية أجزاء السودان .

وفي السنين العادية تمتلأ هذه الأنهار في شهر يونيو وتبدأ في الجفاف سريعا في شهري اكتوبر ونوفمبر .

ومع أن المورلى رعويون بطبيعتهم الا أنهم مزارعون بالضرورة وتلعب الأحوال الجوية دورا كبيرا في تشكيل طريقة حياتهم . ففي منطقة بوما الجبلية حيث الأرض أكثر خصوبة والأمطار أكثر غزارة يزرع المورلى ثلاثة محاصيل في السنة ولكن نظرا لوجود حشرة التسي تسي في هذه المنطقة فانهم لا يربون الماشية ولذلك تتكون ثروتهم وخاصة في المهور من الاغنام والخراف . وعلى الزوجة أن تقوم بفلاحة الأرض في مزرعة أهل زوجها . أما في منطقة نهر فيفينو فالأرض ذات طبيعة رملية ولذلك فهم يربون الماشية ويعتمدون عليها . والمورلى هنا يحيون حياة رعوية خالصة ويزرعون نادرا ويعيشون على اللبن والسّمك ولحم الصيد وعروق بعض الأشجار والفواكه البرية . أما في المناطق ذات التربة الثقيلة فهم يعيشون على اقتصاد زراعى ورعوى مختلط وهم يزرعون هنا الذرة الشامى والتبّاك في مزارع صغيرة حول منازلهم وقد يزرعون في مزارع أكبر ويسورونها بالاشواك لحمايتها من حيوانات الصيد الكثيرة في المنطقة كما سبق سرد ذكره في مجال الصيد . وفي هذه المزارع يزرعون أنواعا مختلفة من الذرة وأحيانا الفول والسمسم ومعظم العمليات الزراعية الثقيلة والمحصول تمتلكه المرأة . أما صيد السمك فهو مهنة مختلطة بينما صيد الحيوانات البرية عمل ينفرد به الرجال فقط . وفلسفة المورلى في الحياة تدور حول الماشية حتى أولئك الذين يمتلكونها فهم يربونها أو يتزوجون بها ويأكلون ويشربون منها وينامون على جلدها وتدور

معظم اغانيهم حول الماشية التى يسلبونها من جيرانهم والشبان يعيشون مع الماشية يتجولون معها ويعنون بها . وتلعب الاغنام والخراف دورا كبيرا فى تكملة ثروتهم .

### الصيد عند المورلى

والمورلى قوم شديدا الغرم بالصيد وهم اذكيا جدا فى طرق القنص ولهم عدة أنواع من شرك الصيد وهم يدربون الكلاب على الصيد ويبنون الحواجز للاسرة ومنطقتهم ملأى بأنواع الصيد المختلفة ويستمر الصيد عندهم طوال أيام السنة وهو لهذا يكون جزءا هاما فى غذاءهم . ويبلغ موسم الصيد قمته عندما تبدأ هجرة الصيد فى المنطقة تجاه الجنوب فى بداية فصل الأمطار وكذلك عند عودته من الجنوب وهذه الهجرة تبدأ فى جبال يوغندا ومنها جبل كاثيا نقور حتى أعالي نهر كنقن والى أميال بسيطة جنوب البيبور ويسمى المورلى هذه المنطقة باسم ( شجرة اللحم ) لكثرة الصيد فيها . ويحفظ اللحم بتجفيفه للاستعمال طوال السنة وكل شاب يصطاد صيدا يقوم بقطع أذنه اليمنى أو اليسرى حسب مكان الضربة الفاتلة ويعلق هذه الأذن فى كوخ والدته وهم يفخرون بذلك ، والبنات يفخرون بالشباب الجلودأما الجلود فانها تحفظ فى أماكن الجلوس أو فى اندية كبار السن وهم أيضا يفخرون بذلك وقد يغرم الفتى الذى لا يحضر جلدا للصيد .

وفى أثناء فصل الأمطار يعيش المورلى فى القرية شبه المستديرة فى المناطق المرتفعة قرب النهر . وفى باقى أيام السنة يتحرك المورلى وراء الماشية والصيد ويبنون فى هذه الأثناء معسكرات مؤقتة تسمى ( بول ) وعادة يبدأ تحركهم وفى ديسمبر عندما تنتهى هجرة الصيد . وفى أبريل ومارس يبدأون فى العودة لتنظيم الأرض للزراعة . والمورلى لا يتحركون ويعودون بشكل نمطى منظم بل قد يرحلون الى منطقة وقد لا يذهبون اليها العام القادم .

### النابى والقرية

والنابى نابى القرية — يشكل حلقة هامة فى حياة القرية عند المورلى حيث يجتمع فيه كبار الرجال للحديث وحل المنازعات كما أن حلقة الرقص تشكل جانبا هاما فيه . وهى بالطبع تجذب الى النابى كل القرية والنابى هذا عبارة عن شجرة كبيرة ظليلة ويسمونه ( رى ) وخملات الصيد الكبيرة أيضا تقرر فى النابى وهى أيضا تجمع عددا كبيرا من أهل القرية وخلاف ذلك فالنابى مكان لاجتماع كبار حكام القرية . والقرية تتكون من عدد من البوائى وكل عائلة تبنى منزلها على شكل دائرى وترتبط المنازل أو القطاطى بزريبة الشنوك لحماية الماشية التى تبنى لها زريبة وسط الدائرة ومزرعة الذرة والتباكو تقع خارج الدائرة وهى تسور بالشنوك أيضا .

والقرية بهذا هى الوحدة الاجتماعية والاقتصادية والمورلى اداريا

مقسمون الى أربعة أقسام ويسمونها طبول ، وقد بقيت منها الآن اثنتان  
الا أنهم يعبرون على وجود الأربعة . وعند اعلان أى حكم هام فى قضية يتلون  
أسماء الأربعة طبول أو الأقسام . وكل قسم عبارة عن منطقة جغرافية محددة  
تحتوى عددا من القرى . ويعتقد المورلى أن رئيس كل قسم يملك الأرض  
وهذا الرئيس ينتمى الى عائلة ( بولانيك ) الحاكمة وهذه الطبول الأربعة هي  
كلينيا وتنقاجيون وهورلى بوما ونقاروتى وتوجد أيضا نقنفاك التى أو قسم  
لوناريم فى جبال بويا . ويبدو أن تسمية القسم من القبيلة بالطبل سببه أن  
لكل قسم طبله الخاص . هذه الطبول مقدسة عندهم ويمنع اقتراب أى شخص  
غير مرخص له بذلك منها . ونظرا لاحترامهم لهذه الطبول وتقديسها فانهم  
بالتالى يحترمون رؤساء الطبول أو رؤساء الأقسام هؤلاء . ولا يستعمل المورلى  
هذه الطبول الا فى حالات الطوارئ النادرة كحالات الحرب أو انزال المطر  
أثر موسم الجفاف الطويل . وبالطبع أدخلت الآن تعديلات كثيرة على هذا  
النظام نتيجة لوجود مفتش للمركز ومحكمة له وهو الذى يخول الزعماء بالنظر  
فى بعض القضايا وذلك قل نفوذهم الى درجة كبيرة . ثم أدخلت الحكومة نظام  
محاكم الرؤساء التى تحكم حسب تقاليد كل قبيلة .

فى حالة وفاة الأب يتراأس ابنه الأكبر من زوجته الكبرى رئاسة العائلة  
وهو الذى يقوم بتقسيم ورثة أبيه من الماشية على بقية الورثة . والمورلى يمنعون  
الزواج بين أبناء العائلة الواحدة ولذلك فهم يتأكدون أولا من صلات القرابة  
والزواج قبل السماح بالزواج . والمورلى يحترمون صلات القرابة الى حد بعيد  
ودائما ينادى الكبير فى العائلة أيا من أبناء أقربائه ( بابنى أو بنتى ) وهو  
ينادى ابنه ( بابنى ووارثى ) . وينادى الصغار الكبار فى العائلة بلقب  
« والدى » أو « والدتى » مهما كانت درجة القرابة . والزواج يحترم نسبته  
الى حد بعيد . والزواج عندهم بجانب أنه رباط بين شخصين فهو أيضا  
تحالف بين عائلتين ومثلما تفقد عائلة الفتاة فردا فإنه يجب تعويضه بالماشية  
التي تغادر ملكية عائلة الزوج الى عائلة الزوجة . وهم يقضون ساعات طويلة  
فى جمع وتقسيم هذه الماشية ويتم زواج الابن الأكبر فالذى يليه . ولكن  
الأمر يزداد تعقيدا فى حالة الأخوة من الأب فى مثل سن الابن الأكبر من  
الزوجة الأولى والذى يجب زواجه أولا ويستعان هنا بكل الماشية لدى العائلة  
مهما تعددت الزوجات .

والزواج يبدأ بطلب من الفتى للبنت ويستمر نقاشهم طويلا وبوجود  
الأصدقاء واذا قبلت البنت ذهب الفتى لأمها فاذا قبلت وأقنع أهله أتى أهله  
لمناقشة أهل البنت . ثم تبدأ مفاوضات المهر وسط الغناء والحديث عن  
الأجداد ، وعندما يتم الاتفاق على الماشية تقدم لهم القهوة ويقدم أهل الزوج  
خروفا أو معزة . وتقديم القهوة ضرورى لأعمال مراسيم الزواج عندهم وهم  
يستجلبونها اما من منطقة بوما أو من أثيوبيا وهى بمثابة مباركة للزواج .  
والبنت تفضل فى الزواج لسمعتها ومهارتها فى طهو الطعام وفى العمل فى  
الحقل . وتفاصيل طقوس الزواج كثيرة لا يتسع لها هذا المجال . ولا يوجد  
عدد محدد لمهر الزوجة من الماشية ، ويتوقف ذلك على كل حالة . وقد تبدأ



قيمة المهر بسبع بقرات عددا من الأغنام والخراف والذرة وقد يصل العدد الى عشرين بقرة وعددا من الأغنام وغيرها من الهدايا . وفي حالة الطلاق تعاد الماشية رغم أنها تكون قد قسمت بين أفراد العائلة عند الزواج ويذهب الأطفال مع أمهم . والمورلي يخافون من السحر ولا يسمحون لمن يعمل بالسحر بالعيش بينهم لأنهم يسببون المرض ويجلبون الشر . غير أن هذه الاعتقادات قد بدأت تختفي ويقل أثرها بظهور التعليم بينهم وبدخول الدين الاسلامي والدين المسيحي في أوساطهم . ومنطقة المورلي عموما منطقة معزولة ومتخلفة بسبب العوامل الطبيعية . ويشكو المورلي من قلة الخصوبة وسط نسائهم ولكن يتقدم وسائل المواصلات والخدمات الصحية والتعليمية والمشاريع الاقتصادية فان المنطقة ستلحق ركب التطور لما يتميز به سكانها من نشاط واستعداد لتقبل الجديد .

### سادسا - قبيلة البرون :

يسكن البرون في الجزء الشمال الشرقي من مديرية أعالي النيل في منطقة المابان وفي عدة جبال وعلى طول شاطئ خور جمجم . وأرضهم منبسطة ذات تلال كثيرة ومعظم أفراد القبيلة يبنون قراهم على سفوح هذه التلال ولهذا يعتبر الجبل وحدة قائمة بذاتها من الناحية الادارية والاجتماعية . والقبيلة تعود بأصلها الى ملوك الفونج القدماء حتى أن سكان جبل أولو من القبيلة يسمون أنفسهم بالفونج . والبرون مزارعون ولكنهم يربون قليلا من البهائم خاصة الخنازير . وقرى البرون تبعد كثيرا بعضها عن الآخر وذلك لاتساع السهول خاصة في منطقة المابان . والقرية هي الوحدة السياسية في القبيلة وقد ترتبط بقرى أخرى عن طريق علاقات الدم والقرابة . ويتكون المنزل الواحد من عدة قطاطى تتوسطها قطية تستعمل كمخزن للغلال وأخرى لحفظ الأغنام والخنازير .

ومن أبرز عاداتهم أن الرجل يجب أن يعمل لعدة سنوات في مزرعة والد زوجته قبل أن يتم الزواج وهذا ينطبق على البرون سواء كانوا في المابان أو جبل أولو أو خور جمجوم أو خوريا بوس أو أولئك الذين في شمال المنطقة أو جنوبها . ويلى العمل في المزرعة تقديم بعض الأبقار والأغنام والخنازير وأشياء أخرى مختلفة كمهر . وباتمام ذلك تذهب الزوجة الى منزل زوجها مباشرة . وقد درج البرون زمانا كتقليد من تقاليدهم على « خطف » الفتاة عند اتمام مراسيم الزواج الى قرية زوجها . ويؤمن البرون بالسحرة ويلعب السحر دورا كبيرا في حياتهم خاصة في معالجتهم للأمراض ويظهر هذا الاعتقاد خاصة في منطقة المابان .

ويوجد « صانعو المطر » بين برون منطقة جمجوم ومنطقة واديقا وتختلف الأسماء الآلهة في المنطقتين فهو في واديقا « صانع المطر » وهو في جمجوم « رجل الآلة » . وعملية انزال المطر عندهم تحدث بإحداث الاحتكاك بين حجرين يسميان « حجارة المطر » ثم تذبج معزة كضحية . وعند نزول دم

المعزة على حجار المطر يتم نزول الامطار من السماء حسب اعتقادهم ! ويوجد صانع المطر فى كل جبل . اذا مات الرجل عندهم يتزوج أخوه زوجته ولا يسمح للرجل بالزواج من بنات عمه أو بنات خاله . وصانع المطر فى منطقة البرون يشبه فى وظائفه الاجتماعية والسياسية الى حد كبير الكجور فى منطقة جبال النوبة بكردفان ويبدو تشابههم مع النوبة حتى فى تكوينهم الجسمانى .

### التنمية الاقتصادية والخدمات

● حدثنى مارتن عضو المجلس التنفيذى طويلا عن الثروة الزراعية فى مديرية أعالى النيل . . . قال :

تمتاز مديرية أعالى النيل بالاراضى المنبسطة الطينية الممتدة ويمكنها بهذا أن تكون مخزن الحبوب الغذائية للاقليم الجنوبى خاصة ومن مناطق الانتاج الرئيسية للذرة واقطن فى السودان عامة . وتعتبر منطقة الرنك شمال المديرية أكبر منطقة زراعية فى الاقليم الجنوبى بأكمله . وقد تسببت ظروف الاضطرابات فى السابق فى هجران كثير من المزارعين لاراضيهم الزراعية وبلداتهم . كما أن الفيضانات فى الأعوام الماضية قد غطت أجزاء كبيرة من مركزى بور وفنجاك مما قضى على المجهود الزراعى المنظم فيهما . ولكن بظهور التحسن فى أحوال الأمن فى أواخر موسم ٦٤ ، ١٩٦٥ بدأ المزارعون يعودون الى مزارعهم واقبل اصحاب المشاريع فى الاحوال الزراعية وكان اقيام هيئة الاصلاح الزراعى أثر كبير فى ذلك حيث أمتت كثير من المشاريع الخصوصية للقطن وعادت زراعة القطن المصرى وزراعة الحريق كما قام مشروع الأعاشة النموذجى يملكان لزراعة الذرة على غرار مشروع فوز روم الآلى الحكومى بمركز الرنك . كما بدأ التخطيط لاقامة مشاريع مماثلة للمواطنين والعائدين فى مراكز الناصر وبور البيبور واكوبو وبنتيو وفنجاك .

### وعن الثروة الحيوانية قال لى :

تشكل الماشية الثروة الرئيسية للسواد الأعظم من سكان المديرية وهى وثيقة الاتصال بحياتهم الاجتماعية كما أسلفنا عند حديثنا عن القبائل المختلفة . وللماشية عندهم مفهوم اجتماعى أكثر منه اقتصادى ولذلك فهى قليلة الفائدة فى حياتهم الاقتصادية ولكنها تشكل المحور الاساسى فى حياتهم الاجتماعية .

وتعداد الماشية حسب تقديرات وزارة الثروة الحيوانية لعام ٧٢ ، ٧٣ كالتى ( آخر تعداد أجرى فى عام ١٩٦٨ وتقدر الزيادة السنوية بنسبة ٦ فى المائة والتعداد لاسباب كثيرة يجب أخذه بحذر ) :

الماشية ١٩٩٨ر٠٠٠

الماعز ١٣١٨ر٠٠٠

الضأن ٧٥٧ر٠٠٠

وتحتوى المديرية اعدادا لا حصر لها من حيوانات الصيد وخاصة فى المناطق الشرقية كما تكون الثروة السمكية وصيدا ضخما لم يستغل الاستغلال الأمثل بعد . والابقار هنا يغلب عليها الدم الأفريقى وعلماء السلالات يسمونها بالابقار الأفريقية جاءت مع القبائل النيلية عندما نزحت شمالا من أفريقيا الشرقية . وقد اكتسبت الابقار فى هذه المديرية مقاومة لبعض الامراض المستوطنة كالديدان ومرض الذباب بالإضافة الى تحملها لعوامل الطبيعة المختلفة من غزارة الامطار ورطوبة وكثرة المستنقعات . وأبقار أعلى النيل لا تنتج لبنا كثيرا الا أنها غنية بالمواد البروتينية .

ان بالمديرية مناطق زراعية ورعوية بعيدة عن الأنهار وهى تشكو العطش فى فصل الجفاف . وقد قامت هيئة توفير المياه الريفية بجهود واسعة لمواجهة هذه المشكلة وحفرت عددا لا بأس به من الآبار فى الموقع التى تحتاج لمياه الشرب للانسان والحيوان وقد نجح عدد من هذه الآبار وفشل البعض الآخر أما بسبب ندرة المياه أو سبب التراكمات الصخرية . وتعد هيئة توفير المياه فى الوقت الحاضر برنامجا شاملا لحفر المزيد من الآبار .

وتبلغ جملة الآبار التى تم حفرها حتى الآن ٥٣ بئرا نجحت منها ٢٩ بئرا واخفقت ٢٤ بئرا وقد تم تركيب الطلمبات والصهاريج فى الآبار الناجحة . كما قامت الهيئة باعداد ٧٨ حفيرا للمياه .

وتبلغ حاجة الانسان للمياه فى المديرية ٦٩٧٦ر٣٦٠ مترا مكعبا وحاجة الحيوان ٧٩٣٩٦ر٣٦٣ مترا مكعبا تسعى الهيئة جاهدة لتوفيرها .

### التربية والتعليم :

يبلغ عدد المدارس الابتدائية بالمديرية ٨١ مدرسة ابتدائية للبنين و ٢٥ مدرسة ابتدائية للبنات وبالمديرية ثلاثة عشرة مدارس ثانوية عامة للبنين واربع مدارس للبنات . وتوجد مدرسة ثانوية عليا واحدة للبنين بملكال ومعهد للتربية بملكال .

فى فبراير ١٩٧٠ تم فتح معهد ثقافى باسم معهد مايو الثقافى لتدريس وذلك للارتقاء بمستوى الأداء ولتعميق مفاهيم الوحدة الوطنية وقد نجح هذا اللغة العربية للموظفين والعمال ورجال الأمن والجنود من أبناء الأقليم الجنوبى المعهد نجاحا ملحوظا ويضم فى الوقت الحالى أكثر من ٢٠٠ دارس من مختلف



المصالح ويقوم بالتدريس فيه كبار رجال التعليم بملكال .

ويقوم معهد التربية بملكال بتنظيم دورات تدريبية منتظمة لمدرسي المدارس من الأقليم الجنوبي لتدريبهم على المقررات الجديدة للسلم التعليمي ولتدريبهم على الإدارة والمسائل المالية ومحاضرات ثقافية عامة ذات صلة بعملهم كمعلمين ومديرين للمدارس وكمواطنين .

كما استطاع المعهد أيضا تدريب مائتي معلم من مدارس انقري القديمة وهم الذين كانوا يدرسون في مدارس الكنائس باللهجات المحلية استطاع المعهد تدريبهم التدريب الكافى على أساس المنهج القومى وقد تم استيعاب هؤلاء فى كادر التعليم الابتدائى .

وفى مجال محو الامية فقد حدث تطور كبير منذ قيام ثورة الخامس والعشرين من مايو فقد كان عدد فصول محو الامية قبل الثورة ٢٦ فصلا تضم ٧٦٩ منتسبا أرتفعت بعد الثورة الى ٦٧ فصلا تضم ٢٠١٥ منتسبا كما تم فتح ١١ روضة للأطفال كما أرسلت الى مركز التنمية الاجتماعية بشندى ٨ مرشدات للتدريب على ادارة رياض الاطفال وقد عدن وباشرن عملهن على أكمل الوجوه .

أما فى مجال الثقافة العامة فقد فتحت ثلاثة فصول بمدينة ملكال يتلقى المنتسبون فيها محاضرات فى التربية الوطنية والمعلومات العسامة وجغرافية وتاريخ السودان .

### الفطره وراحة البال

#### وبعد :

ان الحياة هنا فى مديرية اعالى النيل فطرية للغاية . . لا اثر فيها لشكل أو مدنية صناعية . . فالناس ينطلقون فى أول النهار فى الغابات يرعون البقر ويصطادون الغزال ويعيشون بين الطبيعة - امهم الحنون - وهكذا يمضى النهار - فى بشر ومرح حتى اذا فرغوا من عمل النهار - عمدوا الى الرقص الجميل يقطعون به الليل الطويل . . والرقص هناك فن وعبارة للطبيعة البسيطة .

أن كل زائر لهذه المديرية بعد ان يشاهد هذه الحياة السهلة يتمنى من كل قلبه لو عاش مثلهم ، لكى يتمتع براحة البال وصفاء النفس اللذين يتمتعون بها .

يبقى بعد ذلك كلمة أقولها للمصريين جميعا . . ان الجو فى السودان رائع جدا فماذا يضركم لو قمتم برحلاتكم الى جنوب السودان ؟ ستجدون

المناظر الطبيعية الجميلة هناك بين الغابات وتستمتعون بجو صاف جميل الى  
جانب انكم ستساهمون في توثيق العلاقات بين مصر والاخوه في جنسوب  
السودان من ناحية اخرى .

وكم اتمنى لو نظمت الجامعات والمدارس رحلات الى السودان لكي يدرس  
الطلاب عن قرب منابع حياتهم في النيل الحبيب .

الرحلة الثانية (١)

مديرية بحر الفـزال





كانت هذه زيارتي الثانية « لواو » عاصمة بحر الغزال بجنوب السودان . . وكانت الزيارة — كسابقتها — مع الرئيس نميرى ، وكانت — كسابقتها — أيضا زيارة تتم في اطار اعياد واحتفالات .

كانت المناسبة في « واو » هي افتتاح كوبرى « الجور » وهو رافد من روافد النيل الابيض الكثيرة في تلك المنطقة والكوبرى المقام عليه كان يتم افتتاحه ضمن المنشآت والمشاريع المكثفة التى يبدأ عملها ، او يبدأ العمل فيها مع اعياد ثورة ٢٥ مايو .

وكانت « واو » مرة أخرى تلك المدينة الجميلة وقد ازدادت جمالا . . كانت الاستعدادات للاحتفال بأعياد ثورة مايو قد اكتملت والمدينة ازدانت بأقواس النصر والزينات . . وكانت جماهير « واو » قد بدأت احتفالاتها الشعبية بالاعيان . . الشعب في جنوب السودان له أسلوبه وطريقته في الاحتفال . . الرقص في الطرقات وعلى أنغام الطبول الافريقية الشهيرة . . الملابس الملونة المزركشة . . الرقص العنيف الصاخب تتبادلته الفتيات والشبان .

وكانت زيارة نميرى لواو فرصة ذهبية للشعب في الجنوب ليلبدا احتفالاته بالرقص والطرب والغناء ، متابعين لموكب الرئيس نميرى مستوقفين الركب في معظم الاحيان ليشاهد او يشارك .

### الطبيعة تنظم الحياة في الجنوب

من الزيارة الاولى للجنوب احببت الحياة فيه . . كل المناسبات عندهم لابد من الاحتفال بها . . بالرقص والغناء . . كل شيء له طقوس وتقاليد خاصة .

بعد افتتاح الكوبرى وفي الاستراحة ، جلست الى بعض الأخوة من الجنوبيين أسأل عن سر ذلك . . سر ربط كل مناسبة بالرقص والغناء . . قالوا . . ان الافريقى يلون حياته بألوان الطبيعة على أرضه . . لعلك لاحظت هذه المنطقة في الخريف . . خضرة وجمال ونضار . . الطبيعة بكل جمالها وانطلاقها تنعكس على تصرفاته . . على أسلوب حياته . . الملابس الملونة المزركشة . . حبات الخرز التى تتدلى من جيد الفتيات . . حب الانطلاق والغناء والمرح . . كل هذا انعكاس للطبيعة . . الطبيعة توزع ألوانها بسخاء على الأرض . . وعلى الانسان أيضا .

الانسان هنا منطلق . . يرقص للحياة . . للمطر . . للميلاد . . للزواج . . وحتى للموت والحرب . . لها طقوسها ورقصاتنا . . هناك يعيش الانسان كما يجب أن يعيش كل انسان الحياة بخلوها ومرها هي الحياة ولا بد أن تعاش . .

## حكاية الكجور

والكجور هناك هو زعيم القبيلة ، وهو الساحر وهو الطبيب وهو القاضي .. هو القادر على انزال المطر وهو الذى يقود افراده الى النصر .. له الحق فى ان يتزوج من يشاء وبأى عدد .. يحترمه الجميع ويرجمون اليه فى كل كبيرة وصغيرة .

الاعتقاد هناك بأن « الكجور » له قوى خارقة .. قادر على انزال المطر ، وقادر على امساكها .. يستطيع ان يشفى المريض ويستطيع ان ينزل البلاء .. له القدرة على ان يقتل من يريد بقوى سحرية .. من هنا فهو مركز الاهتمام من كل الافراد ومطاع الاوامر .

## سقطه الثور .. والسلام

هذه الصورة الاجتماعية تجدها فى المناطق البعيدة عن المدن ، حيث تتركز القبائل .. سمعته يتحدثون عن الكجور « روى » وانه أصبح الآن مواطنا فى المدينة يتمتع بمركز محترم .. ويقابل الشخصيات الرسمية ويجلس معها .. ورأيت .. كان يلبس « البدلة الافريقية » الانيقة وكان يجلس الى بعض الوزراء الاقليميين .. لم أشعر بأى قوى خارقة تحيط به بل كان مواطنا عاديا جدا مرح وكثير الابتسام والضحك ..

وسمعت قصته ..

كان قبل السلام وحل مشكلة الجنوب فى صراع مع زعيم آخر او بالأصح مع « كجور » آخر .. وصل الخلاف بينهم الى حد الاقتتال .. وبعد الاتفاقية كان سعى الحكومة على حل الخلافات بين القبائل وبين الزعماء بقدر سعيها لأحلال السلام فى كل الجنوب .. من هنا فقد انعقد مجلس الصلح بين قبيلتي الزعيمين الكجور « روى » والكجور الآخر .

والأقرار الاتفاق جرت طقوس تعرف باسم طقوس الاتفاق .. جاءوا بثور صغير .. تجمعت حوله القبيلتان المتنازعتان ومعهن مجلس الصلح .. ثم اتوا بحربة طويلة يطعن بها الثور فى جانب من جوانبه .. وينتظر الجميع النتيجة ..

إذا سقط الثور على جانب الجرح فهذا يعنى أن نزيف الجرح توقف — وهو معنى أشمل لتوقف نزيف الدم بين القبيلتين .. أما إذا سقط الثور على الجانب الآخر فهذا يعنى استمرار الحرب .

قد يبدو ذلك غريبا .. أن يتوقف احلال السلام بين القبيلتين على



سقطه الثور .. على الجانب الذى يسقط عليه .. فأما سلام وأما حرب  
مرة أخرى .. ولكنها على كل حال الطقوس المتعارف عليها ..

وكان أن سقط الثور .. سقط على الجرح .. وتوقف النزيف ..  
وتوقف أيضا نزيف الأخوة .

تلك قصة عن الطقوس والعادات .. وهى قصص كثيرة .. لكل منها  
معنى ومغزى ..

أروع ما فى كل ذلك أن الحكومة تبأشر معالجة القضايا المحلية فى  
إطار العادات والتقاليد .. الصلح يتم وفق التقاليد ، العمل يراعى فيه  
وكل القرارات تتم فى هذا الإطار ، مما يخلق للقرارات بعدا اجتماعيا  
يتقبله الجميع .

### الساعات تهرب بسرعة

وفى الجنوب تهرب الساعات بسرعة فى المدينة الحية .. دائما كنا  
نجد ما نود أن نراه فيها .. عالم جديد .. ملء وغنى .. يشدك اليه  
تتحرك طوال ساعات النهار .. ويظل للفرد نصيبا فى الانبهار .. شوارع  
واو تصخب بالألوان أشجار المانجو والاناناس والجوافة والموز .. جمال  
خلاب يواجهك فى تجوالك أينما سرت .. الجميع يرتدون ملابس ملونة  
ويرقصون فى كل وقت على أصوات الطبول والرماح والسهم لا غنى عنها  
فى كل وقت ..

### قصة الخمر

فى الجنوب سمعت عن الحملة التى يقودها أبيل الير نائب رئيس  
الجمهورية ورئيس المجلس التنفيذى للأقليم الجنوبى ضد شرب الخمر ..  
وهى المشكلة التى تعوق العمل والإنتاج هناك .

الأسباب وراء ذلك تعود الى أيام الشقاق .. كان الجنوب مسرحا  
للعمليات الحربية .. توقف العمل تماما .. الا فى بعض المرافق الحكومية،  
معظم المواطنين هناك كانوا بلا عمل .. وفى نفس الوقت بلا أمل ..  
الخوف من المستقبل والخوف من الحاضر .. ثم ولم يكن هناك الا الخمر  
يدفنون فيها الخوف ويدفنون فيها المأساة ..

وكانت صناعة الخمور المحلية .. هى أروج الصناعات إبان الحرب  
المستمرة فى الجنوب ..

وحين حل السلام .. كان سرعة العمل والذى تتطلبه المرحلة

فوق قدوة التجاوز لآثار الحرب الاجتماعية . . وكان لابد من عمل مكثف لتجاوز ذلك . .

حددت أماكن بيع الخمر المحلية وقلت نسبتها .

شنت حملة اعلامية مكثفة ضد الخمر . . قادها أبيل الير بشخصه .

وأثمرت هذه الحملة . . وبدأ المواطنون تجاوز هذه المشكلة كثيرون منهم انغمسوا في العمل وبدأوا يدركون أن الوقت الضائع في شرب الخمر يمكن أن يكون أكثر نفعا .

### الأرض للجميع

حكايات الجنوب كثيرة . . ومتلونة . . وهذه حكاية أخرى عن الأرض فالارض هناك مقسمة بين القبائل . . ليست هناك حدود مرسومة ولكن هناك العرف السائد . . كل قبيلة لها حرية الحركة في اطار أرضها . . اذا تجاوزتها كانت تلك نذر لخلاف مع القبيلة التي تمتلك الارض المعتدى عليها .

الأرض هناك . . مرعى للحيوانات . . أهمها الأبقار . . وهي حيوانات مقدسة وهي في الحقيقة تصوير للموقع الاجتماعي للقبيلة أو حتى للفرد . . تقاس المكانة الاجتماعية بعدد الأبقار . . بحجمها وجودتها . . الأبقار لا تذبح ولا تباع . . التعدي عليها انتهاك لشرف القبيلة وكرامتها . . ودونها تراق الدماء . . هكذا كانت . . وهكذا ظل الصراع من أجلها ومن أجل الأرض التي تمرح فيها .

امتداد الصراع قبل الاتفاق شمل حتى الأرض والأبقار . . قبائل تسعى لزيادة موقعها الاجتماعي بالحصول على الشارد من أبقار القبائل الأخرى . . ويظل الصراع في اطار الصراع الكبير . . ومع بؤادر السلام . . كانت قضايا المراعي والمناطق تشغل أذهان المسؤولين . . في مصدر للمتاعب بين المواطنين .

وفي نفس الاطار . . الاطار المحلي . . ومن الواقع الاجتماعي . . تم التغلب عليها أيضا .

اداريا أصبحت المناطق مقسمة بحيث تستطيع كل قبيلة أن ترعى بأبقارها في مناطق معينة . . أما مناطق التماس فهي مفتوحة للقبيلتين . . سنت قوانين محلية تحكم القبائل هناك . . أصبح هناك اداريون من الدولة يجوبون هذه المناطق يعيشون مع القبائل ويعملون على تنفيذ الاتفاقيات المبرمة

هؤلاء ( الاداريون السيارة ) كما أطلق عليهم يراعى فى اختيارهم القدرة على حل المنازعات والتفاهم مع القبائل .

وهكذا . . . فى الاطار المحلى عولجت القضايا الملحة .

### الغزاة . . . اختفوا

كانت ظاهرة الغزى واحسدة من المظاهر التى تميز الجنوب . . ورغم انى لم أر فردا بهذا الشكل . . الا ان ما سمعته عنها أوحى لى بأن ما بذل من أجل تجاوز هذه الظاهرة استطاع أن يحقق نتائج سريعة للغاية .

الظاهرة فى حشد ذاتها ظاهرة تعود الى المخلفات الاستعمارية . . والاستعمار حاول أن يترك الجنوب بصورته البدائية . . بحيث يكون التباين بين الجنوب والشمال كبيرا . . فى الشمال النهضة العمرانية والحضارية . . التعليم والثقافة . . أما الجنوب فيترك على طبيعته . . ينسكن حيث ظل يسكن يلبس ما اعتاد عليه . . وما اعتاد عليه هو لا شىء تقريبا .

فلسفوا ذلك بأن الجنوبي لن يقبل أى شىء غريب عليه . . حرصه على تقاليده ستقف أمام أى محاولة لتحضيره . . اذن فالأفضل أن يظل كما هو . . هذا يعطيه قدرة على الشعور بذاتيته واستقلاله . . هكذا صوروها .

وعلى مدار السنوات السبعة عشر . . كان الصراع يستحوذ على كل الجهد ، فلم تكن هناك جهود للنهوض بالانسان . . بتغيير واقعه .

وبعد السلام تغير واقع الحال . . العمل الآن يستهدف الانسان فى المقام الأول . . لنشله من التخلف . . ونقله الى حضارة القرن العشرين . . بالرغم من أن الجهد فى هذا المجال يحتاج الى كثير من الوقت الا أن ما تحقق فيه يثير الإعجاب حقا .

لقد سقطت فلسفة الاستعمار ونظرياته . . لقد كان المواطن الجنوبي فى حاجة ماسة الى من ينقله الى مشارف الحضارة . . ليواصل وحدة المشوار . . وهكذا كان .

أقبل المواطن فى الغابات الى المدن . . لبس الأنيق من الثياب . . بدأ العمل أقبى المزارع والحقول . . سكن المنازل الحديثة وتطلع الى الحياة الحديثة . . بل واستدعيها بأسرع مما تصور الاستعمار .

فى تجوالى فى مناطق الجنوب لم تقع عينى على أى شخص غار . . أغلبهم ارتدى ( الجلابة ) السودانية وبعضهم ارتدى البنطلونات . . يميلون دائما الى الألوان الزاهية والمتعددة . . وهى ظاهرة تعكس الطبيعة هناك بصدق .



## حكاية الآلات الموسيقية

لفت نظري في واو مجموعة من المواطنين الجنوبيين يحملون آلات موسيقية صغيرة صنعوها بأنفسهم وهي شبيهة في شكلها إلى حد كبير ( بالبيانو ) في حجم صندوق صغير يمكن حمله في اليد الواحدة . . . وكان معظم هؤلاء يعزفون عليها بأنغاماً جميلة . . . وقد علمت أن هذه الآلات الموسيقية هي عامل مساعد لهم في السير . . . فالجنوبيين يجوبون مناطق شاسعة من المدينة ( واو ) إلى قراهم التي تبعد بمسافات طويلة . . . يأتون في الصباح لمزاولة أعمالهم ، ثم يقضون الوقت حتى المساء في المدينة .

وعند بداية غروب الشمس ترى منظراً رائعاً للمواطنين وهم يمضون إلى قراهم فيما يشبه الطابور العسكري . . . فالطريق يمر في الأغلب وسط جشائش عالية . . . تصل إلى منتصف الرجل وهو طريق ضيق يسرون فيه واحداً خلف الآخر . . . ويسير حامل الآلة الموسيقية في المقدمة وهو يعزف على آله الموسيقية أنغاماً تتماشى مع حركة الأقدام . . . وهكذا حتى يجدون أنفسهم في قراهم . . . أحياناً قد يستبد بهم الطرب فيقفون في منتصف الطريق ليباشروا الرقص والغناء .

## الليل في الجنوب

والليل عندهم أجمل الاوقات . . . هو وقت الراحة والرقص والغناء . . . يهتم كل مواطن بالليل . . . ليجتمع الأخوان والاصدقاء . . . جلسات المساء عندهم تسمى ( الترم ترم ) هو تعبير مستمد من صوت النغمة الموسيقية . . . فهو تعبير عن الجلسة الغنائية حيث سيكون هناك مغنى وراقصون . . . في جلستهم يلتزمون بالاسلوب الاوروبى فى الرقص بكل قواعده .

الليل هناك أنس وسمر ورقص .

## انتخابات مجلس الشعب

لا أنس في غمرة الحكايات الطريفة في الجنوب . . . ان زيارتنا الثانية - والتي جئناها في ركب نميرى - كانت تؤكد كل مرة شعبية هذا الرجل . . . بالرغم من أن الزيارة لم يتم اعلانها الا قبل بدئها بليلة واحدة فقد شعرت بان بحر الغزال كلها فى استقباله .

وكعادتهم استقبلوا الرئيس نميرى بازهى ملابسهم كأنهم اقى يوم عيد ، وانطلقوا مع موكبه بالاقدام والعربات . . . لفت نظري . . . الشعارات المرفوعة ، بالعربية والانجليزية .

الاشتراكية .. لنهضة الجنوب .

٢٥ مايو لتحقيق العدل الاجتماعى .

نميرى يحقق السلام والاشتراكية .

وهكذا أصبح الجنوب فى بوتقة الثورة .. دعوة لاشتراكيته ورافعا لشعاراتها .. واصبح الاتحاد الاشتراكي بكل وحداته فى الأقليم الجنوبى مركزا للعمل السياسى الفعال .

وأبرز ما يمكن أن يقدم هى انتخابات مجلس الشعب .. لقد سجلت الأرقام ارتفاعا كبيرا فى بعض الدوائر .. بلغت نسبتها أكثر من ألف .. وكلهم مارسوا حقهم فى الانتخابات .

صورة لم تكن موجودة من قبل .. بل ان الجنوبيين لم يمارسوا من قبل حقوقا سياسية بهذه الصورة ، ولكنهم حين أعطى لهم هذا الحق مارسوه وبكفاءة .

كانت عمليات الترشيح والتصويت ثم الليالى الانتخابية صورة للمواقع السياسى الجديد .. المشاركة الفعالة .. بل والقدرة على اختيار الفرد الأصلح .

وهكذا جاء السيد بونا ملوال نائب وزير الاعلام السابق نائبا فى مجلس الشعب عن دائرة .. بمديرية بحر الغزال .. وهكذا جاء السيد أروپ بور .. وزير الاشغال الاقليمى .. وعدد من السياسيين الجنوبيين .

الصورة الآن فى الجنوب ملونة بالوان الطبيعة .. زاهية فى كل جوانبها اجتماعيا يقبلون على الحياة كما يجب .. سياسيا يشاركوز بفاعلية .. اقتصاديا تجد العمل والانشاء فى كل مكان .. ويقبلون هم على العمل بعد أن تجاوزوا سنوات الضياع والرغبة والخوف .

### مناقشات فى ( واو )

مديرية بحر الغزال هى إحدى المديريات الثلاث التى يتكون منها الأقليم الجنوبى لجمهورية السودان الديمقراطية وهى المنطقة التى يروىها بحر الغزال وروافده . وتحتل هذه المنطقة الجزء الجنوبى الغربى من جمهورية السودان الديمقراطية . وتمتد هذه المديرية فى الغرب على حدود السودان مع جمهورية أفريقيا الوسطى وتمتد من ناحية الشمال على حدود مديريتى كردفان ودار فور

وفى الشرق تلتقى بمديرية أعالي النيل عند مشارف منطقة السدود وفى الجنوب تلتقى حدودها مع المديرية الاستوائية وتقع بين خطى عرض ٦ ، ١٠ درجة شمالا وبين خطى طول ٢٤ و ٣٢ درجة شرقا .

وتقدر المساحة الكلية لمديرية بحر الغزال بـ ٢١٤٠٠٠ كيلو متر مربع أو ٨٢٥٠٠ ميل مربع .

ولقد عانت هذه المديرية فى الماضى من ظروف عدم الاستقرار والامن الكثير اذ تعثرت فيها نتيجة اتملك الظروف حركة التطور الاقتصادى والاجتماعى وساعدت على زيادة نسبة التخلف فيها اذ هجر الكثر من المواطنين ديارهم الى الأقطار المجاورة وإلى داخل الغابة فنقص عدد سكانها وتأثر النشاط الاقتصادى والبشرى فيها واصبح يقوم على انتاج بدائى لا يكفى لسد احتياجاتهم الغذائية دون التفكير فى المشاركة فى التطور القومى والمحلى .

وبعد توقيع اتفاقية السلام باديس أبابا فى مارس ١٩٧٢ وعودة الحياة الطبيعية الى هذه الربوع بدأت أعداد كبيرة من المواطنين فى العودة الى ديارهم ( وقد قدر مكتب اللاجئين التابع للأمم المتحدة عددهم بحوالى ٢٥٠٠٠ لاجئ فى جمهورية أفريقيا الوسطى ) وبدأ هؤلاء فى الاستقرار وممارسة حياتهم العادية .

### السطح والتضاريس

وصمت محدثى ازاياء كوانك مابور محافظ واو وهو يشرح لى الأماكن المتوفرة فى هذه المديرية ويعطينى فكرة مبسطة عن التكوين الاجتماعى والنشاط البشرى فى المديرية . قال وهو يعود الى بعض مراجعة (١) :

من الناحية الطبوغرافية يمكن تقسيم مديرية بحر الغزال الى قسمين طبيعيين :

#### (أ) السهولة التراسمية الطينية : -

وتحتل الجزء الشمالى الشرقى من المديرية وهى سهول خصبة تصلح للزراعة وتكثر فيها الغابات والأحراش وتحتل ثلث مساحة المديرية وهذه المنطقة عبارة عن مثلث قاعدته خط يمتد من مدينة برول فى الجنوب الى مدينة أويل فى الشمال وضلعا أحدهما فى الشمال على امتداد مديرتى كردفان

---

(١) - راجع كتاب السلام والبناء . . مديرية بحر الغزال مطبوعات وزارة الثقافة والاعلام - أبريل ١٩٧٤ .



ودارفور والضلع الآخر فى الشرق على امتداد منطقة السدود غرب بحر الجبل وقد تكون هذا السهل من ترسبات الطمى التى تحملها روافد بحر الجبل وبحر العرب وبحر الغزال .

### ( ب ) الهضبة الحديدية الحجرية : -

وتقع الى الجنوب والجنوب الغربى من السهول الترسيبية الطينية وترتفع تدريجيا نحو الجنوب وهى عبارة عن تضاريس التوائية تتخللها روافد بحر الغزال وبحر الجبل وتشمل نهر لو ، واو ، التونج ، الجور ، وتنحدر شمالا عبر هذه المنطقة لتكون السهل الشمالى مما تحمله من طمى .

### تصريف المياه :

يتضمن القطاع الغربى من هذه المنطقة منخفض حوض بحر الغزال والذي يقع الى الغرب من خط طول ٣٠ درجة شرقها وبحر الغزال رافد من الروافد التى تتصل بالنيل وخاصة من ناحية الغرب وتتجمع مياه روافد بحر الغزال عند خط تقسيم المياه الذى يفصل بين حوض نهر النيل وحوض نهر الكونجو وتتجمع أيضا المياه من المنحدرات الجنوبية والجنوبية الشرقية بجبل مره والمرتفعات الاخرى فى جنوب غرب دافور ومع ذلك فأن معظم هذه الروافد والمجارى المائية التى تنتشر على مدى دافور واسع تفقد الكثير من مياهها التى تتجمع فى مساحات كبيرة من المستنقعات .

أن مجموعة الروافد الكبيرة والتى تبلغ عددها ثمانية مجارى نهريه تنساب الى المستنقعات المنتشرة حول مشروع الرق ويبدأ من عندها مجرى بحر الغزال الرئيسى ونذكر من هذه المجارى النهريه التى تتخذ من منطقة المستنقعات موقعا لنهاية الجريان المائى فيها : نهر باى ، نهر وهمل ، نهر مريدى ، نهر النعام ، نهر جل ، نهر ملكال ، نهر التونج ، خور جلمار . . ولعلنا نلاحظ ان نهر الجور يمثل الرافد النهري الوحيد الذى يتصل الجريان المائى فيه اتصالا مباشرا ببحر الغزال والذي يتخذ مجراه فى الارض الواقعة شمال المستنقعات عند مشروع الرق بالاضافة الى أن نهر لول ونهر عرب يلتقيان معا ويمران فى مجرى محدد يبلغ طوله ٨١ كيلو متر لكى يقترا ببحر الغزال شمال مشروع الرق .

ومهما يكن من أمر فأن مجرى بحر الغزال لا تكاد نتيبينه الا بعد حوالى ٣٢ كيلو متر من مشروع الرق حيث يتسع الممر ويبدو عريضا كأنه بحيرة عرضها حوالى ألفى متر وطولها ١٦ كيلو متر ولا ينخفض عن هذا المجرى سوى جريان هزيل بشكل ملحوظ يسترعى الانتباه وينساب هذا الجريان الهزيل الذى يتجمع من اقتران بحر الغزال بكل من بحر العرب ونهر بور فى اتجاه الشمال الشرقى الى بحيرة نو وهذا الاقتران هو الذى يظهر بحر

الغزال كرافد للنيل الابيض وهذا الجريان لا يؤدي الا الى اضافة قليلة لاتزيد كثير عن حوالى نصف مليار متر مكعب فى السنة أو ما يعادل ٦٪ من الايراد الطبيعى السنوى للنيل .

ونعتمد فى معلوماتنا عن نظام الجريان المائى فى انهار ذلك الحوض على حصيلة تسجيلها محطات رصد تصريف المياه تتمثل بعضها فى مدينة واو على نهر الجور حيث انشئت سنة ١٩٠٤ وفى بلدة نياميل على نهر اللول وفى بلدة التونج بكوبرى نهر الفوتج .

ولابد من القول ان الخسارة التى يتعرض لها الجريان المائى فى روافد بحر الغزال فادحة وكبيرة الى حد بعيد كما يمكن القول بأن حجم الفائض من هذا الحوض الكبير لاتزيد عن ٣٪ من كمية المطر السنوى التى يستقبلها اذ تبلغ هذه الكمية ٢١٢/٤ مليارا من الامطار المكعبة وتضيع اكثر من ٩٩٪ من تلك الكمية فى منطقة المستنقعات كما أسلفنا .

## ● المناخ :

تقع الاجزاء الشمالية من هذه المديرية تحت نطاق المناخ السودانى القارى الذى يمتد عبر افريقيا ويسود هذا المناخ موسمين أحدهما شديد الحرارة جاف والآخر رطب غزير الامطار وتهب الرياح الباردة فى فصل الشتاء ويكون معدل الرطوبة النسبية أقل وبسبب هذا التغير المفاجئ للمناخ متاعب لسكان تلك المنطقة .

أما الجزء الجنوبى من المديرية فيتمتع بمناخ السافانا الغزيرة فتقل فيه فترة الجفاف والحرارة وتزداد كمية الامطار حتى تصل الى حوالى (١٠٠٠ ملم أو ٤٠ بوصة) فى شمال هذا النطاق الى (١٥٠٠ ملم أو ٦٠ بوصة) فى غرب وجنوب المديرية والفصل المطر فى هذا الجزء اطول من سابقة ومدى الحرارة فيه أقل من المدى الحرارى فى شمال المديرية أما فصل الشتاء هو الفصل القصير والذى ترتفع فيه درجة الحرارة نسبيا .

## تاريخ مديرية بحر الغزال

بالرجوع الى بعض المصادر التاريخية الحديثة نسبيا نجد ان السودان بحدوده المعروفة حاليا لم يكن دولة واحدة فى القرن الماضى .

كيف ؟

تشير هذه المصادر الى أنه كانت تقوم فى السودان عدة دويلات تحكم منفردة ولم تستطع أى من تلك الدويلات أن تفوز بحكم بلاد السودان والدويلات التى عرفناها فى تاريخ السودان حق تلك التى قامت فى أواسط

البلاد كمملكة سنار مثلا لم تضم تلك الدولة أى جزء من الاقليم الجنوبى كما أن التاريخ لم يذكر لنا أى مملكة قامت فى تلك الجهات الجنوبية والتي منها مديرية بحر الغزال وان تمتد رقعتها وسيطرتها على أى من الاقاليم والمناطق التى فى شمالها وأغلب الظن ان المديرية كانت تحكم بواسطة سلاطين القبائل كل فى دائرة محدودة .

فتاريخ المديرية المدون بدأ مع فترة الحكم التركى فى السودان فى القرن التاسع عشر الميلادى . اذ ازدادت حركة التجارة مع تلك المنطقة والجزاء التى بسط عليها الاتراك نفوذهم فى الاقليم الشمالى وقد وصلت فرقة كشف محمد على باشا الى مشارف بحر الغزال سنة ١٨٤٠ وبعد منتصف القرن التاسع عشر الميلادى نشطت حركة التجارة نشاطا ملحوظا مع هذه المنطقة وكانت تجلب منها بضائع مشهورة مثل سن الفيل وريش النعام وفى تلك الظروف استطاع أحد التجار من أن يبسط نفوذه وسلطانه على تلك المنطقة وقد دانت له سيطرة السلاطين والقبائل فى فترة وجيزة وأحد مراكز المديرية الآن ( ديم زبير ) يحمل ذكراه وقد كانت تلك بداية انضمام مديرية بحر الغزال للنفوذ التركى وعند قيام الثورة المهدية وانتشارها فى أنحاء البلاد المختلفة هبت هذه المديرية أيضا بقيادة أحد التجارى ويدعى كرم الله كرسكاوى .

وكان ذلك فى سنة ١٨٨٤ وبعدها كما دخل السودان الشمالى فى فترة الحكم الانجليزى المصرى بعد القضاء على الثورة المهدية خضعت هذه المديرية للحكم الثانى فى سنة ١٩٠٢ وحتى استقلال السودان .

وتعتبر مديرية بحر الغزال من أقدم المديريات فى السودان من حيث التقسيم الادارى اذ خضعت للحكم التركى القديم لفترة من الزمن كما وصل الى أطرافها حكم المهدية وكما ذكرنا فقد دانت للحكم الثانى سنة ١٩٠٢ واعتبرت فى سنة ١٩٥٠ ضمن الثمان مديريات الكبرى فى السودان .

وقد افتتحت المراكز التالية بها فى سنة ١٩٠٢ وهى مراكز واو ، التونج ومبيك ، وشامبى كما تم افتتاح مركز راجا سنة ١٩٠٧ وأنشئ مركز أويل فى سنة ١٩٢٣ .

### السكان :

ويقطن مديرية بحر الغزال حسب آخر التقديرات السكانية حوالى مليون نسمة منهم حوالى ٣٪ فى مدن المديرية وتنتشر الاغلبية الباقية فى مناطق الريف المختلفة وتسكنها مجموعات قبائل مختلفة فمنهم النيليون ومنهم الحاميين النيليون .

والتوزيع الجغرافى لهذه القبائل كالآتي :



## ● الدينكا : —

تقطن مجموعات قبائل الدينكا في شمال وشرق المديرية وفي منطقة السدود والمسننقات وينتشرون في أغلبية مناطق المديرية المختلفة ماعدا غربها وهم يكونون حوالي ٩٠٪ من جملة تقديرات السكان وتعتمد قبائل الدينكا في حياتها على تربية الماشية وهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بمعدات وتقاليدهم الدينكا ويقل اعتمادهم على الزراعة على الرغم من توفر الاراضي الخصبة في مناطقهم وتعتمد حياتهم في الاربعة اشهر الاولى من كل عام على الرعى والصيد وفي أيام الفصل المطر يقومون بزراعة بعض المحصولات الغذائية كالذرة والبقول السوداني والسمسم ثم يتوجهون مرة ثانية بماشيتهم الى الرعى ..

## ● قبائل البنقو : —

ويسكنون السهول المرتفعة وهم يمتازون بالوداعة ولين الجانب وحب العمل والفرق بينهم وبين جيرانهم من الدينكا في لون البشرة كنسبة الفرق بين لون تربة القبيلة الواحدة وتربة الاخرى فتربة البنقو حمراء فاتحة لما فيها من معدن الحديد وتربة الدينكا طينية سوداء ولذلك ترى لون الدينكا أسود ولون البنقو أحمر فاتحا وهم عرفوا استخراج الحديد والاشتغال به .

## ● قبائل قولوا : —

وهم يسكنون غرب البنقو ويشتهرون بهونهم في هيئاتهم وأخلاقهم وعاداتهم .

## ● قبائل الجور : —

وبلادهم بين الدينكا والبنقو وهم يرجعون في أنسابهم الى قبائل الشلك في مديرية أعالي النيل ويتكلمون لغتهم ولا يعنون باعتناء الأبقار كغيرهم من القبائل الأخرى بل يعنون بالزراعة ويشغلون بالحديد ولهم معرفة بحفر الخشب وعمل التماثيل .

## ● قبائل الشيرى : —

وهم مجاورون لقبائل النيام نيام في أقصى بحر الغزال وقد اشتهروا بالقوة والنظافة وحب العمل وسماحة الخلق مع القدرة على تحمل الصعب والتعب .

## ● قبائل الآقار : —

وهم فرع من قبائل الدينكا ويسكنون منطقة نهر الرول .

## ● قبائل المورو : —

على نهر ياي في جوار الآقار .

## ● قبائل الديور : —

وهي فرع من قبائل الشلك ويسكنون غرب الدينكا .

## ● قبائل الزانري : —

تقطن مجموعات منهم في جنوب غربي بحر الغزال عند حدودها مع المديرية الاستوائية كما تتواجد مجموعات منهم في ديم زير في أقصى بحر الغزال .

## ● قبائل اندقو : —

تقطن هذه المجموعات أواسط المديرية الى الغرب من قبائل الجور والبنقو .

## الحياة الاجتماعية

عندما سألت عن ملامح الحياة الاجتماعية في مديرية بحر الغزال قيل لي ان الحياة القبلية تمثل الرابطة العضوية التي ينتمى اليها الافراد ولكل قبيلة عاداتها وتقاليدها ومعتقداتها ومن هذه العادات الكجور والسحر وكذلك نجد عند الدينكا ما يعرف بشيخ المطر وهو شخصية دينية لها نفوذ سياسي . وهو رمز الوحدة القبيلية وهو الذي يدعو لرجال القبيلة بالانتصار في معاركهم والتقاليد القبيلية عندهم لاتعتمد كثيرا على الوراثة في سلطنة القبيلة وهناك أيضا المحاكم الخاصة بكل قبيلة وممثلوا السلطة المركزية .

وهذه التقاليد تحتل مكانا بارزا في الريف ضمن التركيب الاجتماعي القبلي ومن هذه العادات والظواهر أيضا ظاهرة تعدد الزوجات والمظاهر الأخرى التي تتعلق بها .

## ● الدين :

وفيما يختص بالدين نجد أن الغالبية العظمى مازالت على وثنيتهـا ومعتقداتها التي لاتمت الى المسيحية والاسلام بصلة .

فالمسيحية رغم التشجيع الذي وجدته من الحكومة قرابة نصف قرن من الزمان لم تتأصل حقيقتها في نفوس من أعتنقوها عن طريق المدارس

والتبشير والاديان لم تمس الا نسبة ضئيلة من السكان وهذا العدد موزع بين كاثوليك وبروتستانت ومسلمين بعد ان سمح للاسلام بالانتشار في عهد الحكومة الوطنية .

ولقد لجأت سلطات بحر الغزال في عهد الحكم الثنائي وتنفيذا لسياسة السكرتير الاداري آنذاك والتي تعتمد على خلق وحدات عنصرية أو قبيلية في جنوب السودان لجأت سلطات بحر الغزال الى عزل المديرية عن جاراتها في الشمال كردفان ودار فور لكي تبعد عنها النفوذ العربي الاسلامي ومحو آثاره مستعينة في ذلك بالجمعيات التبشيرية فرحلت قبائل بأكملها من تلك المنطقة تذكر منها قبائل الكريش وقبائل بلندا من مناطق سكنها جوار القبائل المسلمة في الشمال الى مناطق نائية بعيدة كل البعد عن أي أثر عربي اسلامي (١) .

لقد كانت الجمعيات التبشيرية في أوروبا بوجه عام وفي السودان بوجه خاص سافرة في عدائها ومناهضتها للغة العربية لانها كانت ترى في تلك اللغة أداة عملية وطبيعة لنشر الدين الاسلامي لذلك أصبحت محاربة اللغة العربية من أركان سياسة الحكومة الاستعمارية والدليل على ذلك ما جاء في تقرير حاكم السودان لسنة ١٩٢٧ ولاغرابة اذا في ان تدعوا حكومة السودان آنذاك الى عقد مؤتمر للنظر في أمر السياسة اللغوية وكان ذلك في سنة ١٩٢٨ وأهم قرارات ذلك المؤتمر تطوير اللهجات المحلية واستعمالها بجانب اللغة الانجليزية مع استبعاد اللغة العربية استبعادا تاما عن جنوب السودان وتم الاتفاق على أن تكون اللغات الرسمية ست لغات جنوبية وهي :

دينكا — باريا — نوير — لاتوكا — شلك — زاندى .

والاسباب التي أدت الى استبعاد اللغة العربية نهائيا كما جاء في قرارات مؤتمر الرجاف هي أنها — أي اللغة العربية — ستؤدي الى تشرب اتجاه الشماليين في الحياة ونظرتهم اليها .

ولا داعي هنا لسرد بالتفصيل قصة استئصال اللغة العربية واستبدالها باللهجة المحلية واللغة الانجليزية فأمر تلك القصة معروف في بحر الغزال حيث كانت اللغة العربية قبل مؤتمر الرجاف هذا واسعة الانتشار عميقة الجذور وحيث كانت تستعمل في كتابة الكتب البسيطة للصلوات والتراتيل للمسيحيين الجنوبيين .

### ● الفنون الشعبية :

لاحظت أن مديرية بحر الغزال زاخرة وغنية بفنونها الشعبية والتي

---

(١) راجع تقرير حاكم السودان لعام ١٩٢٧ .



هى جزء من التراث الثقافى لهم وهى تحكى بصدق مشاعر القبيلة وعمق احساسها وتحكى قصة حياتها بتقاليدها الراسخة والتى تجد من افرادها التمسك والاحترام والرقص هو أحد الفنون الشعبية فى هذه المنطقة ويشترك فى آدائه رجال ونساء وأطفال القرية .

ولقد قيل لى أن المديرية تضم ١٥ خمسة عشر رقصة مختلفة وبها ٦ فرق للفنون الشعبية والتى تمثل بحر الفزال فى المناسبات القومية .  
وأشهر هذه الرقصات هى :

### ● رقصات قبيلة الدينكا :

وهى دائما تعبر عن فكرة أو مناسبة خالدة فمنها رقصات الحرب حيث تستمع الى ضربات النقارة تنادى جميع أفراد القبيلة للتجمع والاستعداد وعندما يبدأ الرقص فانك تستمتع بحركات أيقاعية وهم يعبرون عن اتجاهاتهم برشاقة وفى وقت واحد كأنها ضربة شخص واحد .

ومن هذه الرقصات أيضا رقصة ملوال العاطفية وفيها يغنون الى كجورهم ويمدحون ثورهم . ثم رقصة الصقر وهى عادة يقوم بها الفتيان والفتيات عندما يحوم الصقر على جثث اعدائهم وفى الرقصة حركات بها رشاقة التداخل بين الفتيان والفتيات أثناء الرقص كما تفعل الصقور فى الفضاء وهى تبحث عن فريسة تنقض عليها . والدينكا عموما يرقصون فى المناسبات السعيدة ويستخدمون فيها من الآلات الموسيقية الطبول ( العصا والنقارة ) .

### ● رقصات الجور :

لقبيلة الجور نوعان من الرقص ( الأدو والسيريا ) وترقص الأدو بسرعة وحيوية فائقة ويستخدم فى رقص الجور من الآلات الموسيقية الطبل والعصا والبوق . والجور عموما يرقصون فى المناسبات الحزينة مثل الوفاة وموسمهم المفضل للرقص عادة فى شهر يوليو .

### ● رقصات الكريش :

لديهم ثلاثة رقصات هى :

١ — الكاما : ويؤديها عموما الشباب .

٢ — السنبالا : ويؤديها الشباب أيضا .

٣ — النجايندا : وترقص عادة فى احتفال القبيلة بأبطالها وتحمل الحراب خلال الرقص .

ورقصهم جماعى يستخدم فيه الطبل والخورخور والمناسبات التى يرقصون فيها الفرح والحزن .

### ● رقصات قبيلة الاندقو :

- ١ — الرونقو : والذى تبنيه من قبيلة الورو وهو أكثر رقصهم شعبية .
- ٢ — الروندقو : وهو رقصة الاندقو الحقيقية وهو منتشر الآن بين كبار السن من رجال القبيلة .
- ٣ — الميرادا : يرقصها الشباب فى الأمسيات .
- ٤ — النجايندى : وهى الرقصة التى تحتفل فيها القبيلة بأبطالها ورقصهم عادة جماعى يستخدم فيه الطبل والخورخور والتصفيق بالأيـسدى والمناسبات التى يرقصون فيها الوفاة والتسليـة .

### ● رقصات قبيلة البنقو :

- ١ — المانجنجى :
- ٢ — النجايندىلى : وهى مفضلة لدى الشباب ورقصهم جماعى يستخدم فيه من الآلات الموسيقية المانجنجى وهو طبل ضخـم والخورخور ورقصهم يكون فى مناسبات الحزن كالوفاة ومناسبات الفرح أيضا .

### أبرز المدن الهامة فى مديرية

#### بحر الفزال

#### مدينة واو :

تقع مدينة واو على نهر الجور وهذا النهر يصلح للملاحة جنوب واو من شهر أغسطس الى شهر أكتوبر من كل عام وهناك أيضا معدية تربط مدينة واو بالضفة الشرقية بالإضافة الى كبرى صغير وكبرى نهر الجور الذى تقوم بتشغيله شركة ايطالية وسوف ينتهى العمل فيه فى شهر مايو ١٩٧٤ ويربط هذا الكوبرى مدينة واو بالطريق المؤدية الى مدينة التونج والى ميناء شامبى ومن ثم الى المديرية الاستوائية .

ومدينة واو هى عاصمة مديرية بحر الفزال واكبر مدنها اذ يبلغ عدد سكانها اكبر من أربعين الفا ( ٤٠.٠٠٠ ) نسمة مقابل ١١.٠٠٠ نسمة ١٩٦٤ او هذه الزيادة السكانية حدثت نتيجة لظروف الأمن والاستقرار وكذلك

نتيجة لمد خط السكة الحديد اليها سنة ١٩٦٢ . وقد ساعد هذا الخط على ازدهار الانتاج الزراعى وصناعة التعليب اذ يوجد مصنع لتعليب الفواكه وآخر لتصنيع البيرة يجرى تشييده الآن . وكما انها تشكل المركز الرئيسى لكل الخدمات الأخرى كالعلاجية والتعليمية وبها مطار على أحد الخطوط الرئيسية الداخلية للخطوط الجوية السودانية ويربطها هذا الخط بكل من الخرطوم وجوبا وملكال - كما أن الطريق البرية تربطها بمدينة أويل في الشمال ومدينة التوبج ورومبيك في الجنوب وديم زير وراجا في الغرب .

### مدينة أويل :

تقع هذه المدينة الشمالية لمديرية بحر الغزال على الخط الحديدى الممتد شمالا الى مديرية كردفان . ومركز أويل من أكبر وأقدم مراكز المديرية اذ انشأ سنة ١٩٢٣ وتبلغ تقديرات السكان في المنطقة التى تتوسطها هذه المدينة حوالى ٢٠.٠٠٠ نسمة وتقع هذه المدينة في منطقة خصبة تجرى الآن فيها تجارب زراعة الارز وقد دلت التجارب على نجاح زراعته . وكما أن بالمدينة أعدادا كبيرة من اشجار المانجو والتي تمثل ثروة لا بأس بها ووقوعها على الخط الحديدى بين واو في الجنوب وكردفان في الشمال أكسبها ميزة لا تتوفر لمثيلاتها من مدن المديرية الأخرى الى جانب الطرق البرية التى تربطها بكل من واو وراجا وققريال .

### مدينة رمبيك :

وهذه المدينة تقع في شرق مديرية بحر الغزال على الطريق البرى الذى يربط مدينة واو بالمديرية الاستوائية وقد انشأ مركز رمبيك هذا سنة ١٩٠٢ ويوجد الآن بها مجلس يشرف على منطقة يقدر عدد السكان بها أكثر من ١٧.٠٠٠ نسمة .

ومن المدن الهامة الأخرى مدينة التونج في شرق بحر الغزال وقد انشأ مركزها سنة ١٩٠٢ ثم مدينة راجا في شمال غرب المديرية وقد أسس مجلسها لأول مرة سنة ١٩٠٧ م ثم مدينة ققريال في شمال شرق المديرية ومدينة يرول في جنوب بحر الغزال ثم ديم زير في غرب المديرية .

## النشاط الاقتصادي

ولكن : ماذا عن النشاط الاقتصادى في مديرية بحر الغزال ؟

سألت مرافقى « مايكل » فأجابنى قائلا :

كما تعرف فان هذه المديرية تقع في نطاق مناخ السافانا والمنطقة الشمالية منها على الاخص سهول تكثر بها الحشائش أما المنطقة الجنوبية



منها فترتفع قليلا نحو الجنوب تتخللها نهيرات عديدة وتوزيع الامطار بها من ٤٠ بوصة في الشمال الى اكثر من ٦٠ بوصة جنوبا في هذه الظروف الطبيعية مازال الانسان يرزخ تحت اقتصاد بدائي يلعب العنصر الاجتماعي فيه دورا كبيرا أدى الى ان تعتمد حياتهم على حرفة الرعى عموما والتنقل بحثا عن العشب أما الزراعة في هذه المديرية فقد كان لها في الماضي حظ قليل من الاهتمام طبقا للظروف الاجتماعية السائدة فيزرع الاهالي بقدر ما يسمح بسد حاجتهم المعيشية .

ومضى يقول ولكن في الآونة الأخيرة دخل النشاط الاقتصادي مرحلة جديدة اذ خططت مشاريع للزراعة في مساحات كبيرة كما ادخلت الصناعة في هذه المديرية للاستفادة من الامكانيات الطبيعية البكر في هذه المنطقة والتي لم تستغل بعد وسوف نتعرض لكل بالتفصيل .

قلت له سمعت ان اقتصاد اكثر من ٩٠٪ من سكان مديرية بحر الغزال يعتمد على الاكتفاء الذاتي تحت مستوى انتاج بدائي ويختلف هذا الاقتصاد من منطقة لاخرى حسب الظروف البيئية والثقافية .

قال : هذا صحيح ففي بعض المناطق يكون الاعتماد الكامل على الزراعة وفي جهات أخرى على الحيوان وفي أغلب المناطق تختلط الزراعة بالرعى والصيد .

سألت : وما مقدار المساحة الصالحة للزراعة عندكم ؟

قال : حوالي مليون فدان واذا أخذنا في الاعتبار تلك الاراضي الشاسعة ومع قلة عدد السكان نجد ان الزراعة السائدة عندنا هي الزراعة المتنقلة والتي تعرف بزراعة الحريق . وفي المناطق التي تغمرها مياه المستنقعات نجد ان الزراعة هنا مقصورة على الاماكن الجافة المرتفعة نسبيا والمحاصيل التي تزرع في هذه المناطق هي الذرة بأنواعها المختلفة والسمسم الابيض والازرق والفلول السوداني والدخان والبفرة . وعادة تتم الزراعة هنا قبل هطول الامطار ، ويزرع الفرد حول منزله ما لا يزيد عن عشر الفدان وهي محاصيل غذائية وتستخدم فيها الالات البدائية ويعتمد غالبية الاهالي على زراعة مساحة تكفي حاجتهم الغذائية اذ يعطى جل اهتمامه نحو الماشية ونستطيع ان ندرك هذا اذا علمنا ان المخازن الحكومية بواو مليئة بالحبوب والتي اعدت لتوزيع على السكان لزراعتها الا انه لم يتحمس الكثيرون للاستفادة منها .

اما تلك المحاصيل التي تزرع على نطاق تجارى فتتخصص في زراعة الارز بمنطقة أويل والكناف بمنطقة التونج .

قلت له : لى رغبة شديدة في معرفة مزيد من التفاصيل حول زراعة هذه المحاصيل ؟

قال : خذ مثلاً مشروع الارز في منطقة اول التي تقع في شمال مديرية بحر الغزال وتتميز بأمطار عالية وحشائش كثيرة وترتفع فيها درجة الحرارة الى أقصاها في شهر مارس من كل عام لتصل الى ٣٨٫٨ درجة مئوية وتنخفض الى ٢٩ درجة مئوية في شهر أغسطس أما درجة الرطوبة النسبية فمقاييسها اليومية كالآتي : ٦٩٪ في الصباح و ٢٧٪ عند الظهر و ٦٩٪ بالليل وقد حدث أقصى معدل للرطوبة النسبية في شهر أغسطس ١٩٧٢ : ٨٨٪ في الصباح و ٦٠٪ عند الظهر . أما متوسط هطول الامطار حوالى ٩٠٠ ملم يهطل معظمها في الفترة من شهر فبراير الى نوفمبر من كل عام ويكون أعلى منسوب للامطار في الفترة من أبريل الى أكتوبر من كل عام وأقصى معدل لهطول الامطار يكون في شهر يوليو ( ٢١١ ملم يوليو ١٩٧٢ ) .

وتربة هذه المنطقة تربة فقيرة من نوع ( لاترايت ) ، حجرية تغطيها طبقة خفيفة من الرمال الطينية في الوديان والمنخفضات وتقع هذه المنطقة تحت نطاق مناخ السافنا كثيفة الغابات والحشائش ومنطقة أويل نجد نسبة انتشار الأشجار أقل وسط الحشائش ويبلغ طول الحشائش بها من أربعة الى ستة أقدام .

وتتخلل هذه المنطقة منخفضات تبلغ مساحتها الكلية حوالى ( ٧٠ ألف ) سبعين ألف فدان تمتد من الشرق الى الغرب . وتنحدر تدريجياً من منطقة نهر لول من الجنوب الى الشمال ويقع الخط الحديدى الذى يربط مدينة أويل بمدينة واو على المنطقة المرتفعة ويفصل الخط الحديدى من منطقة المنخفض نطاق كثيف من الغابات وهذا المنخفض أرضه مسطحة غزيرة الحشائش وترتبه طينية عميقة تحتوى على نسبة كبيرة من المواد المتحللة وعادة تنشق هذه التربة في موسم الجفاف ويبدأ نهر لول في الارتفاع في شهر يونيو ويصل الفيضان الى قمته في شهر سبتمبر بعدها يبدأ في الانحدار حتى ينتهى تماماً في شهر نوفمبر .

وفي أواخر سنة ١٩٠٢ زرعت أربعة عينات من الارز أستوردت من الولايات المتحدة الامريكية واندونيسيا وبورما وكانت تلك أول مرة يزرع فيها الارز في هذه المنطقة .

وفي سنة ١٩٥١ أستقر الراى على أن توسع زراعة الارز في هذه المنطقة وبعد تجربة عام واحد دخلت زراعته مرحلة جديدة وفي يونيو من ١٩٥٥ زرعت مساحة قدرها ٢٥٠ فداناً بأنواع مختلفة كما زرعت مساحة قدرها سبعون فداناً لتكون حقلاً للتجارب .

قلت له : وما مدى مساهمة الدولة في الاشراف على زراعة القطن ؟

قال : تقوم الدولة بالقسط الاكبر من عمليات زراعة القطن من اعداد الارض بالجرارات الى بذر الحبوب ورعايته وأما المزارعين فان عملهم يقتصر

على جمع القطن وحصاده وفي النهاية يتم تقسيم المحصول بنسبة ٥٠٪ لكل من المزارع والدولة وفي أغلب الأحيان تقوم الدولة بشراء نصيب المزارعين من الارز وتقوم بتسويقه .

قلت له : وهل ثمة مشاكل تواجهونها في زراعة الارز ؟

قال : بالتأكيد ويمكن أن أحدها لك في الامور التالية :

- عدم أعداد الارض وتسويتها تسوية كاملة .
- لا يستخدم المشروع أى دورة زراعية بالرغم من استعمال الاسمدة .
- زراعة نفس الانواع من الارز سنويا .
- غالبا ما يتم الحصاد في وقت متأخر وهذا يؤدي الى كسر الحبوب عند عملية التقشير .
- نقص عدد الفنيين بالمشروع .
- تأخر وصول المبالغ المالية التي تخص عملية الجمع والحصاد .
- استخدام وسائل بدائية في مكافحة الطيور التي تتعرض للمحصول .
- عدم توفر قطع الغيار للالات الزراعية .
- ظروف عدم الاستقرار والامن قبل اتفاق اديس أبابا .
- مشاكل التسويق والتي تنجم عن مشاكل الترحيل وتكاليفه ولذلك لا يستطيع أن يواجه أسعار الارز المستورد .

قلت له : وماذا عن زراعة الارز بمنطقة واو ؟

قال : بدأت التجارب في هذا المشروع سنة ١٩٥٨ أما زراعته على نطاق تجارى فقد بدأت سنة ١٩٦٢ بزراعة ٢٨١ فدانا كان انتاجها ٢٩٣ طنا .

ومضى يقول : وقبل ان تسألني عن المشاكل التي تواجهها زراعة الارز في واو أقول لك أبرزها :



١ — مشكلة الري اذ تقل الامطار ويعتمد المشروع اعتمادا كليا على فيضان نهر الجور كما ان مياه الفيضان لم يتم التحكم في تصريفها بعد .

٢ — نقص في عدد الفنيين .

٣ — تأخر وصول المبالغ المرصودة لعملية الحصاد .

٤ — غالبا ما يتم شحن المحصول الى اويل ليتم تقشير ههناك وفي هذه الرحلة يتعرض الارز للتكسير .

واستمر محدثي يشرح لى بقية المشاريع الاخرى :

### ● مشروع الكفاف بالتونج :

بدأت زراعته في الموسم الزراعى ١٩٦٣/٦٢ فى مساحات ستة وثلاثين ( ٣٦ ) فداناً وقد زرعت فيها ثلاثة أنواع من الكفاف ، كويا ، كوبانى ، سودانى .

وقد أثبتت الزراعة أن عينات كويا وكوبانى ناجحة بصورة كبيرة وقد وصل ارتفاع النبات فى ١٩٦٢/٩/٣ الى ٨٩ رداً أما النوع السودانى فلم يأت بنتائج مشجعة وقد تمت التجارب على زراعة خمسين عينة من الكفاف كان أنجحها الكوبى .

وفى موسم ١٩٦٤/٦٣ كانت المساحة المزروعة ٢٠٠ فدان ، وقد توقف هذا المشروع بعد ذلك الموسم نسبة لظروف عدم الامن والاستقرار ، بدأ النشاط الزراعى مرة أخرى فى هذا المشروع فى موسم ١٩٧٠/٦٩ بزراعة مساحة قدرها ٢٥٠ فداناً .

وفى موسم ١٩٧٢/٧١ لم يكن هناك نشاط زراعى فى هذا المشروع .

وفى موسم ١٩٧٣/٧٢ تقوم التجارب على زراعة عدة أنواع من الكفاف ، فى شهر مايو من هذا الموسم على مرحلتين احدهما تعتمد فى ربيها على مياه الامطار والاخرى بالطلببات وكانت المساحة المزروعة فدانين .

وقد أعيد النشاط الزراعى فى هذا المشروع بغرض توفير مليون جنيه بالعملة الصعبة يوفرها هذا المشروع وسيتم تنفيذه على مرحلتين الاولى : ٦٠ فدان والثانية : ٢٠٠ فدان لزراعتها على مستوى تجارى .

وقد رتب المساحة التي أعدت لزراعة هذا الموسم ١٩٧٤/٧٣ بحوالى

٦٣٢ فدان لتزرع بالنوع الكوبى وقد رصدت له ميزانية قدرها ٥٩٠٠٠ جنيـه سودانى .

### ● مشروع كيوبيت لزراعة المحاصيل الغذائية :

بدأ الزراعة فى هذه المنطقة سنة ١٩٦٣ اثبتت نجاحا لزراعة الذرة وتصلح الاراضى المسطحة فيها لاستخدام الآلات الزراعية . وذلك بفرض توفير بعض المحاصيل الغذائية وعلى رأسها الذرة لمقابلة بعض النقص الذى يحدث من حين لآخر .

وقد أعدت المساحات الآتية :

٢٠٠٠	فدان	تزرع ذرة
٥٠٠	فدان	تزرع سمسم
٥٠٠	فدان	تزرع فول سودانى
٥٠٠	فدان	تزرع سمسم
٥٠٠	فدان	تزرع فول سودانى .

وقد رصد له فى ميزانية ١٩٧٤/٧٣ مبلغ ٣٨٢٢٠ جنية سودانى .

### ● مشروع نقوسولقو للمحاصيل الغذائية :

تبعد هذه المنطقة مسافة ١٦ ميل جنوب مدينة واو وتتميز بمطار سنوية ( ١١٠٠ — ١٢٠٠ ملم ) تتوزع على مدار ثمانية أشهر من العام .

ويهدف هذا المشروع الى :

- توفير فرص العمل للاهالى فى تلك المنطقة .
- تعمل كمزرعة تجريبية يحذوها مزارعى المنطقة .
- توفير المواد الغذائية للمناطق السكنية القريبة منها كواو ويسرى .
- من الناحية الاجتماعية باعتباره المشروع الاول من نوعه فى تلك المنطقة يرمى الى توزيع مشاريع التنمية على المناطق المختلفة .

وتقدر المساحات المزروعة كالآتي :

٢٥٠	فدانا	تزرع ذرة
٢٥٠	فدانا	تزرع فول سوداني .
٢٥٠	فدانا	تزرع ذرة شامية
٢٥٠	فدانا	تزرع سمسم

وتقدر المبالغ المرصودة لهذا المشروع في ميزانية ١٩٧٤/٧٣ كالآتي :

١٨٣١٥ جنيه بالعملة الصعبة

٤٥٠٠ جنيه بالعملة الصعبة

٢٢٨١٥ مجموع المبالغ المرصودة

وقد بدأ العمل في هذا المشروع في نوفمبر ١٩٧٣ ثم فتح طريق بين المشروع ومدينة واو وأقيم معسكرا للعمال بالمشروع .

### ● زراعة البن بمنطقة راجا :

تتميز منطقة راجا بأنها المنطقة الوحيدة بمديرية بحر الغزال التي تصلح فيها زراعة البن وقد رصدت مبالغ كبيرة للاستمرار في اجراء التجارب على زراعة البن في هذه المنطقة .

### ● زراعة التبغ :

وجهت الدولة اهتماما واضحا لاجراء تجارب زراعية لزراعة التبغ الفرجيني بمنطقة راجا وقد زرعت مساحة قدرها ستة أفدنة في سنة ١٩٧٣/٧٢ وأثبتت هذه التجارب نجاح زراعته في هذه المنطقة . كما استقر الرأي على اجراء تجارب زراعة التبغ في منطقة رمبيك .

### ● مزارع الخضر والفواكه :

بدأت الزراعة في هذا المجال وبصورة جادة وعملية في العام الماضي ( ١٩٧٣ ) وقد أقيمت مزرعة تجريبية حديثة لزراعة الخضر والفواكه بمنطقة بصرى جنوب مدينة واو ، رصد لها مبلغ ٢٠ ألف جنيه لزراعة ١٠٠ فدان .



كما توجد مزارع للخضر والفواكه على النحو التالي :

مزرعة واو ٣٨ فدان

مزرعة التونج ٢٠ فدان

مزرعة سوبو ٢٠ فدان

مزرعة مريلباي ٢٠ فدان

مزرعة يرول ١٥ فدان

مزرعة أجوك ٤ فدان

مزرعة كوم ١٥ فدان

### الثروة الحيوانية

سألت محدثي بلهفة شديدة : وماذا عن الثروة الحيوانية الهائلة ..  
ما عددها ؟ وأين توجد ؟ وماذا فعلتم لايجاد مراعى صحية لها ؟

قال : يجرى العمل للاستفادة من الثروة الحيوانية الضخمة في هذه  
المديرية حيث يزيد عدد الابقار بها عن مليونين الى جانب أعداد كبيرة من  
الضان والذي يقدر عدده بـ ٨٩٠٠٠ رأس والماعز والتي يصل عددها الى  
٩٦٦٠٠٠ رأس الى جانب أعداد ضخمة من الحيوانات المتوحشة .

أما عن أماكن تواجدها فكما تعرف فان الابقار تكثر في مناطق الدينكا في  
منطقة أويل ، ققريال — التونج — رمبيك — يرول — كما توجد بهذه المناطق  
أعداد من الضان والماعز والتي تتواجد في مراكز واو-وراجا .

وفي منطقة راجا تتواجد أعداد كبيرة من الماشية في فصل الصيف ، تأتي  
من جنوب مديريتى كردفان ودارفور وتبقى في تلك المنطقة من شهر ديسمبر  
الى شهر مايو من كل عام .

وهذه الماشية ترعى في منطقة حشائش طبيعية وقد تم اعداد مساحات  
كبيرة لتصبح مراعى للتحسين بها نوع العلف وموارد المياه وتحسين نوعية  
الابقار من أهمها .

### ● مشروع مراعى مريال باى :

يبعد المشروع حوالى ميلين شمال مدينة واو على طريق ققريال . بدأ هذا

المشروع فى ديسمبر ١٩٧٢ بأعداد مساحة قدرها ٧٠.٠٠٠ فداناً والغرض من هذا المشروع جذب انتباه الاهالى الى الطرق الحديثة فى تربية المواشى وتحسينها للأغراض التجارية وخاصة لبيع لحمها وقد ادخلت انواع من أبقار كنانة لتحسين النسل الموجود فى تلك المنطقة وكذلك بغرض تغيير اتجاه الاهالى فى تربية الماشية بهدف اعدادها لتكون صالحة للأسواق .

بدأ المشروع بأعداد مساحة قدرها ٥٠٠٠ فدان تم نسويرها وكذلك تم اعداد ٢٠٠ فدان لتزرع علفاً للماشية وبالمشروع الآن ٢٠٠ رأس من الأبقار .

ورصد لهذا المشروع فى ميزانية ١٩٧٣/٧٢ مبلغ ٢٠.٠٠٠ جنيه وتعتمد صناعة تعليب اللحوم فى المستقبل على نجاح هذا المشروع مما جذب انتباه رأس المال الاجنبى اليه واهتمام البنك الدولى خاصة بعد ظروف الاستقرار والامن .  
رقد رصد لهذا المشروع فى ميزانية ١٩٧٤/٧٣ ، مبلغ ٣٢٧٢٥ جنيه لتنمية المشروع .

### مشروع مراعى رمبيك

يقوم هذا المشروع على نفس الاسس التى بنى عليها مشروع مراعى مريال باى وفى الوقت الحاضر توجد بالمشروع ٣٠٠ رأس من الأبقار تقوم رعايتها الآن بمشروع مريال باى ورصد له فى ميزانية ١٩٧٣/١٩٧٢ مبلغ ١٥ ألف جنيه . وبناء على توجيه من البنك الدولى استقر الرأى على أن يكسب الهدف من هذا المشروع :

— تحسين نوعية الأبقار النيلية وقطعت التجارب فى هذا الشأن مراحل كبيرة .

— أن يعمل المشروع على حفظ الأبقار وهى فى طريقها الى مناطق أخرى فى الجنوب .

وهذه الأعداد الضخمة من الماشية الموجودة بمديرية بحر الغزال ليس لها أثر اقتصادى مباشر على المنطقة أو على الاقتصاد القومى ، فهى موارد معطلة نتيجة للتركيب الاجتماعى عند القبائل اذ لا يبيع هذه القبائل أبقارها ولا تاجر بها وقد يبيع الفرد بقرة أو ثورا ليس ألا يشتري بثمنه غيره . حيث يهتم أفراد القبيلة بجمعها والتفاخر بها والمحافظة على هذه الثروة الحيوانية تقوم كل عائلة فى القبيلة بالزواج داخل نطاق العائلة حتى تستطيع أن تضمن وجود هذه الأبقار فى ملكيتها اذ انها تحدد المكانة الاجتماعية المفرد وللعائلة والقبيلة .

وهناك عدد من التجار يحصل على بعض الماشية يبيعها فى أسواق داخلية لا تتواجد بها أبقار كمنطقة الزاندى مثلاً فى جنوب غرب المديرية .

ولحل مثل هذه المشاكل التي تقف في طريق استثمار هذه الثروة الحيوانية الضخمة لابد من التوسع في المراعى الصالحة وخلق حوافز الاستقرار والاستيطان حتى يجتذب اعدادا اكبر تقضى على التفتت الاقتصادي حيث يمكن لهذه القبائل من أن تزرع بعض المحاصيل الى جانب رعاية ماشيتهم .

### مزارع تربية الدواجن

دلت تجربة مزرعتي واو وراجا للدواجن على نجاح هذا النوع من المزارع وقد قامت مزرعة واو للدواجن بتصدير ٧٥٠ دجاجة لمدينة ملكال و ٤٠٠ دجاجة لمدينة أيول ووزعت حوالي ( ٣٠٠٠ ) ثلاثة ألف دجاجة على المواطنين بمنطقة واو ، وكان هذا في الموسم ١٩٧٣/٧٢ وتحفظ المزرعة بحوالي ٢٠ ألف دجاجة على أمل زيادة هذا العدد عند توفير الغذاء الكاف لاعداد جديدة من الدواجن وهذه المزرعة واحدة من المشاريع التي تخظى باهتمام البنك الدولي وقد رصدت لها مبلغ ١٠٩٢ ر جنية في ميزانية ١٩٧٣/٧٢ .

### مزارع الألبان

يجرى العمل على إنشاء مزارع للألبان في المناطق المختلفة ومزرعة مركزية في مدينة واو التي يوجد بها مائة وثمانين رأسا من الأبقار تشرف عليها الوحدة البيطرية بالمديرية وهذه المزرعة تمد المواطنين بمدينة واو باللبن وتحتاج هذه المزرعة الى مزيد من الدعم والتطور حتى تلبى كافة احتياجات المدينة من الألبان ومشتقاتها .

وتقوم وحدة الانتاج الحيواني بالمديرية بالاشرف على برنامج يرمى الى تخطيط وحفر قنوات لتروى ( ٤٠٠ ) أربع مائة فدانا لاستغلالها كعلف محسن للأبقار . الى جانب عمل دراسة متصلة بنوعية التربة . ورصد لهذا المشروع مبلغ ٧١٢٢ ر ل مقابلة احتياجات هذه الخطة . والهدف من اقامة هذه المزارع أن تعمل كمزارع نموذجية يستفيد منها المواطنون في هذا المجال .

### الصيد :

هذه المديرية تزخر بسهولها وغاباتها باعداد هائلة من الحيوانات المتوحشة برية ومائية وبها انواع نادرة لا توجد في مثيلاتها من المناطق التي تقع تحت نفس النطاق المناخي لهذه المديرية ومن هذه الحيوانات انواع نادرة منها الطائر الذي يسمى أبو مركوب وهذا يتواجد في منطقة البحيرات في شامبي - أويل - ويروى كما يوجد حيوان آخر نادر يسمى واد القرن الابيض ومنهما ايضا بوقا وأبو عرف وملك القروود ويقدر ثمن الزوج من طائر أبو مركوب بحوالي ٣٠٠ ثلاثمائة جنية و ثمن الزوج من واد القرن الابيض يكلف مائة وخمسين جنيها والحظائر المشهورة في هذه المنطقة منها حظيرة



بحوالى ٤ آلاف جنيه واقل ثمن للزوج من هذه الحيوانات النادرة بهذه المديرية شامبي والتي ورد ذكرها آنفا وحظيرة عشانا والحظيرة الجنوبية في مناطق أجاب وعالياب وهذه الحظائر يحظر الصيد فيها ، هذا كله الى جانب الانواع المعروفة من الحيوانات المتوحشة كالفيل والاسد والنمر والزراف وهناك أيضا في منطقة البحيرات كميات هائلة من الثروة السمكية والتي يجرى العمل للاستفادة منها من الناحية الاقتصادية والسياحية .

### الثروة الخشبية

قلت له : حدثنى عن الثروة الخشبية في هذه المنطقة المليئة بالغابات ؟

قال : توجد بمديرية بحر الغزال انواع كثيرة ومختلفة من الغابات ومنها ماله قيمة اقتصادية ومنها مايستعمل للوقود وتقوم مصلحة الغابات برعاية الأخشاب ذات الفائدة الاقتصادية ، وفي هذا المجال استطاعت هذه المصلحة أن تقوم بزراعة ثلاثمائة وخمسين فداناً بشجر التيك في سنة ١٩٦٩ . وستمائة وعشرة فداناً في سنة ١٩٧٠ كما زرعت مساحات واسعة بأشجار البامبو للاستفادة منها في تغذية المناشير في منطقة بيسايل وفي منشار واو الذى ينتهى العمل فيه ويعمل الآن المنشار بكل طاقته والاستفادة الكاملة من الثروة الخشبية في هذه المديرية سوف يشيد مصنع للابلكاش بواو نظراً لوجود كميات هائلة من المواد الخام في تلك المنطقة تتمثل في أشجار المهوقنى ذات الشهرة العالمية في هذا المجال .

قلت له : من المؤكد أن نجاحكم في هذا المجال سوف يخدم أغراض عديدة في مقدمتها مواجهة احتياجات السودان كله من الأبلكاش وتطوير صناعة الاثاث الخشبية وصناعة التغليف بالاضافة الى أنه يؤمن لكم فرص توفير العملة الصعبة عن طريق التصدير للخارج بالاضافة الى زيادة فرص عمله . قال : هذا صحيح بالتأكيد .

### الصناعة

قلت له : أتصور أن فرص الصناعة في مديرية بحر الغزال هائلة بالنظر الى الامكانيات الطبيعية المتاحة .

وقبل ان اكمل كلامى بادرنى قائلاً :

إذا اذنت لى أن أقدم لك زميل متخصص في هذه الناحية يمكن أن يفيدك فيما تود معرفته عن هذا المجال . وبعد دقائق . وصل مايكل وبرفقتة المهندس « تونى أدوت » .. سألتنى أولاً عن أحوال مصر وكيف تعيش الآن انتصارات ٦ أكتوبر وقال لى :

انه كان من اوائل المهندسين من أبناء الجنوب الذين تلقوا تعليمهم بمصر  
وانه لازال يرسل أساتذته وزملائه الذين عرفهم خلال دراسته بالقاهرة وقال :  
لقد نقل لي الأخ مايكل رغبتك في معرفة جوانب الصناعة في مديرية بحر  
الغزال وكما تعرف فانه حديث طويل وطويل . . ولكن يمكن ايجازه في حديث  
مختصر . . قال :

اننى اتفق معك فى أن فرص الصناعة عندنا ضخمة للغاية نظرا للطبيعة  
السيخية المتاحة لنا وخاصة فى مجال الزراعة مثل تعليب الخضر والفواكه  
وصناعة الزيوت والصناعة الخنسية ، ويمكن أن تؤدي الى تحقيق الاكتفاء الذاتى  
للمنطقة من الناحية الغذائية وتطوير الانتاج الزراعى البدائى الى انتاج قائم على  
اساس تجارى لتحريك اقتصاد المديرية كما انها أيضا توفر فرص العمالة  
للقطاعات الحديثة من القوى العاملة فى المدن .

وحديثنا فى البداية سوف يكون عن الصناعة الريفية وهى ذلك النوع  
من الاعمال ذات الصبغة الحرفية الذى يمارسه المواطنون داخل منازلهم وفى  
أماكن أقامتهم مستفيدين من المواد المحلية فى انتاج مختلف الأشياء فى مستوى  
يعكس روعة الفنون الاصيلة وقد بلغت هذه الصناعة حد الروعة والجمال مما  
يدل على الذوق الفطرى السليم المتوفر لديهم ، بالرغم من قلة الامكانيات وعدم  
توافر وسائل التدريب المهنى الحديث وبساطة المعدات التى يستخدمونها ، تجد  
أن المنتجات فى غاية الاتقان والروعة وهو امر يؤكد ضمان نجاح هذه الصناعات  
اذا ما وجدت العناية الكاملة ، ويمكن أن تلعب دورا هاما فى تطوير الريف  
وتساعد على خلق اقتصاد متوازن وسليم اذ انها وسيلة ناجحة لتوسيع قاعدة  
التصنيع اللامركزى وعلى سبيل المثال لا الحصر نجد الصناعات الآتية : نحت  
الحيوانات والطيور والأسماك من الأبنوس وسن القيل والمصنوعات الجلدية  
وأعمال الزعف وغيرها .

وقال لي : لعلك سمعت عن مصنع تعليب الخضر والفواكه بواو . . أن  
هذا المصنع يعتبر نجربة رائدة فى مجال الصناعة بالأقليم الجنوبى عامة وفى  
بحر الغزال بصفة خاصة اذ يعتمد على الاستفادة من الموارد الطبيعية فى هذه  
المنطقة وهى المنتجات الزراعية وقد بدء تشييد المصنع سنة ١٩٦٣ على أرض  
تبعد ستة أميال عن مدينة واو ولم يكتمل تشييده الا فى سنة ١٩٦٧ وطاقة  
المصنع الانتاجية هى ثلاثة مليون علبة خضر وفواكه وخمسمائة علبة عصير  
موالح وخمسمائة طنا من الفواكه الطازجة .

ومن المشاكل التى تواجه هذا المصنع عدم توفر كل المواد الخام فى نفس  
منطقة المصنع وهذا يؤدي الى رفع تكاليف الانتاج كما يواجه المصنع أيضا  
مشكلة تسويق انتاجه وعلى سبيل المثال لم يبع المصنع خلال الفترة من مارس  
١٩٦٨ الى مايو ١٩٦٩ الا ثلثي ما انتجه ، حوالى مليون علبة علما بان المصنع  
كان يعمل بنسبة ١١٪ من طاقته الانتاجية .

وقال : هناك أيضا المرعة المتصلة بالمصنع والهدف من اقامة هذه المزرعة هي توفير الاكتفاء الذاتى للمصنع من الخضر والفواكه والمساحة المقدرة لهذا المشروع ١٥٠٠ فداناً أعد منها وزرع كمرحلة أولى حوالى ٤٠٠ فدان زرعت بالطماطم والباميا والفاصوليا .

وقال : ولعلك سمعت عن معصرة الزيوت بمنطقة يرول ؟ لقد تم انشاء هذه المعصرة فى ١٩٥١/٥٠ وبدأت العمل ١٩٥٣/٥٢ وكان الهدف منها حل مشكلة تسويق انتاج السمسم فى هذه المنطقة والذي يزرع بواسطة الاهالى ولكن هذه المعصرة كانت تعمل بخسارة منذ انشائها والى أن توقفت فى سنة ١٩٦٤ وذلك للأسباب الآتية : -

١ — كانت الكمية التى يتم انتاجها بواسطة المزارعين أقل بكثير من الطاقة الانتاجية للمعصرة والتى تقدر بحوالى ألف طناً .

٢ — بدأ الاهالى فى تلك المنطقة فى استعمال محصولهم من السمسم كغذاء يومية ولعمل المشروبات الروحية المحلية ( كوشيب ) .

٣ — لجأ بعض التجار الى جمع السمسم ونقله الى مدينة جـسـويا فى المديرية الاستوائية طمعا فى أسعار أعلى .

وقد توقفت هذه المعصرة فى سنة ١٩٦٥ نظراً لظروف عدم الامن والاستقرار . الا أن العمل الآن يجرى لاعادة تشغيلها وقد تم اعداد مساحة قدرها ٤٥٠ فداناً وزعت منها مساحة ٢٣٠ فدان ورصد لها مبلغ ٣٤٣٤ ر.جنيه وقد تم حصد السمسم فى ديسمبر ١٩٧٣ وسوف تنعش هذه المعصرة اقتصاديات المنطقة وتسهم بعائدها فى تطويرها .

وقال : وهناك أيضا مصنع البيرة بواو ، ويقع هذا المصنع على بعد حوالى خمسة كيلو مترات جنوب شرق مدينة واو وسوف يبدأ التشغيل فى مايو ١٩٧٤ وقد بدأ انتاج المصنع فى سنة ١٩٧٥ وينتج سنوياً ٢٠ مليون زجاجة بيرة فى العام أى مايعادل ١٧ مرة ضعف انتاج فابريكة النيل الأزرق لانتاج البيرة بمدينة الخرطوم بحرى . ويقدر رأسمال المصنع باثنين ونصف مليون جنيه كما يقدر للمصنع أن ينتج فى مراحل لاحقة كاكولا وفانتا وبعض المياه المعدنية الأخرى .

## التجارة

قلت له : وماذا عن النشاط التجارى لمديريتكم ؟

قال لى : قصة التجارة بمديرية بحر الغزال لها تاريخ قديم يرتبط بتاريخ



المديرية المكتوب اذ كانت العلاقة بين هذه المديرية وشمال السودان قائمة على أساس التجارة وقصة ضم المديرية في عهد التركية كانت التجارة عاملا أساسيا فيها . وظلت هذه الصلة التجارية قائمة قبل العهد التركي وبعده وهذه المديرية تتواجد بها بضائع تجارية فريدة لا تتوافر في غيرها من المناطق وعلى رأس هذه المواد سن الفيل والذي يأتي من غرب هذه المديرية في منطقة راجا الى العاصمة كما تصلها بضائع أخرى كالعاج وريش النعام وهذه البضائع ليس لها أسواق معينة اذ أن كل البضائع تجلب الى مدينة واو ومنها الى الخارج هذا الى جانب منتجات مصنع التعليب من الخضر والفواكه واللحوم داخل وخارج المديرية وكما ذكرنا انفا أن هذه المديرية غنية بثروتها الخشبية والتي تستعمل في الأثاث وترسل كأخشاب الى الخرطوم لتصنيعها كما أن صناعة الحرف اليدوية من نحت الخشب والعاج وأسن تجارة رائجة في المنطقة .

هذا كله الى جانب التجارة في المواد الزراعية كالذرة والسمسم والفول السوداني والتي تجدها في أسواق مراكز المديرية المختلفة الى جانب السلع التموينية . وحركة التجارة في مديرية بحر الغزال ازدادت نشاطا خاصة بعد وصول الخط الحديدي اليها وظروف الأمن والاستقرار ، ويتضح ذلك من زيادة مخصص الدقيق لهذه المديرية من ألف جوال الى عشرة آلاف جوال سنة ١٩٧٣ في الشهر وكمية السكر من ٢٥٠٠ جوال في الشهر الى ٧ آلاف جوال في الشهر في سنة ١٩٧٣ .

### التعليم

سألت : اعتقد ان نسبة التعليم وكنتيجة للظروف التي سادت الجنوب قليلة . . ماذا فعلتم لزيادة هذه النسبة ؟

قال : كما تعرف منذ كان التعليم في مديرية بحر الغزال في عهد الاستعمار قاصرا على المدارس التبشيرية والكنائس أما في العهد الوطني فقد فتحت كثير من المدارس في مراكز المديرية المختلفة الا انه نسبة لظروف عدم الاستقرار التي اشربت اليها والتي سادت الاقليم الجنوبي لفترة طويلة فقد تعطلت كثير من المدارس خاصة في المناطق الريفية .

وأكمل حديثه قائلا :

وتوجد بمديرية بحر الغزال مدرسة ثانوية عليا واحدة وهي مدرسة رمبيك الثانوية العليا . عدد التلاميذ بها جوال الى ألف تلميذ وقد ازداد العدد بعودة بعض التلاميذ اللاجئين في الدول الاقريقية المجاورة كما يوجد بمدينة واو معهد مايو الثقافي وهو في مستوى الثانوى العالى وهذه المدارس العليا تستوعب الطلاب من كافة مناطق الاقليم الجنوبي وليس مديرية بحر الغزال وحدها بل على أساس المنافسة العامة .

أما التعليم الثانوي العام فهناك ثلاثة عشر مدرسة ثانوية عامة وكلها تعمل الآن بمدينة واو نظرا للظروف التي كانت سائدة ماعدا مدرسة واحدة كانت في المنطقة وهي مدرسة التونج وجميع هذه المدارس سوف تفتح في مراكزها في العام الدراسي ١٩٧٤/٧٣ بعد أن ساد الأمن والاستقرار تلك المناطق ومن هذه المدارس مدرستين للبنات وعدد التلاميذ بهذه المدارس يقدر بـ ١٣٧١ تلميذا وعدد المعلمين العاملين بها خمسة وتسعين معلما ومعلمة .

أما في مجال التعليم الابتدائي فهناك مائة وأربعين مدرسة منها خمسة وأربعين مدرسة للبنات تستوعب هذه المدارس حوالي ٢٤٥٩٠ تلميذة بها حوالي ٣٥٠ ثلاثمائة وخمسين معلما ومعلمة .

ويتبع التعليم في هذه المديرية نفس السياسة التعليمية العامة التي تتبع في كافة أرجاء السودان وتسير المناهج على نمط واحد وتتم الدراسة فيها باللغة العربية ماعدا بعض المدارس الثانوية العامة والعليا التي تسير على التدريس باللغة الانجليزية .

وبعد ظروف الأمن والاستقرار ازداد عدد التلاميذ والتلميذات الذين هم في سن الدراسة ولم يجدوا أماكن بعد ، أكثر من ( ٨٤ ألف ) ، وهذا مما يتطلب العمل الجاد والسريع لترميم وإعادة فتح المدارس القديمة وفتح أخرى جديدة لمواجهة الظروف الجديدة .

### الصحة

وامسك مايكل مرة ثانية بدفة الحديث قائلا بالطبع تريد أن تعرف نوع الخدمات الصحية . . ثم أكمل كلامه قائلا :

تقوم وزارة الصحة هنا بتقديم الخدمات العلاجية والوقائية للمواطنين وذلك بتوزيع هذه الخدمات توزيعاً عادلاً يتفق مع تعداد السكان في المناطق المختلفة علما بأن غالبية الشفخانات ونقط الغيار قد تم تدميرها إبان أحداث عدم الاستقرار والأمن في الماضي والآن وبعد عودة السلام إلى ربوع الاقليم فقد أعيدت إلى العمل معظم هذه المراكز الصحية .

وفي مجال الطب العلاجي ، توجد بمديرية بحر الغزال سبعة مستشفيات في كل من واو التونج ، رمبيك ، يرول ققريال وأيل وراجا كما خصصت أربعة مستشفيات أخرى للمديرية لم تبدأ العمل بعد .

وأكبر هذه المستشفيات وأهمها مستشفى واو وبه ٣٣١ سريرا ثم مستشفى رمبيك وبه ١٦٧ سريرا ومستشفى يرول وبه ٨٠ سريرا والتونج وراجا وبكل منهما ٤٠ سريرا ثم مستشفى ققريال وبه ٢٥ سريرا .

وتوجد بالمديرية ثلاثة وعشرين شفاخنة منها ١٦ عاملة وسبعة تحت الترميم وكما تم التصديق بفتح ١٤ شفاخنة أخرى فى ميزانية التنمية .  
أما نقط انخيار فعددتها ثمانية وسبعين يعمل منها بصورة جيدة ثلاثة واربعين أما العدد الباقي فيجربى العمل لاعادة نشاطه وتم التصديق بفتح احدى وعشرين نقطة غيار فى ميزانية التنمية .

وقال : وفى مجال الطب الوقائى ازداد الاهتمام فى الآونة الاخيرة بهذا الجانب وقد انشئ مركز صحى كبير للعناية بالأمهات والاطفال بحى المقطاع بمدينه واو كما تم افتتاح مركز آخر فى مباني مؤقتة بمنطقة سوق الجوى وفى هذا الجانب تساهم اللجنة الأفريقية اللاغاة بفتح ثلاثة مراكز أخرى فى كل من كيوبيت ، اكون ونيث وسوف يتم افتتاحها فى أول ١٩٧٤ كما يجرى تدريب عدد من الزائرات الصحيات على أعمال الصحة المنزلية فى أمدرمان لتسليم هذا المهام فى مديرية بحر الغزال .

كما أن هناك خطة العناية بالصحة المدرسية بإنشاء وحدة للتثقيف الصحى ، الى جانب ذلك فان وحدات التطعيم ضد الكوليرا والجدرى والسل وغيرها من الامراض المستوطنة تجوب كافة انحاء المديرية .

وفى مجال صحة البيئة فان ضابطو عمال الصحة يقومون بتقديم كافة الخدمات الى جانب تقديم الارشادات المناسبة فى هذا المجال .

وفى مجال تدريب الكوادر العاملة فى مجال الصحة فقد تم افتتاح مركز لتدريب المساعدين الطبيين فى مدينة واو فى أكتوبر عام ١٩٧٣ . ويقوم مستشفى واو بتقديم التدريب النظرى والعملى لطلاب المركز .

وهناك مدرستان للتبريض فى واو ورمبيك وهناك خطة لفتح مدارس أخرى للتبريض فى كل من أويل التونج وراجا وسوف يتم افتتاح مدرسة لتدريب القابلات بواو فى ١٩٧٤ .

وقال وبالنسبة للخدمات البيطرية :

تقوم وزارة الزراعة والموارد الطبيعية برعاية الثروة الحيوانية المتواجدة فى بحر الغزال بتقديم الخدمات البيطرية المركزية والمتنقلة وتقوم وحدة الانتاج الحيوانى بمعاونة منظمة الزراعة والاغذية العالمية التابعة للأمم المتحدة بمكافحة مرض الطاعون البقرى وعدد الابقار التى تم تطعيمها حتى منتصف سنة ١٩٧٢ تقدر بأكثر من نصف مليون رأس من الأبقار .

كما تم تطعيم أكثر من ٢٧٥٠٠ رأس ضد مرض الذبابة كما تم تطعيم



أكثر من ١٨٨٥٠٠ رأس من الماشية ضد امراض أخرى منتشرة فى تلك المنطقة .

وتوجد خمسة مستشفيات بيطرية ثابتة بمدينة واو ، ومستشفى بيطرى بكل من أويل ققريال ، راجا ، التونج رومبيك ، برول وبكل من هذه المراكز شفاخانه بيطرية وعدد من النقاط البطرية .

أما فى مجال الانتاج الحيوانى فهناك مشاريع لتطوير الانتاج الحيوانى منها مزرعة واو للألبان والدواجن كما أن هناك مشروع لتحسين العلف والماشية .

كما يوجد قسم خاص بالجلود باعتبارها أحد مصادر الدخل القومى فهناك عناية بها ابتداء من السلخ الجيد والتجفيف بأنواعه ثم التخزين والشحن .

وقال مايكل : نسيت أن أحدثك عن مصلحة الغابات :

أن هذه المصلحة تلعب دورا هاما فى الاقتصاد الوطنى بالنسبة للتطير عامة وبحر الغزال خاصة فهى تقوم برعاية الثروة الخشبية التى تحدثنا عنها وتقوم باستغلال هذه الموارد الطبيعية وتوفير الكثير من احتياجات البلاد من الأخشاب المنشورة والمصنعة وتوفير بذلك الكثير من العملات الصعبة التى تحتاجها البلاد .

الى جانب ذلك فإن هذه المصلحة تمثل سلطة الدولة فى الأماكن النائية الوعرة التى لا يتواجد فيها نشاط حكومى . كما أنها تتيح فرصة العمل للمواطنين وخاصة العائدين من أجل الاستقرار وتقوم بالإشراف والصيانة على المناشير الموجودة فى منطقة فنقواويل وفنقو نوير وبسيلية ومنشار واو والمنشار الجديد الذى سيفتح بيرول وتقوم هذه المصلحة أيضا بتوفير خشب المنشار والاثاث وخشب الحريق وتحسين أنواع الأشجار النامية باستغلال أشجار ذات فائدة كبيرة والإشراف على عملية التوازن بين الزراعة والقطع لضمان استمرارية ثراء غابات المنطقة والمحافظة على التربة .

وهناك أيضا مصلحة الصيد ومصايد الأسماك :

ومن أقسامها الهامة قسم وقاية الحيوان ويقوم هذا القسم بحماية المواطنين ومواشيهم ومزارعهم من الحيوانات الضارة ولحماية الحيوان مثل الفيل والزراف والبوقا والخرتيت من خطر الصيد غير المصرح ، كما شرع هذا القسم فى تطوير مركز تجميع الحيوانات بواو . هذا بالإضافة الى أن هذا القسم يمول البلاد بما تحتاجه من سن الفيل ومن أعماله الأساسية أيضا رصد حركة وهجرة الحيوانات داخل وخارج السودان .

أما القسم الثانى فى هذه المصلحة فهو قسم الاسماك اذ ان مديرية بحر الغزال تزخر بالانهار والروافد التى تعج بثروة سمكية طائلة تعود للمواطنين والبلاد بفوائد جمة كما يقوم القسم برعاية وانشاء مزارع سمكية لاستغلال هذه الثروة .

## الثقافة والاعلام

وقال المهندس تونى ادوت موجهها كلامه لمايكل :

هل نسيت أنك تتحدث الى صحفى يهمله بالتاكيد ان يعرف الكثير عن النشاط الثقافى والاعلامى وأضاف موجهها كلامه لى : لقد أنشئ هنا مكتب للثقافة والاعلام فى اكتوبر ١٩٥٨ والغرض منه تبصير المواطنين وتزويدهم بالمعلومات ورعاية وتطوير تراثهم الفنى والثقافى ويتضمن المكتب ادارتين :

— قسم التحرير : ويقوم باصدار نشرات اخبارية باللغتين الانجليزية والعربية .

— قسم السينما والصوت : ويقوم بعرض الافلام السينمائية المختلفة للمواطنين فى مناطقهم وتغطية المناسبات المختلفة .

أما الادارة الاخرى فهى ادارة الشباب والرياضة وتقوم برعاية النشاط الرياضى وحركة الشباب من اقامة المعسكرات والاشراف على المناشط الاخرى وعلى المركز النموذجى للتنمية الاجتماعية تحت اشراف خبير من اليونيسيف للاستفادة من قدرات الشباب وخاصة الذين فاتتهم سن التعليم والعمل على ترشيدهم ورعاية اهتماماتهم المختلفة .

وفى جانب الثقافة والاعلام وتنفيذا لقرارات مؤتمر كيار ضبط الاعلام المنعقد فى الخرطوم فى سنة ١٩٧٠ لقد فتح فرع فى رمبيك وآخر بأويل .

وبالنسبة للمحاكم والقضاء : يوجد قاضيان بمدينة واو كما يمارس مفتشو الحكومة المحلية بالمراكز وضباط المجالس بعض السلطات القضائية ويشرفون على المحاكم الاهلية لمراجعة احكامها والنظر فى الاستئنافات كما تلعب المحاكم الشعبية دورا هاما فى تسوية النزاعات الفردية والقبلية بالمديرية .

## ● الجاليات الاجنبية :

هناك بعض الخبراء الذين نشأ حضورهم المؤقت عن الانشاءات التى تقوم بها الدولة فى مجالات التنمية ايطاليون — صينيون — بريطانيون ، وغيرهم كما ان هناك جالية يونانية تعمل بالتجارة ويتواجد بعض النازحين من الدول المجاورة وأغلبهم من زائرى .

وتوجد بمدينة واو كائدرائية القديسة مريم والتي تعتبر أكبر مركز للكنيسة الكاثوليكية بالاقليم الجنوبي كما توجد كنائس كاثوليكية عاملة في كل من أويل وققريال — التونج — ريميك — وراجا كما أن هناك كنيسة للبروتستانت بمدينة واو بالإضافة الى مجموعة من الجوامع التي يؤمها المسلمون .

### ● المنظمات الجماهيرية :

خلال تجوالى بمديرية بحر الغزال لاحظت انه توجد بالمديرية فروع لمعظم نقابات واتحادات العاملين المسجلة بجمهورية السودان الديمقراطية مثل اتحاد المعلمين ونقابة عمال النقل الميكانيكى والغابات وغيرها . كما يوجد مجلس فرعى لنقابات العمال واتحادات الموظفين وهناك أيضا اتحاد المزارعين وآخر للتجار كما أن بالمدينة تنظيمات للمرشديات والكشافة ومنظمة وطنية للسلام .

كما يوجد بالمديرية فرع للاتحاد الاشتراكي السودانى وتنظيماته المختلفة وروافده التي تضم منظمات الشباب والتي تشارك في العمل الاجتماعى والسياسى واقامة المعسكرات الصيفية للمساهمة في مشروعات التنمية ، كما أن هناك أيضا فرع لاتحاد نساء السودان وهو كرسيفة فرع اتحاد شباب السودان وكرافد من روافد الاتحاد الاشتراكي ، ويساهم في تطوير المرأة ببحر الغزال ويشترك في العمل السياسى وله فروع المختلفة بمراكز المديرية ووحداته بالاحياء . كما أن هناك تنظيم للمثقفين بمديرية بحر الغزال والذي يضطلع بتبصير المواطنين بالظروف الجديدة وما تتطلبه من عمل وانتاج وذلك الى جانب تنظيم الرأسمالية الوطنية ومساهمته في مشاريع العون الذاتى لتعمير المنطقة بالإضافة الى لجان تطوير القرى والتي تنتشر في انحاء المديرية المختلفة .

### ● المواصلات :

وبالنسبة للمواصلات : تربط وسائل المواصلات الحديثة مديرية بحر الغزال بأجزاء البلاد المختلفة ومن هذه الوسائل المواصلات البرية والنهرية والجوية والهاتف والبريد والبرق فنجد بها خط للسكة الحديد يربطها بمديرتى كردفان ودارفور عن طريق تقاطع بأبنوسه بكردفان ويستغل هذا الخط الحديدى في حركة نقل الركاب والبضائع وهو الخط الوحيد الذى يربط الاقليم الجنوبى بأجزاء السودان المختلفة اذ ينتهى عند مدينة واو والمسافة التى يربطها هذا الخط من بحر العرب حتى مدينة واو طولها ٢٦٩ كيلوف متر ويغادر قطار الركاب مدينة واو متجها شمالا مرتين في الاسبوع .

كما يوجد بمدينة واو مطار لاستقبال الطائرات وهو المطار الوحيد بالمديرية ويستقبل الطائرات من الخرطوم — ملكال — جوبا .



أما في مجال الملاحة النهرية فتقتصر على المواصلات الداخلية فتسير القوارب عبر الأنهار المختلفة موسمياً إذ تتأثر هذه الأنهار بمنسوب الأمطار حيث تجف مياهها في بعض الفترات الى حد لايسمح بالملاحة .

أما في مجال المواصلات البرية والطرق فنجد أن بعض الطرق يكون صالحاً للاستعمال طول العام والبعض الآخر موسمياً إذ يتعسر استعماله في فترة الخريف نسبة لطبيعة الأرض الطينية خاصة في شمال المديرية ومن هذه الطرق الموسمية الطريق الذي يربط بحر الغزال بمديرتي دارفور وكردفان وأما طريق واو — يامبيو — جوبا فيعمل طول العام .

### أما في مجال المواصلات السلكية واللاسلكية

فنسبة للظروف الطبيعية والمناخية في مديرية بحر الغزال والتي تتميز بكثرة الحشائش والأشجار فإن الاتصال اللاسلكي هو أنسب الوسائل الحديثة لربط أجزاء المديرية باتجاه البلاد الأخرى ويجري العمل لتكثيف شبكة الراديو الحالية وتجديدها لتسهيل الاتصال السريع بين الأطراف المختلفة وفي الوقت الحاضر الى جانب أجهزة مصلحة البريد والبرق والهاتف فهناك أجهزة الاتصال اللاسلكي في وحدات حكومية أخرى كالشرطة والإعلام بالإضافة الى الخط التليفوني بين واو وبابنوسه وبين واو وبيروال والذي تعطل سنة ١٩٦٤ كما يجري العمل لتجديد شبكة الاتصال التليفوني داخل مدينة واو بأخرى آتية .

### ● السياحة :

قلت لمايكل : بعد كل الذي أوردنا ذكره عن مديرية بحر الغزال من الثروات الطبيعية وبعد حديثنا عن أوجه النشاط المتعددة الموجودة ثم حديثنا القصير عن السكان لابد أن يسأل المرء عن موقع السياحة بين هذه الأنشطة ؟

قال : أن السياحة في بحر الغزال لم تتعد بعد طور كونها ثروة خامة لم تستغل بعد نسبة للظروف الغير ملائمة التي سادت الاقليم الجنوبي في الماضي والسياحة كنشاط اقتصادي اجتماعي وثقافي تتطلب المناخ المناسب الذي تزدهر فيه فالى جانب الامكانيات الطبيعية والمادية لابد من تسهيلات أخرى . أما من ناحية الامكانيات الطبيعية فنجد أن هذه المنطقة تقع تحت نطاق مناخ السافنا حيث تنتشر السهول والغابات في منظر طبيعي غاية في الروعة وفي هذه السهول على جمال طبيعتها تعيش فيها أنواع مختلفة من الحيوانات وهناك حظائر كاملة مثل حظيرة عشانا وحظيرة شامبي .

هذا بالإضافة الى أن العنصر البشري في المنطقة يشكل مركز جذب للسائح إذ تزدهر فيها الفنون الشعبية المختلفة فمن رقص بديع رشيق الحركات

عميق المدلول متناسق الانجاهات صادق التعبير عن البيئة والانسان في هذه الربوع . والحديث عن الرقص والفنون في هذه المديرية يجرنا الى الحديث عن الصناعة اليدوية والتي بلغت غاية الروعة والاتقان وتتجسد فيها روح فنية أصيلة وذوق فطرى سليم ولقد أفضنا الحديث عنها حين تحدثنا عن الصناعة الريفية ولاسك أن السائح سيجد فيهما الجديد الذى يروقه .

ولتنشيط الحركة السياحية في هذه المديرية سوق يتم تشييد استراحة سياحية مجهزة بالوسائل الحديثة للراحة والاقامة حتى يمكن نزول السياح بها والاستمتاع بمناظرها الطبيعية وطقسها الجميل وسوف يتم تشييد هذه الاستراحة بمنطقة شامبى .

ثم أقامة معسكر سياحى بديم زبير اذ تعتبر هذه المنطقة من مناطق السودان الغنية بحيواناتها البرية الامر الذى يقتضى تطويرها وفتحها للسياح .

كما سوق يتم اعداد معسكر آخر بمنطقة البحيرات ( رمبيك ) للاستفادة من الثروة السمكية الهائلة وفتحها للسياحة وهذه المعسكرات تتيح الفرصة للسياح لارتياح هذه المناطق فى المستقبل القريب الواعد .



ونظرت الى ساعتى فلم اجد امامى سوى دقائق قبل أن تقلع بى الطائرة عائدة الى الخرطوم . وودعت الاصدقاء على أمل اللقاء قريبا فى مديرية بحر الغزال . وفى الطائرة قفزت الى ذهنى صور العوائد الضخمة التى يمكن أن يحققها استثمار زكى لهذه الثروات .

وفى الخرطوم جلست ادون ملاحظاتي عن زيارة مديرية بحر الغزال . . لقد تبين لى من اتصالى بالقبائل المختلفة فى هذه المديرية حدة ذكائهم واستعدادهم للاخذ باسباب المدنية الحديثة وقابليتهم للتعليم . . كما ثبت لى أن شعب وادى النيل لايمكن أن يموت فهو جنس عريق فى المدنية يحمل فى دمه بذور الحضارة وعنده كل المؤهلات ليتصدر الحضارات العالمية .





الرحلة الثالثة

المديرية الاستوائية ( ١ )



إذا كانت فنون الرقص والغناء هي انعكاس لثقافة وحضارة الأمم ،  
فالواقع يقول أن جنوب السودان أمة زاخرة بهذه القيم . . هذا ما نؤكد لنا من  
خلال العروض التي قدمتها فرق الفنون الشعبية على خشبة المسرح القومي .

وحينما ذهبنا إلى المديرية الاستوائية ، اصطدمت بظواهر أيقظت في  
نفسى كوامن من حب الاستطلاع والتوق الإنساني إلى المعرفة .

لقد وجدت نفسى فجأة وسط كرنفال من الأزياء المتباينة وآلات الغناء  
المثيرة وادوات الفروسية ونماذج الفلكور السوداني .

واقتربت استفسر واسمع .

وكانت بداية اللقاء مع « دنجى صمويل » رئيس الفرقة الموسيقية الذى  
قال لى أن هذه الرقصات التى نشاهدها تعبر عن الترحيب بمقدم رجل السلام  
جعفر ميمرى وتمجده الوحدة الوطنية مروراً بفسوة الماضى وانتهاء بالوثام الذى  
ساد هذه البقاع بعد احلال السلام . وهذه الأزياء التى تراها أمامك تعبر عن  
البيئة حول السيقان تم ربط قطع من الحديد وحول الوسط شعر من محار  
الوحش وحول الرقبة زيل الزراف أما على الرأس فيوجد ريش النعام وكل هذا  
يكسب الأداء روعة وجمالاً .

وفى مساء أول يوم قضيته فى جوبا اقترح على مرافقى الصديق اينى  
كروسمان أن أصبح له لمشاهدة فرقة « لاتوكا » والرقصات والاغاني التى تؤديها  
تعبيراً عن سرور الناس بالوحدة الوطنية والسلام . ولقد لاحظت أن هذه الفرقة  
تظهر فى أزياء الفرقة التى يغلب عليها اللون الأبيض تعبيراً عن الصفاء والوثام  
والحبة ، وأن كانت هذه الأزياء أيضاً تضم تشكيلة تعكس البيئة . فالأزياء تتكون  
من ( السكسك ) حول الوسط وحول الأيدي أساور من عاج الفيل وانياب وعلى  
الرأس خوزات من الذهب الخالص إلى جانب ريش النعام فى أيدي أفراد الفرقة  
وهم يلوحون به فضلاً عن ذلك فإن الفتيات من أعضاء الفرق يلبسن السكسك  
الأبيض حول الوسط بينما يبدو خيط أحمر من السكسك فى الأسفل ، ولهذا  
مناسبة وهى أن السكسك كله كان باللون الأحمر . . فترة الاضطرابات  
تعبيراً عن التمرد أما بعد استتباب السلام استبدل باللون الأبيض تعبيراً عن  
السلام وهذا يعنى أن حلول السلام فى الجنوب قد انعكس على الفنون فما من  
غناء أو رقص إلا وللسلام لفيه دور ولقد أتيح لى فى نفس هذا المساء أن أشهد  
أروع العروض التى قدمتها إحدى الفرق فى جوبا حيث كانت الرقصات تمجيداً  
للوحدة والسلام أما الأزياء فقد كانت مثيرة للغاية فعلى الرأس صسوف الفنان  
الأبيض وحول السيقان قطع من الحرير أما رئيس الفرقة فهو يلبس جلد النمر  
وادوات الرقص تتكون من الدرق المصنوعة من جلد الجاموس فضلاً عن الحراب  
الطويلة وهناك عصا يحملها رئيس الفرقة ورأس هذه العصا عبارة عن رأس  
تمساح صغيرة تحيط به قطع من عاج الفيل وعندما حان موعد العشاء أصر



« جون دنكور » أن اتناوله في حديقة منزله حيث كانت في انتظارى وباقى الوفد الصحفى حفلة رقص قبل انطلقت خلالها السهام والرماح . . . فهى اشيء أساسية فى الرقص تماما كصرخات الرجال والنساء العنيفة حيث ينسى المرء ماهو الصمت .

## استقبال غیر عادی

وفي صباح اليوم التالي كانت سيارة الصديق بابدك شول تنتظرني لنبدأ جولتنا في جوبا وخلال الطريق دار حوار طويل حول مغزى الاستعداد لاستقبال نميري . قال لي : ان الاستقبال الذي يجري أمامك خير دليل على الشعور بالتغيير وأظنك تعرف حجم الناس الذين كانوا يخرجون لاستقبال المسؤولين السابقين . . الناس هنا بدأوا يمتلكون الشجاعة لعرض قضاياهم على الرئيس نميري مباشرة ودون وسيط . في المظاهرات التي خرجوا بها من خلال هتافاتهم تستطيع أن تلمس مدى تأييدهم لهم . . الشيء الثاني كمية اللاجئين الذين عادوا الى هنا دلالة وإشارة واضحة الى أن جزءا كبيرا منهم اقتنع بسياسة الدولة .

سألته : ماهي الحلول التي تراها لازمة لاستمرار هذا التأييد قال :  
لعلك لاحظت أن المواطن العادي هنا لا يهتم كثيرا بالمناقشات السياسية وإنما  
يهتم بالمناقشات التي تؤثر تأثيرا مباشرا على حياته . . يريد بكل بساطة أن  
تتوفر له الحماية اليومية . . أن يتوفر التعليم . . أن تقام له المستشفيات  
وفي هذه الحالة لن تستطيع قوة أن تغير أو تحد من اندفاعه نحو أخوته في  
الشمال .

واستطرد يقول : ان مشكلة الجنوب كما قال الرئيس نمري ليست مشكلة عسكرية يمكن ان تحل بالطريقة العسكرية انها مشكلة اقتصادية واجتماعية ولها جذور بعيدة تحتاج لوقت وجهد لاحتثائها كما ان التطوير الاقتصادي وحده في ظروف الزمن فيها غير متوافر لايحل المشكلة . ان تطوير الجنوب اقتصاديا واجتماعيا وتوفير الحماية للمواطن العادي يكون بإمكان ان يحل المشكلة في المدى القريب .

وصمت محدثي قليلا ثم قال : لقد كنت اتحدث قبل قليل مع صديقي كورينو وهو من الرجال الذين عملوا لفترة مع الانجليز واطلعنى على التوجيهات للضباط الانجليز الذين كانوا يعملون فى السودان قال لى لقد قرأ بنفسه فى منشور سرى أصبح محور سياسة الانفصال البريطانى فى الجنوب : ان الهدف الذى تحرص عليه الحكومة البريطانية هو تشجيع التجار بدلا من الجلابة . ( أى العرب من السودانيين الشماليين ) وبناء عليه فينبغى أن تقلل تصاريح الدخول الممنوحة لهؤلاء باستمرار ولكن فى حكمة ودون إثارة .. أما الذين يبقون على تصاريحهم من الجلابة فينبغى أن يختاروا بحيث يكونون ممن ليست لهم اية اهتمامات أو نشاط خارج ميدان

المعاملات التجارية وأن تكون هذه مشروعة وتمارس وفق القانون ، على أنه لابد من حصر الجلافة في المدن والطرق الرئيسية وللقضاء على التزاوج بين الشماليين والجنوبيين فقد حرم على الأزواج الشماليين اصطحاب اولادهم وزوجاتهم الجنوبيات الى الشمال .

وقال باندك شول مكملا ولاشك أن هذه السياسة البريطانية قد حالت طويلا دون تلاقى أبناء الوطن الواحد في الشمال والجنوب وكان يمكن لو استمرت أن يكون لها آثارها وانعكاساتها الخطيرة لو لم تتحقق الوحدة الوطنية عن طريق تنفيذ قانون الحكم الذاتي الاقليمي واحلال السلام في الجنوب .

وقال هاهي الممارسة العملية تثبت فعالية صيغة الوحدة الوطنية كإطار لتجديد طاقات الشعب الواحد من أجل بناء المستقبل الأفضل . وهاهي سياسة السلام تحقق كل يوم انتصارا جديدا باقناع مزيد من القطاعات بالانخراط الواعي في صفوفها وستظل الوحدة الوطنية هي الصيغة الوحيدة المناسبة لبلادنا شريطة أن يلعب الاتحاد الاشتراكي السوداني بنشاط وفعالية دوره في تقوية ومجابهة كل العناصر المعادية للفكر السوداني الحر ومبادئ وأهداف ثورة مايو ومنعها من التسلل الى جسم التحالف ومنظماته الفرعية .

### صوفية القرع المنظم

في جوبا عاصمة المديرية الاستوائية شاهدت الكثير . . الكثير وسمعت الكثير . . الكثير . . تحدثت الى زعماء القبائل وأبناء الشعب في مختلف المواقع . . أكلت معهم وسهرت حتى الصباح الباكر في ضوء القمر ( وما أظن القمر في جنوب السودان ) .

في صوفية القرع المنظم . . ايقاعا يحرك في الانسان جسمه وخلجات قلبه . .

لقد صورت لنا صحافة الغرب اهل الجنوب اغرابا علينا . . دنيسا بعيدة . . عالم لا تربطنا به اية رابطة . . وجاءت زيارتي للجنوب لكي تؤكد لي زيف هذا التصوير المفرض . لقد اكدت لي أنه اذا كان الشماليون في السودان اخوة لي فكذلك هم الجنوبيون .

### جوبا عاصمة المديرية للجنوب كله

المديرية الاستوائية هي احدى المديریات الثلاث للأقليم الجنوبي لجمهورية السودان الديمقراطية وعاصمتها مدينة جوبا . والتي هي عاصمة للأقليم الجنوبي الان وبها المجلس التنفيذي العالی ، ومجلس الشعب

الأقليمي المكون من ستين عضوا ، ورئاسة الحكومة الإقليمية التي تضم اثني عشر وزيرا .

وتقع المديرية الاستوائية في أقصى الجزء الجنوبي من البلاد بين خط العرض ٥٤° ومنتصف خط العرض ٨° شمالها . وتقع الاستوائية الى الجنوب من مديرتي اعالي النيل وبحر الغزال وتحدها من الجنوب والشرق والغرب خمس دول أفريقية وهي من الشرق الى الغرب : أثيوبيا ، كينيا ، أوغندا ، زائير ، وأفريقيا الوسطى .

وتبلغ مساحة المديرية الاستوائية ١٩٨١٢١ كيلو متر مربع .

تقع منطقة جوبا في وسط المديرية وبها عاصمة المديرية وعاصمة الاقليم الجنوبي وهي مدينة جوبا ، وبها مجلسان مجلس بلدى جوبا ، ومجلس ريفى جوبا الذى يهتم بالمناطق الريفية الغربية من المدينة مثل تركاكا ، وتبلغ مساحة مجلس ريفى جوبا ١٦٠٠ ميلا مربعا ، وتعداد سكانه ٢١٠٠٠٠ أما تعداد مجلس بلدى جوبا فيبلغ ٧٥٠٠٠ نسمة .

## السكان

وتوجد بالمديرية الاستوائية ثلاثة وثلاثون قبيلة . . لها لهجاتها ولغاتها المتداخلة وتسود اللغة العربية كلفة تخاطب بين الكثير من السكان ، كما تسود الانجليزية بين قطاع المثقفين ، وقد أصبحت اللغة العربية هي السائدة الآن بالمدارس بعد توحيد المناهج وتعريبها .

وتنتشر حرفة الرعى في الاجزاء الشمالية الشرقية ، والاجزاء الوسطى وهم رعاة بقر فى الغالب ، بينما تنتشر الزراعة عند سكان الجزء الجنوبي الغربى وذلك لانعدام الحيوانات الأليفة فى تلك المنطقة .

ويقوم مكتب الزراعة بجوبا بالاشراف على كل أوجه النشاط المتعلقة بالمزارع النظامية من ارشاد وتوجيه وتنمية راميا الى جعل المنطقة من المناطق الانتاجية الكبرى حتى يكتفى المواطنون ذاتيا ، هذا بجانب الاسهام فى حل مشكلة العائدين واستقرارهم .

وهناك مشروع يرمى الى مد مدينة جوبا باحتياجاتها اليومية من الخضرا ، كما يرمى الى استقرار العائدين ، ومساحة هذا المشروع ٥٠٠ فداناً هذا بالإضافة الى ٢٠٠ فدان لزراعة الفول السوداني والسمسم واللوبيا والذرة .

وتعتبر الطرق فى المديرية من أجود الطرق اذا ما قورنت بمستوى الطريق فى السودان ، وهناك طريق يربط بين جوبا وتمول له أهميته اذ انه يربط



مناطق جنوب السودان بيوغندا وكينيا وبالتالي العالم الخارجى كما ان جوبا ترتبط بمديريات أعالي النيل وبحر الغزال ، وكردفان ودارفور والخرطوم

وبالنسبة للمواصلات النهرية فان عاصمة الاقليم الجنوبى ترتبط بعاصمة البلاد وعن طريق النيل اذ تسير البواخر النيلية من الخرطوم حتى جوبا غير ان المسافرين يفضلون السفر بالقطار أو البعض حتى كوستى ومن ثم بالباخرة حتى جوبا . وتسير مصلحة النقل النهري فى خط كوستى جوبا ١٢ باخرة كبيرة ، و١٣ باخرة صغيرة ، بينما يبلغ عدد الصنادل المخصصة للبضائع ٧٨ صندلا ، وعدد صنادل الركاب ٤١ صندلا .

هذا بالإضافة الى أن خدمات الخطوط الجوية السودانية تربط مدينة جوبا بمدينة الخرطوم والعالم الخارجى .

كما ترتبط جوبا بالخرطوم بخدمات بريدية وبرقية .

### تاريخ المديرية الاستوائية

حدثنى الاخ روت أجن المدرس باحدى معاهد المديرية الاستوائية طويلا عن تاريخ مديريته . . قال :

ان تاريخ المديرية الاستوائية بحدودها الحالية يرتبط ارتباطا وثيقا بالمحاولات التى قامت لاكتشاف منابع النيل والغزو الاستعماري لافريقيا السوداء . . كانت هناك محاولات كشفية فى افريقياتوغلت من جهات متعددة وقد وفقت فى الكشف عن الكثير من أسرارها الا أن أمر متابعة مجرى النيل حتى منابعه فى الاقطار الاستوائية بقى وحده بعيدا عن متناول الجميع . وذلك لصعوبات كثيرة منها الطبيعة وكذلك رداءة المواصلات .

ولكن بدخول مصر السودان ١٨٢٠ بدأ العالم يعترف الكثير عن تلك المناطق . فقد أرسلت مصر ثلاث بعثات بقيادة سليم قبطان بدأت عام ١٨٣٩ وانتهت ١٨٤٢ استطاع أن يصل منها الى غندكر وعلى خط عرض ٤٢ درجة - ٤ شمالا .

وقال : وبالرغم من ان تلك البعثات عادت ادراجها الى الخرطوم دون الوصول الى المنابع الاصلية الا أن ما أحدثته من فضل هو تمكنها لأول مرة فى تاريخ العالم من اختراق منطقة السدود وكشف حقيقة أمرها . ونتيجة لهذا تمكن سبيك وبرتون من الوصول الى منطقة البحيرات وأطلق اسم فكتوريا على أكبرها متخذاً طريق شرق افريقيا وكان ذلك فى عام ١٨٥٨ ، ورجع الى انجلترا ثم عاد ليؤكد صلة بحيرة فكتوريا بمجرى النيل - وفعل ذلك ثم تقدم شمالا نحو مناطق النفوذ المصرى معتمدا على ما أكدته بعثات سليم قبطان .

## واستطرد روت أجن يقول .

حدث هذا في ذات الوقت الذى أفاد فيه مستكشف آخر هو صمويل بيكر من آثار الكشف المصرى ومن نفوذ مصر فى السودان وما وراءه مما عرف بالاقليم الاستوائى أو المديرية الاستوائية كما أفاد أيضا من تغلب مصر النسبى على مشكلة السدود فتوغل بمساعدة حكومتها ومساندتها جنوب النيل الابيض وعبر بحر الجبل الى غندكرو ووصلها فى ١٨٦٣ حتى التقى بسبيك وجرانت وعاونهما بالاشتراك مع بعض التجار على اكمال رحلتهم للشمال تلك المرحلة التى أثبتت نهائيا حقيقة مصادر النيل ومنابعه .

وشاع بعد ذلك غنى الاقليم الجنوبى فانتظمت الحملات التجارية وبمرور الزمن تحولوا الى تجارة الرقيق وكون نجار الرقيق قوة لا يستهان بها .

وكشف بعض الاوربيين فى كتاباتهم مساوىء تجار الرقيق .

حدث هذا فى الوقت الذى تولى فيه الخديوى اسماعيل الحكم عام ١٨٦٣ — ١٨٧٩ م فسعى لتوحيد حوض النيل ومحاربة تجارة الرقيق فأدى ذلك الى التوسع حتى بلغت المساحة التى ضمها حدا اضطره الى تقسيمها اداريا الى اقليمين كبيرين هما اقليما خط الاستواء وبحر الغزال .

وقد تغيرت حدود الاقليم الاستوائى وتطورت كثيرا واشتهرت باسمه الادارى الذى أطلقته عليه مصر وهو المديرية الاستوائية والتى شمل امتدادها المنطقة الواقعة بين خط الاستواء وخط ١٠° شمالا والتى انتشرت واتسعت بين خطى الطول ٢٧° و ٣٤° شرقا .

ووصلت حدودها الشمالية حتى بلدة التوفيقية . عند التقاء السوبات بالنيل الابيض كما بلغ انتشارها الجنوبى مناطق أوغندا ، ودخل فى هذا الامتداد شرقا مرتفعات لاتوكا البالغة الجمال ومنابع النهرات المتعددة التى تصب فى بحر الجبل من الشرق والجنوب الشرقى وامتدت غربا الى أقصى الطرف الجنوبى الغربى لبحيرة البرت ، كما احتوت المناطق الممتدة غرب بحر الجبل ، والتى تسير بحذائه ، وتشمل حوض نهري «لاو أوي» و «روهل أو نعام» اللذين ينتهيان شمالا الى مجموعة المستنقعات التى تصل مياهها أحيانا الى بحر الغزال .

وقال :

ومن هذا نرى أن الحدود التى انتشرت داخل نطاقهما المديرية الاستوائية بمعناها العريض فى الفترة الزمنية ١٨٧٠ — ١٨٩٠ تجمع بين جانب من هضبة البحيرات الاستوائية ، وجانب آخر من أحواض بحر الجبل والغزال والزراف .

وهكذا تقدمت مصر في عهد الخديوى اسماعيل لاتمام مابداته فى السودان والنيل الاوسط منذ أوائل القرن التاسع عشر ، الاتصال بمنطقة بحر الجبل والبحيرات ، والذي يترتب عليه تأسيس أسباب التمدن والعمارة ، وتوسيع دائرة الزراعة والتجارة ، ودفع الأحوال الوحشية ، وتمهيد الطرق وتأمينها وانتأليف بين الاهالى . وطابقت هذه المثل والاهداف الاتجاهات العالمية للكشف عن هذه المناطق جغرافيا وعلميا ، والقضاء على نجارة الرقيق المنتشرة بها .

غادر بيكر (الادو) فى عام ١٨٧٣ ووصلها الحاكم الجديد غوردون ١٨٧٤ وخلال هذه الفترة (نحو عام) تحمل القائد المصرى محمد رؤوف بك جميع مسئوليات المديرية .

وبعد فترة غوردون ١٧٨٩ والتي امتازت بالعنف والقسوة فى سبيل الغاء نجارة الرقيق ، مما أدى الى تعطيل ازراعة والتجارة ، فضلا عن انتشار الذعر والهلع بين السودانين .

وعندما ظهرت بوادر المهديّة رأى فيها الدناقلة (المنتشرون خاصة فى المديرية الاستوائية وبحر العزال) الامل الأخير المخلص مما أصابهم على يد الحكم المصرى من تشييت وتشريد بعد أن سحقّت جماعاتهم التى انضمت الى سليمان الزبير فى بحر انغزال ، ورغم أبعاد المديرية الاستوائية فى عامى ١٨٨١ - ١٨٨٢ م لكثير منهم الا أن البقية الباقية والمنتشرة بين القبائل المختلفة كانت كفيلة باثارة المتاعب مباشرة ، أو عن طريق استغلال ما اتصف به رجال القبائل المحلية اذ ذاك من بساطة ، وبعد ذلك بدات هجمات القبائل المحلية تزداد على المحطات المصرية منتهزة انشغال شمال السودان بمقاومة المهديّة .

انقطعت المديرية الاستوائية عن العالم الخارجى عام ١٨٨٣ (مارس) وبقيت كذلك حتى تمكن المسئولون من الاتفاق مع ملكتى أوغندا ونيورو فى أواخر عام ١٨٨٥ للسماح بمرور المراسلات عبر أراضيها ، وساءت الحالة فى المديرية وكان عليها أمين باشا وتمرد عليه رجاله وهو يحاول اقناعهم بالانسحاب عن طريق لبحيرات لان الشمال كان فى يد المهديّة والتي كانت تناوشهم من وقت لآخر .

وقد حاولت قوات المهديّة دخول المنطقة الجنوبية وأسكنها لم تفلح وكان عام ١٨٨٨ بداية انحسار لموجة المهديّة عن الجنوب ، اذ عجزت لفترة طويلة عن تدبير أى هجوم رئيسى آخر ، واكتفت بالاحتفاظ بقوة اسمية فى الرجاف .

وقد صاحب كل ذلك الاطماع الاستعمارية فى تلك المنطقة ، مما أدى الى تفكك المديرية ، وخروج مصر منها فى عهد اجتلال بريطانيا العسكرية لمصر ، ثم كان إعادة فتح السودان على يد كتشنر ١٨٩٨ م .



وقد حرص الاستعمار الانجليزى على جعل جنوب البلاد مناطق مقفلة ، كما شجع الزوج القبلية فأثارت الفتن والعصبيات القبلية . وفيما بين عام ١٩٣٠-٢٤ م كانت الادارة البريطانية التى تدير السودان باسم مصر وانجلترا قد نجحت فى اضعاف معانى الوحدة الوطنية ، وشغلت الجنوب والشمال عن التخطيط الاستعماري الخفى . ومنعت انتشار اللغة العربية ، ومنعت التجار الشماليين من حرية ممارسة التجارة فى الجنوب ، وبلغ من اخطار الاستعمار الانجليزى أن خلط الدين بالسياسة ، فقاوم الاسلام ، وأطلق الارساليات المسيحية ، ومزج التقاليد الدينية بأفكار عنصرية تبعدهم عن اخوانهم فى الشمال .

وقد شجعت بريطانيا سياستها الخفية العمل على فصل الجنوب . فعقدت مؤتمرا فى جوبا عام ١٩٤٧ م . وأثارت اضطرابا فى توريد فى جنوب السودان الاقصى عام ١٩٥٥ أثناء الفترة الانتقالية . ولم تتمكن الحكومة السودانية المتعاقبة منذ ١٩٥٦ أى بعد الاستقلال من التنبيه للحالة الخطيرة التى تحدث فى الجنوب ، من اتصالات غامضة فى أوغندا بين زعماء القبائل الانفصالية ، فقد ظلت القيود مفروضة على الانتقال الى الجنوب الا بتصريح من الحكومة . وقامت حكومة عسكرية عام ١٩٥٨ م وعن طريق العنف فى قمع التمرد زادت المشكلة تعقيدا ، وفر الكثير من أبناء الجنوب الى الاقطار الافريقية المجاورة .

وساءت الحالة بعد ذلك - حتى كانت ثورة مايو ١٩٦٩ م وأعلنت سياستها الواضحة فيما يختص بالاقليم الجنوبي ، وفالت بأن المشكلة لا تحل الا بإعطاء الاقليم الجنوبي الحكم الذاتى الاقليمى تحت اطار السودان الموحد ، وكل ذلك بانفاقية أديس أبابا فى ٢٧/٢/١٩٧٢ م . وتوقف اطلاق النار وبدأت أفواج اللاجئين تندفق من الغابة ومن الاقطار المجاورة - ومن ثم بدأت معركة البناء فى الاقليم الجنوبي .

### ٣٣ قبيلة و ٣٣ لهجة مختلفة

لفت نظرى فى حديث روت أجن مارواه لى من ان المديرية الاستوائية تضم ثلاثة وثلاثون قبيلة لها لهجاتها ولغاتها الخاصة المتداخلة . . وقال لى : أن اللغة العربية تسود كلغة تخاطب بين الكثير من السكان الذين بلغ عددهم طبقا لآخر احصائية ١٩٧١/٧٠ مليون وثلاثمائة وستة وثلاثون ألف نسمة . كما تسود اللغة الانجليزية بين قطاع المثقفين . . وإن كانت اللغة العربية هى السائدة الآن بالمندارس بعد توحيد المناهج وتعرينها .

وقبائل المديرية الاستوائية خليط . متنوع ترجع أصوله الجنسية الى عنصرين أساسيين هى العنصر السودانى والعنصر النيلي وهناك عنصر ثالث جاء نتيجة للاختلاط بين هذين العنصرين هو العنصر (النيلي - الحامى) الذى

يمكن ان نعتبره من الاقسام الكبرى . الآن بالاقليم الجنوبي - وهذه الاقسام الرئيسية الثلاثة لها بذورها أقسام داخلية متعددة .

وهناك أوجه نلتشابه واضحة بين النيليين والنيليين الحاميين - منها التشابه الثقافي في التركيبات اللغوية ومنها التشابه في حرفة الرعى التي يعتمدان عليها أساسا . ومن الصفات الشكلية المنيلي طول القامة وسواد البشرة والملاحظة النسبة اذا قورن بالزنجي النقي . ويمكن ان نقول ان العنصر (الزنجي) هو العنصر الأصلي في حوض النيل لانه دخل افريقيا مبكرا جدا وقد اختلط بالعنصر الزنجي النيليون وانصاف الحاميين فكونا سلاطين مختلفتين كما ان هناك بعض الشبه بينهما غير اننا نجد أن نسبة الدماء الحامية هناك في انصاف الحاميين أعلى منها في النيليين - كما أن انصاف الحاميين يمثلون زمينا هجرة أحدث من النيليين .

والقبائل النيلية تسكن مديرتي بحر الغزال وأعلى النيل مثل الدينكا والشلك والنوير - وهناك قبيلة نيلية تسكن المديرية الاستوائية هي قبيلة الاشولي والقبائل النيلية موجودة بكثرة وبصورة شبه متصلة في المنطقة بين خطي عرض ١٢° و ١٢° شمالا بحوض النيل .

### العنصر النيل الحامي (انصاف الحاميين) :

هم رعاة بقر في الغالب مثل النيليين ويتواجدون بداخل وخارج السودان في اثيوبيا ، كينيا وأوغندا وحتى نيجيريا - وهذه القبائل ليس لها ميزات واضحة في شكلها العام ، فلونهم يتدرج من البني الغامض الى الاسود مع وجود بعضهم بالون الذي تشوبه الحمرة قليلا ، وهم يتميزون بالطول والوجوه الطويلة وهذه المجموعة من القبائل تتكلم لغات شبيهة ببعضها البعض الى درجة كبيرة وقد قسم هؤلاء الى ثلاثة أقسام حسب العلاقات بينهما فالحاضر نيليون في السودان يقطن معظمهم المديرية الاستوائية - وينتمي معظمهم الى المجموعات الشمالية . والحكايات التي تتكلم عن المكان الذين أتوا منه باهتة - ولكن هناك رأي سائد يقول انهم قدموا من المنطقة الجبلية الواقعة بين السودان وأوغندا شرق بحر الجبل ولا يعرف بالضبط التاريخ الذي حضروا فيه .

### والمجموعات الشمالية منهم تضم

الباري المنداري ، النياقباري والبوجلو ، والكاكوي والكوكيو ، والنيابيو واللوكونيا ، واللولوبا ، واللاتوكا واللوبايت واللانغو ، وبالإضافة الى بعض الاقليات التي تعتمد على الصيد ويسمون الليكو .

وتتواجد مجموعات الباري واللاتوكا في حوض بحر الجبل والباري لغة خاصة وان كان بينها وبين الدينكا بعض التشابه وأرضهم سهلة وخصوصا في

القسم الشرقى منها تتخللها بعض المرتفعات لايزيد ارتفاع أى منها على ١٥٠ متر فوق سطح البحر ، كما توجد بمنطقتهم بعض الاودية الضحلة .

والاصل فى البارى انهم رعاة مواشى - وأغلب غذائهم مشتق من الالبان وقليل ما يأكلون اللحوم ويزرعون الذرة والسمسم - ومساكنهم ولعظم سكان الاقليم الجنوبي فى الارياف يتكون من سقف من القش محمول على روافع أو اعمدة خشبية ، وتعيش الاسرة الواحدة غالبا فى مسكنين وهذا بخلاف مسكن ثالث للماشية .

والنظام الاجتماعى للبارى قائم على انقسامهم الى عشائر منفصلة . . ولا يجوز الزواج داخل العشيرة الواحدة ، ولهم نظام طوطمى ، فلكل قبيلة طوطم خاص ، قد يكون حيوانا أو جمادا ، كما نلاحظ أن لهم نظاما طبقيا عبيدا أو خدما ، بل تعتبر طقات لها حرف تنظر اليها الطبقة العليا بشيء من فمجتمع لبارى فيه طبقة عليا وطبقة دنيا - ولكن الطبقات الدنيا لايعتبرون عدم الاحترام ومن تلك الحرف الحدادة وصيد النهر أو البر والطب وهى الحرف المغايرة للرعى بصفة عامة - وقد زالت بعض هذه الفوارق الآن .

ومن أهم زعماء البارى زعيم المطر أو صانع المطر وهو الرئيس الاعلى والحكم فى المنازعات وهو اعلى منصب .

وللبارى أيضا نظم خاصة بالزواج والمهر وقيمته ، والمهر عند البارى أقل منه عند الدينكا ومتوسطه عشر قطع من الماشية توزع بين والد العروس وأمها والعم .

ومن حيث العقائد الدينية يؤمنون بوجود اله للسماء وآخر للارض ، اله السماء هو الذى خلق العالم وهو الذى يرسل المطر ، والاقرب الى اناس هو اله الارض ويتمثل فى ارواح السلف . هذه صفات خاصة بقبائل البارى والمندارى وكل القبائل التى تسكن شرق بحر الجبل من انصاف الحاميين .

أما القسم الثانى من انصاف الحاميين انشماليين فهم متواجدون الى الشرق من البارى ، وهم اللوكويا واللاتوكا وغيرهم وهم قريبون جدا فى شكلهم ونسبهم من البارى ، ويسكنون مناطق أكثر ارتفاعا من تلك التى يسكنها البارى ، كما أنها من أغنى البقاع الافريقية وأجملها بمناظرها الطبيعية ونباتها الكثير الخضرة ومناخها الأكثر اعتدالا وهم ينقسمون الى عشائر طرطمية ولديهم اعتقاد بانتقالهم بعد الوفاة الى جسم الحيوان الذى يؤمنون به كطوطمهم لهم . وقد يكون هذا الطوطم الفيل أو التمساح أو القرد أو النمل الابيض أو الثعبان ، وأقوى العشائر ماكان التمساح طوطمها وصانع المطر يكون عادة منها .

والفروع الشمالية للبارى وخاصة الشير اختلطت الى حد بقبائل الدينكا وأصبحت أشبه بمرحلة انتقال بين انصاف الحاميين وانيليين .



أما القسم الثالث من أنصاف الحاميين فيشمل اللاتوكا واللاتنكو .

أما القبائل الحامى نيلية الوسطى فهي تمثل فى السودان بقبائل ( التبوسا ) و ( الدونيرو ) و ( الجى ) و ( التوركانا ) ومن هذه القبائل فان قبيلة التبوسا تسكن كلها داخل السودان فى السهول التى تقع الى الشمال من جبال الديدنقا . أما قبيلة ( الجى ) فانها تمثل فرعا صغيرا من القبيلة الكبيرة التى تعيش فى الشمال الشرقى لاوغندا . أما ( الدنيرو ) فهي فرع من قبيلة التبوسا ولكنهم انفصلوا عنها وهاجروا الى الشرق ولهذا كانوا فى فترة من الفترات تحت سيطرة الحكومة الاثيوبية . أما قبيلة التوركانا فان أصلهم من شمال غرب كينيا ولكنهم فى فصل الصيف يعبرون الحدود السودانية .

كل هذه القبائل لها لهجات ذات صلات وثيقة مع مجموعة التيسو وهي مشابهة لللهجات التى تتكلم بها التيسو فى شرق أوغندا .

ومعظم القبائل الحامى - نيلية رعاة الا أن قبيلة التبوسا تعتمد اعتمادا كبيرا على الزراعة وهم الوحيدون الذين لديهم قرى ثابتة ومشيدة تشييدا جيدا .

### العنصر السودانى

هم من الزنوج النقاة - وهم منتشرون فى حوض نهار الويل وأمبوبو فى أعالي الكنفو . كما يتواجدون فى أعالي بحر الغزال .

والمجموعة التى تهمننا هنا هى التى تسكن الجنوب الغربى من المديرية . ومعظمهم مناطق سكناهم يبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر نحو ٥٠٠ مترا . وواضح فى هذه المجموعة بعض المؤثرات الغزمية من استدارة الرؤوس ولون البشرة النحاسى الداكن والقامة المتوسطة الطول ، كما أن لهم مجموعة من اللهجات المتقاربة ذات الاصل الواحد .

ومن الفروق الواضحة بينهم وبين جماعة النيلين وأنصاف الحاميين أنهم يشتغلون بالزراعة ، بعكس الآخرين الذين يعتمدون على الرعى ، كما أنهم يرتدون الملابس ويحتقرون العرى والعراة .

وأهم القبائل فى هذه المجموعة هم « الزاندى » ، يتكونون من عدة قبائل - منها :

النودقوسيرى ، مجموعة الموريومادى والبنقوباكا والمكركة ، ومجموعة المنبتو . وهذه المجموعات ليس لها مناطق محددة ولكنها متداخلة فى بعضها البعض ، وأن معظم هذه المجموعات تعيش خارج السودان ماعدا البنقو الذين

يعيشون فى منطقة التونج ، والذين تقطن منهم جماعات صغيرة فى الكونغو قرب الحدود .

وتاريخ هجرة هذه المجموعات الى السودان غير واضحة ولكن فى الغالب أن هذه القبائل جاءت من جهات الغرب والجنوب فى شكل موجات أنحصرت فى هذه المنطقة الموبوءة بذبابة التسي تسي .

ومجموعة الزاندى تمتاز بخفة الحركة ومتانة البنية وذلك فان قدرتهم على العمل طيبة . وهم يعدون من أذكى سكان أفريقيا جنوب الصحراء ويميلون الى النظام والطاعة . . . . . ونهم مهارة واضحة فى الاعمال اليدوية . ومن ذلك مهارتهم فى صناعة الحراب والاسنة وكانت من عوامل تقدمهم نحو الشرق . وهم يهتمون بالنظافة فى حياتهم ومعيشتهم ويستطيعون اعداد مساكن واسعة مزينة بالالوان أحيانا من الداخل .

وهم مزارعون بطبيعتهم ولكنهم يجهلون تسميد الارض ولذلك فانهم يتركون الارض بعد محصولين أو ثلاثة ثم يعودون اليها بعد عدة سنوات .

والنظام الطوطمى والطبقى موجود بينهم ، والملك أو الشيخ يكون من الطبقة العليا وهو الزعيم ويرثه أبنة الأكبر .

أما العبادة أو الديانة فهى بسيطة اذ أن معظم ما لديهم منها يذو حول السحر والشعوذة ، ومع أنهم يعترفون بالالة الا أنهم قليلا مايشيرون اليه ، فمعظم إبتها لاتهم هى الى أرواح السلف .

### طرق المعيشة والنشاط البشرى

لاحظت أن سكان المديرية الاستوائية يعتمدون أساسا على حرفتين ، هما الزراعة والرعى . . . . . وتنتشر الزراعة بكثرة عند سكان الجزء الجنوبي الغربى من المديرية . وخاصة عند مجموعات قبائل الزاندى ، وذلك لانعدام الحيوانات الأليفة فى هذه المنطقة لانها موبوءة بذبابة التسي تسي ، ونجد الزراعة أيضا فى مساحات صغيرة فى الاجزاء الاخرى من المديرية ولكن ليست الحرفة الرئيسية عندهم .

أما الرعى فهو الحرفة الرئيسية الثانية - وهذه نجدها منتشرة بكثرة فى الاجزاء الشمالية الشرقية والاجزاء الوسطى وهم رعاة بقر فى الغالب ، فهذه المناطق قليلة الاشجار والحشائش العالية اذا ماقورنت بالمناطق التى تنتشر فيها الزراعة ، كما أنها تخلو من ذبابة التسي تسي .

وخير مثال للقبائل التى تمثل هذا النوع من النشاط ( الرعى ) هم انصاف الحاميين مثل البارى والمندارى واللاتوكا .

وهؤلاء وأولئك يمارسون حرفة الصيد فى الغابات والسهول كما أنهم يصطادون السمك بدرجات متفاوتة . كما ان أعدادا منهم تعمل فى المدن كعمال أو موظفين وخاصة فى مدينة جوبا ويأى وإزارا وغيرها .

تعتمد معظم هذه المناطق على الرعى - والزراعة متوفرة بجانب الرعى - والزراعة بوصفها القديم لم يكن لها دورة زراعية ( حتى أواخر القرن التاسع عشر ) ولم تحاول الاستعانة بالاسمدة لتجديد خصوبة الارض ، مما كان يترتب عليه ترك الاهالى لارضهم كل بضع سنوات لينقلوا الى أرض جديدة - وأهم الغلات التقليدية هى الدخن والذرة ، كما يوجد الفول السوداني والسمسم والبفرة والتيلبون . وهذه المحاصيل والغلات تزرع فى مساحات ضيقة للاكتفاء الذاتى . وبمرور الزمن بدأت هذه الطريقة تتغير تدريجيا الى الطرق الحديثة ، وان كانت تمارس حتى الان وسط الغابات .

تنقسم الثروة الحيوانية هناك الى شقين برية ومائية منها الالف والموتوحش فى المديرية الاستوائية، فالحيوانات الالفية : الابقار والماعز والضأن ولدواجن ، أما الحيوانات البرية بالاستوائية فهى : الافىال والجاموس وحيوانات أخرى .

وبالنسبة للثروة السمكية فان مساحة المياه تقدر بحوالى مليون هكتار مربع ، ويقدر انتاج الهكتار المربع الواحد بحوالى ٤٠ كيلو جراما سنويا وهذه المساحة تشمل بحر الجبل والنيل الابيض من بحيرة نوالى الرنك ونهر السوبات وبحر الغزال ثم المستنقعات والروافد .

والتوزيع الجغرافى للماشية فى المديرية كالاتى : قبيلة التبوسا تملك حوالى ٧٠٪ من ابقار وضأن التبوسا وتليها قبائل اللاتوكا ، والاشولى والديدنقا ثم المندارى . وعموما فان هذه الثروة تتركز فى منطقة كبويتا ثم توريت . وابقار قبيلة التبوسا من نوع الزيبو وهى أقل حجما من مثيلاتها فى شمال البلاد - أما الضأن فطابعه صغر الحجم مع قلة الانتاج وقصر الذيل .

ليس هناك فائدة تجارية ترجى من الابقار الآن ، وذلك نظرا لعدم ميلهم الى ذبحها ، الا بعد أن تبلغ اذل العمر ، وكذلك لعدم مهارتهم فى استخدام منتجات الالبان .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه ان لحوم ابقار هذه المنطقة - أجود للغذاء من الابقار لدى قبيلة البقارة ذاتها ، هذا اذا وجدت عناية خاصة . والواقع أنهم فى اعتنائهم بالحيوانات يعتمدون على الفطرة فحسب ، ولا تقوم رعايتهم لها على أسس علمية . وان أفضل العجول التى تولد من البقر السليم المدر للبن تحفظ للتوليد واللقاح ، على أن تخص باقى العجول ، ولكن يسمح للابقار جميعها بالولادة .



والقبائل التي تربي الإبقار هي بالنسبة لها كل شيء فبجانب قيمتها في إنتاج الألبان ، فإنها تلعب دورا هاما في المهور عند الزواج وإن كان العدد الذي يدفع هنا في الاستوائية أقل بكثير من مثيله عند القبائل النيلية كالدينكا والنوير والشلك في أعالي النيل .

وعندما تكون الأراضي في حيازة القبيلة ، ويكون قطع الإبقار مملوكا ملكية خاصة ، فليس هناك فرد يرضى بأن يقلل من مواشيه أو قطعانه ، كما أنه ليس من اليسير تخطيط نظام عادل للحد من التوسع في تملك القطعان . ولهذا كثيرا مانجد المشاكل تنتج بين القبائل بسبب المرعى .

والثروة الحيوانية في المديرية الاستوائية تعاني من مشاكل كثيرة أبرزها عدم كفاية الرعاية الصحية .

وتعتبر مصادر العيش في طول المنطقة وعرضها الرعي والزراعة وصيد الأسماك - أما الصناعة بمعناها الحديث فإنها تكاد تكون معدومة في المديرية الاستوائية اللهم إلا إذا استثنينا الصناعات البسيطة التي نجدها مرتبطة بالزراعة ، وحتى هذه فإن ظروف الأمن في السابق كانت ذات أثر كبير في توقف أو عرقلة سير الكثير منها .

وأعل الحديث عن بداية الصناعات في الاستوائية يقودنا إلى عام ١٩٤٦ ، عندما بدأت فكرة تنفيذ مشروع الزاندي ترى النور . والذي كان يرمي في المقام الأول إلى الاستفادة من الثروات الطبيعية لتحقيق الاكتفاء الذاتي بقدر الامكان حتى يمكن تجنب استيراد أكثر السلع من الخارج - وإن يقتصر

على الأشياء التي لا يمكن صناعتها محليا .

وقد بدأ العمل في المشروع عام ١٩٤٦ . وبحلول عام ١٩٥٠ كان المشروع قد أنتج القطن قصير التيلة . . وكذلك بدأت زراعة الحبوب الزيتية - وقد صدر محصول القطن للخارج قبل تركيب مصنع النسيج بانزارا . ثم استخدمت الاقطان بكثرة بعد ذلك في إنتاج الديمورية - كما أنتجت المصانع زيت البذرة والصابون - فضلا عن إقامة مصنع لإنتاج السكر الأحمر وقد أنتج عدة أطنان عام ١٩٥٣ . وكانت البضائع المنتجة محليا لاتجد منافسة من البضائع المستوردة لأنه ليس هناك رسوم تضاف إلى تكاليفها .

والمشروع رغم المشاكل التي أعترضته ، فقد كان بداية لقيام نهضة صناعية حديثة لإبناء الجنوب ومعلما في الطريق .

والشأن من المحصولات التي يمكن أن تنتج في المديرية الاستوائية . وزراعته محصورة في مركز ياي ويزرع الآن في مساحة صغيرة جدا - وهناك مصنع بياي لتصنيع الشاي ( أي تخميره وتجفيفه في هيئة البيع ) ، كما أن هناك خطة لزيادة المساحة المزروعة .

أما بالنسبة للتبغ فقد كان يزرع توريدت ، مريدى وياى وقد بلغت المساحة المزروعة تبغا حوالى ٣٠٠٠ فدان ، كما كانت توجد مصانع للسجائر بجوبا . ولكن نتيجة لحادث التمرد فان زراعة هذا المحصول النقدي الهام توقفت حتى جاءت اتفاقية السلام ، مما نتج عنه ترحيل مصنع السجائر الى الخرطوم لانتاج سجائر البرنجى والشامبيون .

وبما ان الاحوال قد استقرت الان فان الامل معقودة على المزارعين بمساعدة مكتب الزراعة بالمديرية لانتاج هذا المحصول النقدي ، وعودة مصانع التبغ الى حالتها السابقة . ويجرى العمل الان لاعادة تشغيل مصنع السجائر لانتاج سجائر البرنجى والشامبيون بمدينة جوبا خاصة بعد اعادة تنظيف وزراعة مزارع التبغ .

صناعة الاخشاب : بما أن المديرية الاستوائية غنية بأنواع كثيرة من الاخشاب القوية - فان قسم الغابات بالاستوائية يعد من أكبر أقسام الغابات ومن أهمها .

ويقوم ( قسم الانتاج ) بانتاج الاخشاب المنشورة لعمل الموبيليات واحتياجات المباني السكنية وخطوط السبك الحديدية والكبارى .

#### المعادن :

يوجد الحديد فى حوض بحر الجبل ، ولكن الاستفادة منه غير ممكنة على الاقل فى الوقت الحاضر ، للتكاليف الباهظة اذا اريد ترحيله . كما ان المنطقة لا يوجد بها فحم حجرى لصهر هذا الحديد .

هذا ويمتاز سكان هذه المديرية والزندى على وجه الخصوص - بالنحت ، سواء اكان ذلك من العاج ( أى سن الفيل ) أو الاخشاب القوية كالابنوس - وهذه الصناعات تجد رواجاً عند السياح ، لما فيها من روعة وتصوير لحيوانات وانسان الغابة . التجارة فى سن الفيل لها رواج عالمى ومنطقة الاستوائية من المناطق الغنية فى العالم بالافعال .

وعلى العموم فان الصناعة فى الاستوائية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالزراعة فاذا قامت مشاريع زراعية كبرى ، فان مشاريع صناعية كبرى سوف تصحبها وخاصة فى المنتجات التى تختص بها هذه المنطقة الاستوائية كالاخشاب القوية والشاى والتبغ والارز وما شابه ذلك .

والآمال المعقودة كبيرة فى تنفيذ كل ذلك ، بعد أن عادت الحياة الى مسيرتها الطبيعية فى إقليم البلاد الجنوبى .

التجارة : بما أن معظم سكان الاستوائية يعتمدون على الرعى والزراعة

بوضعها القديم - أى الزراعة فى مساحات ضيقة وبطريقة بدائية بغرض الاستهلاك المحلى فاننا ، نجد الحركة التجارية فى المديرية راكدة اللهم الا بعض اسواق المدن الكبرى مثل جوبا وانزاراويى وغيرها حتى نجد فيها البضائع المستوردة أو القادمة من شمال القطر .

والمديرية الاستوائية تعتمد اعتمادا كليا على الشمال فى المواد التموينية الغذائية ، حيث أن المواطنين كما ذكرنا ٠٠ لا ينتجون مايكفى حاجتهم طوال العام ، وعليه كان لابد من جلب مواد اضافية من الشمال لسد الحاجة .

وكمثال لذلك فانه يتم جلب حوالى ٢٥٠ر٠٠٠ جوال ذرة سنويا . والمنطقة الوحيدة التى تنتج انتاجا زراعيًا يكفى حاجتها هى كويتا . الامر الذى عرقل الكثير من مشاريع التنمية والانشاء نسبة لانشغال وسائل النقل فى نقل المواد التموينية .

ولعل المشكلة التى تسبب كثيرا من المضايقات فى هذه المديرية هى عدم توفر اللحوم والخضروات ، نسبة لتكاثف السكان داخل المدن ، فقد قل أو انعدم امكان مد الريف للمدن بالخضروات .

### السياحة . . والصيد

اذا نظرنا الى مقومات المديرية الجنوبية السياحية عامة فسنجد أنها متعددة ، ومتنوعة ، فهناك الحياة القبلية التى تعكس عادات أفريقيا وتقاليدها ، وهناك الفلكلور الشعبى ، والمصنوعات اليدوية وخاصة الخشبية منها والعاجية ولكن أهم جاذب سياحى لجنوب القطر هو الكمية الهائلة من الصيد التى تعيش فيه ، والذي جعل منه البقعة المثالية لهواة الصيد ، والتصوير . كما أن السياح يمكن أن تمتد زيارتهم من الاقطار المجاورة .

والذى جعل المنطقة غنية بالصيد انها تتمتع بغابات كثيفة تتخللها سهول خضراء ومستنقعات وجبال عالية تنحدر منها شلالات مياة النيل الخالد . فى هذه المنطقة تقطن أنواع كثيرة من الغزلان - وهناك أنواع كثيرة من حيوانات الصيد والطيور - منها الافعال ، والفهود والاسود والجاموس والزراف ووحيد القرن الابيض . كما توجد بالجنوب أنواع رائعة من الطيور منها طائفة أبو مركوب الذى انقرض فى جميع انحاء العالم ماعدا جنوب البلاد - ويوجد القرونق وأبو منجل والحبارى والقمرى وهناك أنواع من حيوانات الصيد قلما توجد فى بلاد غير السودان ، مثال ذلك : البقر البرى من نوع اثلاندا الاكبر وغزال البونقو وغزال النيل العوام والقلق الابيض ، وحمراوية تيتل .

وجوانب الجنوب السياحية أكثر قابلية للاستفادة من جميع الجوانب .



حسب التقديرات فان عدد بعض الحيوانات بالاستوائية كالآتى :

الافئال : ١٠٠٠٠٠٠٠

الجاموس : ٣٠٠٠٠٠٠٠

حيوانات أخرى : ١٠٠٠٠٠٠٠

### نصر الشعب السودانى كله

قبل أن اغادر جوبا عائدا الى الخرطوم أصر هنرى لوقالى محافظ المديرية على ان يسمع رأى فيما رأيت وسمعت . .

وقلت : قبل أن اصل الى هنا . . زرت ملكال والناصر واكوبو والبيبور وتقريبا كل مناطق اعالي النيل وما رأيت في هذه المناطق يؤكد النجاح الساحق الذى حققه الشعب السودانى فى اتفاقية أديس أبابا . وهذا الاتفاق هو نصر للشعب السودانى وكما قال الرئيس نميرى فليس لاحد ان يقول ان هذا النصر ملك له لانه من عرق الشعب السودانى ومن معاناته ولذلك فهى ليست نتيجة نميرى أو أبيل أليز أو الجنوب أو الشمال . . هذه هى الحقيقة التى يجب ان يفهمها الجميع داخل السودان وخارجه لقد برهن الاتفاق على ان السودان واحد وسيظل واحد والى الأبد بأذن الله . . ان هناك أشياء قومية عديدة تؤكد وحدة هذا الشعب ، أبرزها فى رأى قوات الشعب المسلحة التى أصبحت واحدة ثم سقوط جدار الخوف بحيث أصبح الجميع اخوة فى حقوق المواطنة . . يستطيع كل سودانى ان يعمل فى أى مكان فى السودان بلا خوف . . لقد رأيت الجنوبى يعمل فى الشمال بلا خوف وبلا حساسية وهذه ظاهرة صحية لم يكن من السهل تحقيقها فى ظل النظرة الضيقة التى عالجت من خلالها الحكومات الحزبية مشكلة الجنوب . . واذا كان لى من تعقيب آخر فهو ضرورة اليقظة والتنبه للضرب بيد من حديد على كل من يحاول النيل من هذا المكسب الكبير .

وقال لى هنرى لوقالى : أطمئن فالشعب قادر دائما على حماية مكاسبه مادام مقتنعا بها . . لقد حلت المعادلة الصعبة .



## **الباب الرابع**

**الرهان الاسرائيلي على جنوب السودان**





كانت العاصمة الاثيوبية « اديس ابابا » تشهد دورة انعقاد غير عادية لمؤتمر القمة الافريقى فى مايو ١٩٧٣ . . المناسبة فى هذا التاريخ كانت مزدوجة :

● دورة الانعقاد العادى لمؤتمر القمة الافريقى والذى تميز عن غيره من المؤتمرات الاقليمية بالانتظام .

● ثم الاحتفال بمرور عشر سنوات على قيام منظمة الوحدة الافريقية .

الا أن قمة اديس ابابا الافريقية فى سنة ١٩٧٣ كانت متميزة عما سبقتها بسمات لها دلالتها :

أولا — انه كان التجمع الافريقى الاول الذى اجمع على ادانة اسرائيل بينما كانت الادانة فيما سبق لاتصل الى حدود الاجماع ، بل ان التحفظات ايضا كانت مطروحة كما حدث فى مؤتمر القمة الافريقى بالرباط سنة ١٩٧٢ .

ثانيا — ان الادانة الافريقية لاسرائيل كانت مقرونة هذه المرة بحركة افريقية ايجابية ، تمثلت فى قطع عدد من الدول الافريقية لعلاقتها مع اسرائيل بالاضافة الى قرار « بأن تكون المقاطعة لاسرائيل على مستوى القارة اذا ما واصلت اصرارها على احتلال الاراضى العربية المحتلة » .

ثالثا — كان القرار المطروح فى قمة اديس ابابا والذى اجيز بالاجماع فيها بعد يقول بأن اسرائيل تمارس عدوانا على القارة الافريقية باحتلالها اجزاء منه « صحراء سيناء فى مصر » وان التحرك الافريقى ينبغى ان يتجاوز فى مرحلة لاحقة حدود المقاطعة الدبلوماسية الى التحرك الايجابى لانهاء الاحتلال الاسرائيلى عن ارض افريقية .

رابعا — كانت هذه هى المرة الاولى التى تمتنع فيها الحكومة الاثيوبية عن دعوة السفير الاسرائيلى فى اديس ابابا لحضور الجلسات المفتوحة فى المؤتمر . كما كانت المرحلة الاولى التى يتجاوز فيها الموقف الاثيوبى فى ذلك الوقت المساندة اللفظية للقضية العربية لاتخاذ اجراء مهما بدأ شكليا الا انه كان بادرة خطر على العلاقات الاسرائيلية الاثيوبية .

ولقد كانت قمة اديس ابابا الافريقى عام ١٩٧٣ هى بداية النهاية للنفوذ الاسرائيلى فى القارة على حد وصف احد القادة الافارقة كما أن مداولات المؤتمر عبر جلسات العمل العشرة كانت قد ركزت بصورة خاصة على صور النشاط الاسرائيلى فى افريقيا وعلاقته بالمواجهة العربية الاسرائيلية وبالرغم من التكتّم الشديد الذى أحيط بهذه المداولات الا أن

بعض الوثائق الهامة كانت قد تسربت وهى تدور حول مخطط اسرائيلى مزدوج كان يجرى العمل على تنفيذه بالفعل .

### ماذا تقول الوثائق ؟

كانت الوثائق تتضمن مخططات اسرائيل الاستراتيجية للعمل المتكامل فى الشرق الاوسط وأفريقيا . وبالرغم من أن ما تسرب من هذه الوثائق لم يكن شاملا لكل تفاصيل الاستراتيجية الاسرائيلية فى الشرق الاوسط الا ان « الكم » الهائل من التفاصيل حول استراتيجية اسرائيل ومخططاتها التفصيلية حول جنوب السودان على وجه الدقة كان حافلا ومثيرا .

فيما يتعلق بالشرق الاوسط فلقد كان المخطط الاسرائيلى يضع الخطوط الرئيسية الآتية كموجهات للحركة فى منطقة الشرق الاوسط فى ذلك الوقت المبكر من صيف ١٩٧٣ أى قبل حرب أكتوبر باربعة أشهر على وجه التقريب . ولقد كانت موجهات الحركة كما كشفت عنها الوثائق فى قمة ادريس ابابا الافريقية كما يلى :

أولا — العمل المكثف على تكريس حالة « اللا سلم واللا حرب » فى الجزء الساخن من منطقة الشرق الاوسط وذلك عن طريق افتعال بؤر بديلة ساخنة داخل المنطقة ولكن على ان تكون هذه البؤر بعيدة عن مركز الصراع العربى الاسرائيلى .

ثانيا — العمل على انهاء الاستقطاب الحاد للقوتين الاعظم بالنسبة لمشكلة الشرق الاوسط بشكلها الراهن حتى يأخذ الاستقطاب شكلا تتمدد فيه القوى بما يتيح تفتيت الضغط الذى تتعرض له اسرائيل .

ثالثا — ان تكون البؤر الجديدة بحكم حساسية الاوضاع داخلها وبحكم تداخل المصالح الدولية المتمركزة فيها قادرة على تشتيت أى جهد يحاول الانفراد بحل المشاكل الطارئة التى تواجهها ، كما تكون قادرة وفى نفس الوقت على أن تسحب الاهتمام الدولى والمحلى عن الساحة الراهنة للصراع العربى الاسرائيلى .

رابعا — يشترط فى البؤر الجديدة ان تكون على المدى القريب والبعيد هى الاحتياطى الأكبر والاقدر على دعم صمود الكيانات المتماصة مباشرة مع اسرائيل ، وبحيث أن يستهدف التحرك الاسرائيلى العمل على وضعها فى مواقف الدفاع عن كيائها المباشر بحيث تفقد أى قدرة على القيام بتقديم أى دعم للطرف العربى فى صراعه مع اسرائيل .

خامسا — أن نوع الحركة المطلوبة وحجمها ومداهما سواء فى مراحل التمهيد أو مراحل التنفيذ يجب أن تستقطب « كما » غير محدود من موارد هذه البؤر الامر الذى يقلل مرة أخرى من امكانية قيامها بهذا الدعم .



♦ ♦ ولقد كانت مبررات هذا التحرك الاسرائيلي كما كشفت عنه وثائق قمة اديس ابابا الافريقية السرية يرتبط أولا بمناخ الوفاق الدولى والانسحاب المتدرج للولايات المتحدة من فيتنام وتفرغ الاتحاد السوفىيىتى لمواجهة مشكلة الشرق الاوسط بالاضافة الى الحد من فاعلية السلاح السوفىيىتى والذى وصفته الوثائق الاسرائيلية بأن كفاءته كفاءة « كمية » لا نوعية . وبالرغم من أن الوثائق التى تم تداولها فى قمة اديس ابابا الافريقية لم تكشف بالوضوح الكافى عن مسار التحرك الاسرائيلي ومدااه الا انه كان مفهوما بأن البؤر المقصودة هى منابع البترول العربى وأن الاستراتيجية الاسرائيلية تعمل على نقل الصراع العربى الاسرائيلي من مواقعه الحالية الى موقع جديد بالاضافة الى ضم اطراف جدد اليه . كذلك فان الوثائق لم تؤكد ولم تنف اذا ما كان المقصود بهذا الانتقال أن تقوم به اسرائيل أو توصى به لكيانات دولية أخرى أو حتى تشارك فيه معها الا انه كان واضحا رغم ذلك بأن اسرائيل لا تخطط بمفردها كما انه ليس من المتوقع أن تتحرك بمفردها وان دورها فى كل الحالات هو المشاركة من موقع الظل .

♦ ♦ والمثير فى أمر هذه الوثائق والتى كشفت النقاب عنها جزئيا فى هذا الوقت بل تم تداولها بين الأطراف المعنية فى المنطقة فيما بعد لم تثر أى ردود فعل عربية الا فيما بعد حرب أكتوبر بمضاعفاتها المعروفة .

♦ ♦ وقد يكون من الانسب أن نتناول بشيء من الإيجاز بعض السمات الرئيسية التى تميزت بها الحركة السياسية فى منطقة الخليج فى الفترة من مايو ١٩٧٣ وما قبله الى أكتوبر ١٩٧٣ وما بعده والتى كانت على النحو التالى :

- ١ — أن منطقة الخليج عايشة بالفعل مرحلة تهديد تمثل فى شكل احتكاكات على النطاق الاقليمى اتخذت فى بعض المراحل شكل التحرك المسلح .
- ٢ — أن المنطقة عايشة ومنذ هذه الفترة مرحلة استيعاب نهم للسلاح ومن شتى المصادر وبكميات هائلة وبنوعيات متطورة .
- ٣ — أن منطقة الخليج انشغلت لبعض الوقت بما فى داخلها أكثر من اهتمامها بما فى خارجها . بل لوحظ ما هو أخطر من ذلك أن أية مبادرات للحركة لمجابهة واقع الاحتلال الاسرائيلي للأرض العربية المحتلة كان يقابله وفى « صدف » متكررة قرقعات كبيرة داخل منطقة الخليج وهى قرقعات بعضها كان ينبع من الداخل وبعضها كان يتحرك بتأثير القوى الملاحقة لها وبعضها الآخر كان ناتجا عن تحرك غير متكامل وغير متوازن بين أجزائها وذلك اذا استبعدنا تعبير التلميح بالصدام .
- ٤ — فيما بعد حرب أكتوبر اتخذ مسار الأحداث فى الخليج العربى صورة أكثر وضوحا ولعله ليس من المطروح أن تكون الصدمة مرة أخرى

هى التى بلورت الدور البالغ الاهمية والخطورة للبتروى العربى فى حرب اكتوبر وما بعدها تلك البلورة التى واكبها وعلى الفور حملة التهديدات باحتلال منابع النفط فى الخليج بل وفى كل المنطقة العربية وذلك اذا وضعنا فى الاعتبار أن تضخيم هذا الدور وقصره على بتروى المنطقة العربية دون سواها كان مصنوعا من جانب ذات القسوى التى لوحت بإمكانية احتلال منابع .

### مخططات اسرائيل لجنوب السودان

♦ ♦ واذا كانت الوثائق قد تعرضت بالتلميح لمنطقة الشرق الأوسط فانها تعرضت بالوضوح بل والانفاضة فيما يتعلق بالتحرك الاسرائيلى بالنسبة لجنوب السودان والتى حددت الاهمية الاستراتيجية لهذا الجزء من افريقيا على النحو التالى :

أولا : انه الكيان المؤهل من وجهة النظر الاسرائيلية الآن يكون الكيان الفاصل بين افريقيا الافريقية وافريقيا العربية .

ثانيا : انه الكيان غير المؤهل من الناحية الموضوعية لا للذوبان فى كيانات افريقية غير السودان بسماته العربية ولا هو قادر على البقاء ككيان مستقل لاعتبارات تتعلق بموارده الاقتصادية وعدم وجود مداخل أو مخارج له عن الخارج ، بالإضافة الى ندرة الكوادر الفنية والادارية القادرة على تحمل أعباء التنمية الذاتية ، فضلا عن تكاليفها الباهظة ، وهو من هذا المنطلق وفقا للاستراتيجية الاسرائيلية مؤهلا لان يكون قاعدة نموذجية لاسرائيل ، تحقق بها الأهداف الآتية :

( أ ) أن تكون اسرائيل بالجنوب كيان عازل بين جنوب الصحراء وشمال الصحراء ، أى بين افريقيا والعالم العربى .

( ب ) أن تكون اسرائيل بالجنوب وفى الجنوب قاعدة للانطلاق داخل القارة ومن موقع ثابت تتوافر له مقومات الاستقرار حيث لا يتأثر بتغيير نظم الحكم أو شخصية القادة .

( ج ) أن تكون اسرائيل بالجنوب تطويقا للسودان وبالتالي مصر .

( د ) أن تكون اسرائيل بالجنوب وفى الجنوب ، قدرة تحكم فى بعض المصادر الأساسية لنهر النيل ، بتأثيره الضخم على الحياة الاقتصادية فى مصر والسودان .

♦ ♦ ثم نتحدث الوثائق بعد ذلك عن مسار الحركة الاسرائيلية لتحقيق هذا الهدف ، وفق خطوات محددة ، بل وفقا لمعادلة يمكن تلخيصها على النحو التالى :

انه مادامت امكانيات الحركة الاسرائيلية قد تضاعفت الى أبعد الحدود

في جنوب السودان بعد توقيع اتفاقية اديس ابابا ، والتي تم بمقتضاها اعلان الوحدة بين الشمال والجنوب فان الانتقال الى شمال السودان من الممكن ان يحقق نفس الهدف .

بعبارة اخرى ان تقويض الوحدة والقضاء على قيام الاتفاقية ، وان استحالة موضوعيا ان يتم من خلال الجنوب ، فانه يمكن ان يتم بحركة محسوبة في الشمال ولكن كيف ؟

### ( مالم تكشفه الوثائق )

♦ ♦ لم تكشف الوثائق الخطة التفصيلية للتحرك الاسرائيلي ، وان اشارت الى مجال الحركة وموضعها ، الا ان العاصمة السودانية شهدت فيما بعد مايو ١٩٧٣ مجموعة من الاحداث التي تصاعدت لتصل الى نهايتها في سبتمبر ١٩٧٣ ، وهي احداث يكفى تسجيلها ، لعلها تثير الى معلومات منها ما تضمنته الوثيقة عن التحرك الاسرائيلي واتجاهه النقاط الرئيسية التالية :

١ — في يوليو ١٩٧٣ شهد السودان سلسلة من الازمات التموينية الحادة والمتلاحقة ، وبالنسبة لبعض السلع ذات الصلة بالاحتياجات اليومية مثل الجاز ، امواس الحلاقة ، البطاريات الجافة ، والتي يشيع استخدامها في السودان بالاضافة الى نقص ملحوظ في كمية المعروض من السكر .

٢ — عملت الحكومة على مواجهة النقص في هذه المواد ، وذلك بطرح كميات متزايدة منها الا ان هذه المواد كانت تختفي فور وصولها ليطل شبح الازمة من جديد .

٣ — حاولت الحكومة الاستفادة من الطائرات التي تشحن لحوم التصدير من السودان الى خارجه وذلك عن طريق شحن هذه الطائرات لبعض السلع ، منها امواس الحلاقة والبطاريات الجافة وبكميات تفوق عدة اضعاف معدلات الاستهلاك المعتادة ، الا ان النقص في هذه السلع بالذات كان يبرز وبصورة ملحة رغم ذلك .

٤ — فوجيء قراء الصحف في السودان يوما ، بخبر عن اكتشاف مساحة واسعة من الارض مشبعة بالبتترول في منطقة سنار في وسط السودان واشارت الصحف بأن هذه الظاهرة دليل لايقبل الشك عن وجود البترول فيها ( لم تلاحظ الصحف ان هناك فروق حادة بين البترول الخام من حيث الشكل والقوام ، والتربة المشبعة بالجاز الابيض ، موضوع الخبر ) .



٥ — اندلع حريق هائل في وسط الخرطوم ، واتضح بعد التحقيق أنه نتج عن صفائح بترول مخزونة في باطن الأرض وأنهما انفجرت بفعل الحرارة وفي نفس الوقت ، نشطت حركة سياسية لعناصر المعارضة داخل السودان وبصورة سافرة ومفاجئة . الغريب فيها أنها قامت تمثل وجوها من الصف الثاني من القيادات الحزبية القديمة ، والاغرب أنه في الندوات التي عقدت والمنشورات التي وزعت فإن التركيز وبغير مناسبة حول جنوب السودان سلبا وإيجابا . كان الحديث يدور حول عدم أهمية جنوب السودان بالنسبة للسودان ، وأنه إذا كان ثمن الاطاحة بنظام الرئيس نمري هو فصل الجنوب نهائيا فلفصل الجنوب ، بل تطرق البعض في حديثه عن الجنوب فطالب بفصله تمهيدا لاعادة فتحه بحد السيف .

كان معروف ان التحرك السياسي النشط والمفاجيء والمكثسوف أيضا أنه تم تخطيطه في إطار متدرج :-

١ — ان يسبقه ويمهد له ، اثاره جو من السخط الشعبي الناتج عن اختفاء السلع التموينية ، ذات التأثير المباشر على المواطنين في احتياجاتهم اليومية ( الجاز — السكر — امواس الحلاقة — البطاريات الجافة ) .

٢ — ان يتصاعد هذا النشاط مع تزايد السخط الشعبي مع الحفاظ على تصاعده ليصل الى الذروة .

٣ — ان يتم التحرك في موعده المحدد في اكثر من اتجاه تحرك سياسي تقوده العناصر الحزبية ، ثم تحرك للتخريب في نفس الوقت ، وهدفه هو استفزاز السلطة لتضرب بعنف ، ليكون رد الفعل عنيفا أيضا وهكذا في سلسلة متكاملة تنتهي بسقوط النظام .

ولقد تم تنفيذ المخطط بالفعل وبصورة دقيقة ، الا ان أحداث سبتمبر ١٩٧٣ في السودان لم تجد تجاوبا شعبيا على الاطلاق وانحسرت في مظاهرات محدودة ، وتحركات للتخريب قمعها المواطنون قبل أجهزة الامن . . الا ان الاحداث وما سبقها اثارت أسئلة هامة وخطيرة حول الامور التالية :

١ — مصادر التمويل بالنظر الى حجمه والذي استطاع ولمدة ثلاثة شهور متوالية على استيعاب الكثير من السلع لا بقصد التخزين وانما بقصد التدمير الكامل ثم قدرته على مواكبة جهد الدولة في مضاعفة المطروح من هذه السلع .

٢ — لماذا الجنوب بالذات والذي كان القاسم المشترك الاعظم للحركة السياسية المعارضة التي سبقت أحداث سبتمبر ١٩٧٣ ولماذا المطالبة علنا بفصله ؟!

٣ - توافر السيولة النقدية لدى الصبية وبعض الوافدين الافارقة والذين يعملون في الاعمال النافهة في أعماق السودان والذين قاموا بدور التخريب في أحداث سبتمبر للحد الذي كانت جملة المبالغ التي ضبطت عند بعضهم يتجاوز الخمسين جنيها .

٤ - من هي الجهة التي تستطيع ان تتحمل اعباء مثل هذه الحركة بتكاليفها الضخمة ، ثم الأهم ، ما هو العائد الذي كانت تنتظره حتى في حالة نجاحها ؟

والعائد هنا هو العائد المالى بصرف النظر عن العائد السياسى ؟  
وهى أسئلة تم الوصول الى اجابة محددة لها ، عندما أشسارت الخيوط المتداخلة الى شخصية سودانية تعيش في الخارج .

**من هو فيليب عباس غبوش ؟**

فيليب عباس غبوش ، سودانى من ابناء منطقة غرب السودان ، كان عضو في الجمعية التأسيسية ( البرلمان ) فيما قبل قيام ثورة ٢٥ مايو ، تاريخه السياسى في تلك الفترة كان متميزا بعدة مواقع ومواقف على النحو التالى :

١ - أنه كان ينتمى لما يسمى كتلة الزنوج الاحرار والتي كانت تسعى لقلب نظام الحكم في السودان بالقوة ، بهدف القضاء على كل العناصر غير الزنجية في مواقع السلطة في السودان .

٢ - أنه في المرحلة التالية كان يطالب علنا بفصل غرب السودان عن الكيان السودانى ، وكون لهذا الغرض منظمة سرية أطلق عليها اسم منظمة سونى .

٣ - أنه النائب الوحيد في الجمعية التأسيسية الذى وقف بعهد حرب يونية ٦٧ ليعارض وحده قطع علاقات السودان مع الولايات المتحدة لتواطئها في حرب الايام الستة ، كما كان هو الوحيد الذى وقف يمترض على تبرع أعضاء الجمعية التأسيسية بمرتب يوم واحد لدعم المجهود الحربى العربى .

♦ ♦ بعد قيام ثورة ٢٥ مايو اختفى فيليب عباس غبوش ، ليظهر بعد ذلك في اسرائيل ، ومن اسرائيل الى الدول الافريقية المجاورة لحسدود السودان الجنوبية ، ولقد استطاعت أجهزة الأمن السودانية ان تحصل على خطابات بينه وبين القيادات الاسرائيلية ، كما استطاعت ان تحصل على مسودة خطاب بخط يده موجه لجولدا مائير ، يطالب فيها بتأكيد مساندة اسرائيل لمنظمة سونى بعد أن يتم فصل جنوب السودان .

♦ ♦ وبعد توقيع الاتفاقية عاد فيليب عباس غبوش الى اسرائيل ، ومنها الى لندن فروما حيث اتخذها مركز الاتصالات .

### كل الطرق تؤدي الى روما

بعد أحداث سبتمبر ١٩٧٣ اتضح أن عناصر التخطيط لتلك الحوادث كانت قبلها على صلة مباشرة بفليب عباس غبوش وأن هذه الصلة كانت لا تتم عن طريق الاتصال المباشر وإنما كانت تتم عن طريق عناصر وسيطة وأن تلك العناصر كانت تتولى نقل التوجيهات ونقل الأموال في نفس الوقت ، وفي تلك الفترة لاحظت دوائر السفارة السودانية في بيروت ، ارتفاع غير عاد في أسعار العملة السودانية في السوق اللبناني بغير مبرر ، كما شهدت العاصمة السودانية في نفس الوقت طرعا غير مألوف لكميات من الذهب غير المصنع إلا أن ما حدث في بيروت ، وما حدث في الخرطوم لم يلفت نظر أحد في العاصمة السودانية ، العكس هو الصحيح . . ارتفاع سعر العملة السودانية في بيروت ، قوبل باغتياب باعتباره دليل على انتعاش اقتصاد السودان ، طرح كميات من الذهب في أسواق الخرطوم فسر البعض باعتباره مظهرا لوعى اقتصادى شعبى ، بدأ يتخلص من عادة تجريد الأموال .

### الرهان الاسرائيلي لماذا سقط ؟

♦ ♦ يبقى بعد ذلك سؤال :

### لماذا سقط الرهان الاسرائيلي ؟

سقط الرهان الاسرائيلي لانه اعتمد على مقدمات خاطئة فافترزت نتائج خاسرة . . المقدمات كانت تشير في التصور الاسرائيلي بأن سسقوط النظام في الشمال يتبعه على الفور انفصال في الجنوب ، فانهاء الصدام كان مبادرة من جانب الرئيس نميري شخصيا ، بل ان انهاء الصدام كان يبدو كهدف وحيد لقيامه بالثورة في ٢٥ مايو ١٩٦٩ ، اذا كان هذا الهدف هو أول الأهداف المبرمجة ، والذي أعلنه بعد اسبوعين من قيام الثورة ، وبالتحديد في ١٤ يونية ١٩٦٩ ذلك الهدف الذي تضمن الاعتراف لأول مرة بوجود فوارق عرقية وثقافية واقتصادية بين الشمال والجنوب ، ثم طرح للمرة الأولى حلا جذريا للمشكلة يتمثل في حكم ذاتى اقليمى في إطار الكيان السودانى الموحد ثم انه واصل رغم كل الصعاب التي واجهتها الثورة عمله لرعاية مبادرته وبجهد الشخصى حتى تحقق هذا الهدف في مارس ٧٢ . . إذن ، فان نميري هو وحده ضمان الجنوبيين في استمرار الصيغة التي تم قبولها ، والقضاء عليه شخصيا هو قضاء على هذه الصيغة وهي مبرر أن لم تكن مجرد لغوودة الصدام مرة أخرى وبصورة أقسى وأقود يكون احتمالات الانفصال بعدها أكثر من مؤكدة .



♦ ♦ الا أن تلك المقدمات اغفلت الكثير والكثير أن تمسك الجنوبيين بقيادة الرئيس نمري لما حققه وأنجزه لا يزيد عن تمسك الشماليين أيضا به لنفس السبب ، ثم أن التحرك المخطط من الخارج ومهما كانت بواعثه محكوم بالفشل عند انتقاله لمرحلة التنفيذ في الداخل بالاضافة الى أن العناصر التي قادتة كان محكوما عليها بالفشل وانها سواء كان انقياده لتنفيذ هذا المخطط تم بغير وعى كامل بأبعاده وأهدافه وهو احتمال له وجاهته ، وسواء كان بعضها تورط رغم معرفته الغامضة ببعض جوانبه فان تأثيرها المحدود في الحياة السياسية في السودان قبل قيام الثورة كان أيضا من عوامل الفشل .

♦ ♦ الا أنه يبقى العامل الأهم والأبقى :

ان ما تم تحقيقه في جنوب السودان وبقنوب السودان عندما تحقق الاتفاقية ، كان هدفا سودانيا في المقام الاول أجمع عليه السودانيون سواء في الشمال والجنوب .

## اسرائيل — أفريقيا .. وجنوب السودان

ردولف شتاينر المائى غربى ، أوربى الملامح ، أشقر الشعر ، أزرق العينين . نظراته الساهمة الحالة لا تتناسب مع قامته العملاقة ، وان كان صوته الهادىء لا يخلو من رنة تحدى ..

من بياضرا فى نيجيريا بعد فشل مؤامرة الانفصال ، الى جنوب السودان وبشكل لاهث كما وصف تحركاته فى هذه الفترة .

كانت مهمته فى جنوب السودان ، كما أعدها بنفسه ، هى محاولة يائسة لانقاذ السفينة الغارقة .

فى تلك الفترة كانت هناك اتصالات سرية تشهدها العاصمة البريطانية وبعض العواصم الافريقية ، بهدف وضع حد لنزيف الدم فى هذا الجزء من السودان .

صحيح ان الاتصالات كانت قد تعذرت بل وتوقفت غير مرة ، الا انه صحيح أيضا . أنها كانت تتقدم فى ببطء وثقة .

فى مرحلة من مراحل الاتصالات والتي سبقت المفاوضات كانت نقاط الخلاف قد تركزت كلها حول التفاصيل .. الخطوط العريضة ثم الاتفاق عليها .. وهنا برز أكثر من اتجاه :

✳ اتجاه يرى ارجاء بحث التفاصيل ، وهى موضع الخلاف الى مائدة المفاوضات المباشرة .

اتجاه يرى أن التأجيل أشبه ما يكون بوضع قنبلة قابلة للانفجار تحت مائدة المفاوضات .

✳ اتجاه يرى اعلان الخطوات الاساسية أكثر ثم الوصول اليها ، ثم متابعة ردود الفعل بالنسبة للجانبين ، وذلك بهدف ازالة شكوك ترسبت خلال سبعة عشر سنة من الصدام الدامى ، باعتبار أن ردود الفعل ، هى التى تؤكد أو تبقى امكانية الثقة فى الالتزام بتنفيذ أية خطوات تفصيلية لاحقة

فى هذه الفترة بالذات ، وصل رودلف شتاينر الى جنوب السودان ، بعد رحلة طويلة زار فيها عدد من العواصم الاوربية والتقى فيها بشخصيات ذات اهتمامات مختلفة .

يقول ردولف شتاينر ، فى محاضر التحقيق الرسمية :

ان المهمة العاجلة التى « كلفت » نفسى بها هى أن أعمل وبسرعة على انقاذ السفينة الغارقة فى جنوب السودان ، كانت كل الدلائل تشير ، كما

أكدت لى عدة مصادر ، بأن تعثر الاتصالات بين القيادات الجنوبية وممثل الحكومة فى السودان ، لا تشير على الإطلاق الى فشل محقق . كانوا قد اتفقوا بالفعل على الخطوط الرئيسية ، وكانت كل خلافاتهم حول التفاصيل فى أكثر من عاصمة سمعت رأيا موحدا ، واجتهادات مختلفة .. الرأى الموحد كان يؤكد على ضرورة التحرك السريع لاجهاض أى نجاح محتمل للاتصالات الجارية .

الاجتهادات . كنت اسمعها بعد الكأس الثالثة فى الغالب .

✳ البعض كان يرى ، أن نجاح الاتصالات لا يعنى على الإطلاق ، إمكانية نجاح المفاوضات ، بل وحتى نجاح المفاوضات قد لا تشير الى إمكانية الانتقال من المائدة الى الغابة والأيدي تتعاقب .

✳ البعض كان يرى أن الاتفاق على الخطوط الرئيسية هو أسهل أنواع الاتفاقات .. التفاصيل، هى دائما صخرة الصدام .

✳ البعض كان يرى بأن الدرس المطلوب للجناح المعتدل بين الجنوبيين هو أن ندعمهم يتجاوزون مرحلة الاتصالات الى مرحلة المفاوضات ، الفشل فى هذه المرحلة يكون أكثر مرارة وأبقى أثرا .

✳ البعض كان يبتسم وهو يقول :

لا النميرى ، ولا القيادات الجنوبية قادرة على تجاوز صدام السنين هو يبحث عن ضمادات لجراحة فى ظل المعارضة لنظام حكمه .. والجنوبيين يحاولون الضغط علينا لنعطى المزيد ثم المزيد .

الا أن التعليمات بعد التفسيرات تظل هى هى .. أن أسرع لانقاذ السفينة الغارقة .

كانت مهمتى فى هذه الفترة أن أحقق عدة ضربات عسكرية ناجحة ومؤثرة بهدف مزدوج .

الاول - التأثير فى العسكريين السودانيين ، ليصعدوا من ردود الفعل بما يجهض التقدم الذى تم احرازه فى مرحلة الاتصالات ، والتي كانت خافية عليهم لسريتها بطبيعة الحال .

والثانى : هو العمل على دعم الجناح المعارض للاتصالات والمفاوضات بين الجنوبيين ، والذين كانوا يستبعدون إمكانية الوصول الى حل عن طريق الحوار مع قيادات سودانية .

ويقول ردولف شتاينر فى محاضر التحقيق ، بعد أن تم اعتقاله بواسطة



السلطات اليوغندية وتسليمه للسودان ، ان هذا الهدف كان وراء الفشل العسكرى ، والفشل السياسى بعد ذلك .

كنت متلهفا على توجيه ضربات مركزة . . وذلك جعلنى أبتعد عن الطبيعة الخاصة لحرب العصابات والتي تعتمد على مبادئ ثلاثة :

الاول — خفة الحركة والقدرة على التنقل والمناورة والاعتماد على التسليح الخفيف .

الثانى — التحرك بجماعات صغيرة ، تخطط وتنفذ عمليات محدودة ، بغير اعتماد على خطوط مواصلات معقدة .

الثالث — الاعتماد على جغرافية الارض ، باعتبارها عاملا مساعدا ومكملا للتحرك الناجح فى المواجهة الغير مباشرة .

كانت المبادئ الثلاثة ، التى وعيتها منذ مدة طويلة ، بل ومارستها عمليا فى بيافرا وغير بيافرا ، لا تتناسب مع الهدف الرئيسى لوجودى فى جنوب السودان فى هذه الفترة .

التحرك المحدود ، والضربات المحدودة ، ستكون صورة مكررة لعمليات سبقتها ، وهى بالنسبة للفريقين أصبحت روتينيا يوميا مألوفا ، التعامل بالأسلحة الخفيفة ، يحقق فى أفضل الظروف ، أهدافا تكتيكية بينما المطلوب انجاز هدف استراتيجى مهما كان حجمه .

ولذلك ، فرغم معارضة مريره من جانب بعض القيادات العسكرية الجنوبية ، قمت بحشد أعداد كبيرة من الأفراد ، وتشوين كميات ضخمة من المعدات الثقيلة ، ونظرا لاستحالة الاعتماد على خطوط اتصال وتموين فقد قمت أيضا بتشوين كميات ضخمة من المهمات والاغذية . ولقد فرضت هذه الاجراءات نفسها ، على المسرح الذى تم اعداده ليكون نقطة الانطلاق ، وهكذا تم اعداد معسكر « كاجو كاجى » الذى كان هدفا سهلا للقوات الشمالية للأسباب الآتية :

١ — أنه لم يكن بعيدا بالقدر المناسب ، عن شبكة الطرق الترابية ، وكانت تلك نقطة ضعف خطيرة فى اختياره ، الا أن حجم المعدات المنقولة اليه كانت تفرض هذا الاختيار .

٢ — ان التحرك الى المعسكر فى مرحلة اعداده ، كان يتميز بكثافة ملفنة للنظر مما جعل مهمة تحديد موقعه هدفا سهلا للقوات الشمالية .

٣ — اننى اشتربت — وكان هذا خطأ من جانبى — اعداد مطار يصلح لهبوط واقلاع طائرات صغيرة واعترف الآن أن سلامتى الشخصية

وحدها كانت وراء هذا الشرط ، وتطلب تنفيذ هذا الشرط اختصار مساحة مكشوفة ، يصعب تمويه أى تحرك اليها أو فى داخلها .

{ — اننى اعتمدت على بعض المجارى المائية المحيطة بمنطقة المعسكر ، باعتبارها عوائق محلية تمكنتنا من الرد المبكر على أى هجوم محتمل على المعسكر ، ولم يدخل فى اعتبارى طبيعة المناخ فى هذه المنطقة ، والجفاف المفاجئ للمجارى المائية الضحلة .

ثم يمضى ردولف شتاينر بعد ذلك ، وفى تفاصيل مسهية يروى قصة تسلمه من المعسكر بعد الهجوم عليه ، ووصوله الى الاراضى اليوغندية ، ووقوعه فى أيدي السلطات هناك ، والذي سلمته بعد ذلك للسودان .

الا ان الاجابة على سؤال حول دوافعه الشخصية للمشاركة فى هذا العمل ولهفته على تحقيقه جاءت متدرجة وعلى امتداد فترات اعتقاله الطويلة، باحدى معسكرات الجيش السودانى فى ضواحي الخرطوم فى البداية ، كانت رنة التحدى فى صوته واضحة ، وكما وصفها مراسل الأوبزرفر والذي سمحت له السلطات السودانية بمقابلته ، كان صوته مزيجا من التحدى والزهو والوقاحة .

تحدث مطولا عن قضية العرب فى افريقيا وكيف أنه نصيرها ضد التسلط العنصرى ، وفى المقابلة التى نشرتها الأوبزرفر ، كانت اجابة شتاينر على سؤال للمحرر الذى قابله ، والذي تساءل عن القهر العنصرى الذى يواجه الجنوبيين ، قال أنهم العرب .. وعندما سأله ، عن نشاطه فى بيافرا قبل ذلك ، وعن طبيعة القهر العنصرى هناك . قال :

العرب أيضا . . . !!!

فى مرحلة تالية ، اختفت رنة الزهو فى صوته ، وأن بقت رنة التحدى . ليقول ردا على سؤال للمحقق ، بعد أن أعترف بأن نشاطه فى جنوب السودان بل وفى بيافرا ، كان مرتبطا بالمصالح العليا لاسرائيل .

قال :

تسألنى عن علاقتى الشخصية بالمصالح العليا لاسرائيل اقول لك :

اننى من صلب الشعب الذى أعد المحارق لليهود فى المانيا وفى غير المانيا ، لقد زرت بولندا بعد الحرب العالمية الثانية ، والذي يغفر للشعب البولندى خضوعه حتى الان للنازية الشيوعية الجديدة ، أنه احتفظ بآثار المذابح والمجازر الذى تعرض لها اليهود فى وارسو وغيرها من المدن البولندية ، أثناء الاحتلال النازى فى بولندا .

الا تعتقد اننى مطالب كالمانى ، بالتكفير عن خطايا بلدى .. أتعجب بأن نشعر بالندم كالماني أمام ماتعرض له « الشعب اليهودى » ، وان تترجم

هذا الندم لمصلحته . . . وعندما سأله المحقق عن مايعانيه العرب من اضطهاد اليهود لهم في فلسطين العربية .

قال ردولف شتاينر :

العرب هم حلفاء المانيا النازية ، تعرف أو لا تعرف ، أن ( شيخ ) فلسطين كان في رعاية هتلر أثناء الحرب العالمية الثانية !!

### مقابلة مع شتاينر

بعد صدور الحكم في قضية شتاينر واستقراره كسجين في أحد السجون السودانية ، كنت قد طلبت مقابلته تمهيدا لاعداد هذا الكتاب . الذين اعترضوا على المقابلة ، كان على رأسهم وزير الداخلية . . والذين وافقوا ، كان الرئيس نمري .

تمت المقابلة في ظروف غريبة .  
اخترأوا الصباح الباكر جدا ، بحيث بدأ تحركى الى السجن قبل الفجر .  
وعندما التقيت بشتاينر بعد ذلك ، علمت أنه هو الذى حدد اليوم والساعة .

حول تحديده لليوم .

قال :

انه يفضل كثيرا يوم الجمعة ، ذلك أن مشهد المساجين في الصلاة الجماعية في هذا اليوم ، كان يحقق له راحة نفسية لا يعرف لها سببا في جو السجن الكئيب ، ورغم أنه لا يعرف شيئا مما يقوله أو يفعلوه ، إلا أنه يلاحظ انهم بعد الصلاة يكونون أكثر ودا وتعاطفا .

وعن اختياره للساعة ، والتي حددها بالسادسة صباحا ، فذلك لانه يفضل النوم نهارا ، والسهل ليلا ، تفاديا للحرارة الخانقة . . التي تسود السودان في هذا الشهر . .

واضاف : « وأنا لا أملك جهاز تكييف هواء كما ترى » .

بدأ الحوار مجهدا بالنسبة لنا معا .

رفض في أول الامر السجارة التي قدمتها له ، طلبها بعد ذلك ثم قسم الى ركن في الغرفة ، أحضر منه علبة سجائر انجليزية ، انتهت بنهائية جلسة الحوار .

علاقته بإسرائيل كانت موضع اهتمامي . . موضوع إسرائيل كان أكثر المواضيع الذى حاول أن يتجنبها سواء وأنا أسأل ملحا ، أو حتى وأنسا أسأل صريحا .



قلت لشتاينر بعد ثلاث ساعات من المناقشات المجهدة :

سمعت منك قصصا كثيرة عن اضطهاد اليهود في المانيا ، هل اسمع منك قبل أن أنصرف علاقة مشاعرك بالنسبة لهم ، بنشاطهم في أفريقياسا  
عموما ، ثم الجنوب بعد ذلك .

قال شتاينر :

توافقني اذن أننى صاحب قضية ، وهى قضية أخدمها في الموقع الذى  
يتناسب مع قدراتي .. هذا السؤال مناسب جدا ، لم يوجهه الى أحدا  
من قبلك .. ولهذا فأنا أجيب :

حاييم بارليف هل تعرفه ، رئيس هيئة الاركان السابق لجيش الدفاع  
الاسرائيلى ، التقيت به في سفارة اسرائيل بلندن .

وقد تم ترتيب هذه المقابلة بناء على طلبه .

التقيت بالرجل وأنا متأهب تماما لاثبات كفاءتي العسكرية .. كنت أعلم  
مقدما أننى سأستمع لدروس عن حرب العصصيات ، وعن التجارب التى  
خاضها بشخصه ، أو عايشها في فيتنام الجنوبية .. كنت ومازلت أعتقد أن  
الكفاءة العسكرية ، لا تتطلب الخدمة في القوات النظامية أو الدخول في  
المعاهد العسكرية ، الكفاءة العسكرية هى الممارسة العسكرية ، هى أن  
تبقى حيا رغم أنك خضت عشرات المعارك ، وفي ظروف مختلفة وعلى أرض  
مختلفة .

الا أن الرجل حين التقيت به ، أدهشنى ومن اللحظة الاولى ان الجانب  
العسكرى لا يدخل في اطار الحديث الذى سيدور بيننا بل انه تجاهل حتى  
شخصى .. لم يكرر ماسمعته ووعيته عن ظهر قلب عن المطلوب منى انجازه  
في جنوب السودان .

تحدث الرجل عن اسرائيل .

✳ وضعها العسكرى المهدد دائما بإمكانية التفوق العربى ، المتوازن  
دائما بالتفوق الاسرائيلى .

✳ تحدث عن وضعها البشرى ، باعتبارها وعاءا يستوعب ثقافات  
وعادات مختلفة ومتعارضة .. تحدث عن دورها الحضارى في منطقة الشرق  
الاوسط ، باعتبارها امتدادا للكيان الارقى في العالم ، في هذا الجزء الاكثر  
تخلفا منه .

ثم تحدث وبتركيز شديد عن وضع اسرائيل الاقتصادى .. قال حاييم

بارليف ، وكأنه يحاضرني . . أنت ذاهب الى افريقيا الاداء مهمة تؤمن بها  
أليس كذلك . . يبقى أذن أن تدرك أهمية أفريقيا بالنسبة لنا .

افريقيا بالنسبة لاسرائيل هي طوق النجاة الممكن بالنسبة لكل احتمالات  
الفرق والذي أراها كثيرة .

ان الحروب المتعددة مع العرب التي كانت والتي ستكون لا تمثل الخطر  
العاجل بالنسبة لاسرائيل . . اننا حتى الان نعتمد على معادلة مضمونة  
لاداعى للدخول في تفاصيلها الان .

الا أن اسرائيل ليست كيانا مطلوب حمايته بالقوة العسكرية وحدها  
مطلوب أكثر حمايته من الناحية الاقتصادية .

لماذا ؟

لاسباب عديدة ، منها :

اولا — أن اسرائيل كما قلت لك هي ظاهرة حضارية في منطقة الشرق  
الاطلس ، يجب أن تتمايز عنه ، بل ويجب أن تتعالى عليه ، وهذا هدف  
لا يمكن أن يتحقق الا بتحقيق مستوى للحياة داخل اسرائيل يفوق عشر مرات  
مستوى الحياة في أغنى الدول العربية ، وأنت تعرف . . بل أن المطلوب أن  
تكون وعلى المدى القريب نموذجا حتى بالنسبة لدول أوروبا الغربية والولايات  
المتحدة .

ثانيا — أن اسرائيل لتحقيق هذا كله ، مطالبة بأن تعتمد على  
مواردها ، فما هي مواردها ؟ الحمضيات ، الصناعات التحويلية ،  
التصنيع الدقيق لواد خام نادرة تصلها من الخارج . . ثم بعد ذلك لا شيء .  
لا شيء . . حتى البترول وهو بحر تسبح تحته المنطقة ، فانه تحت اسرائيل  
يبتعد وينحسر .

ثالثا — اننا نعتمد على الدعم الخارجى من الولايات المتحدة ، والسؤال  
الى متى ؟

ثم اننا نعتمد على تبرعات الجاليات اليهودية في العالم ، ولكن السؤال  
كيف ؟

والتبرعات التي تعتمد عليها الموازنة الاسرائيلية في كل سنة ، تعتمد في  
تقديرى على ظروف اسرائيل منذ نشأتها حتى الان . . ظروف العصفور  
في مواجهة الوحوش . . هل تفهم ؟ . . أقصد العطف والرثاء والاشفاق  
والتعاطف . . وكلها مشاعر لن تستمر حتى لو استمر العصفور عصفورا في  
مواجهة الوحوش الحضارية ؟

رابعاً — اننا نأمل وعلى المدى البعيد ، أن نكسر حائط الكراهية المضروب حولنا في المنطقة العربية ، وهذا الامل لا تحسركه دواعي الامن وحدها ، وانما المصلحة الاقتصادية في المقام الاول . أن تكون المنطقة بالموارد الخام متاحة لاسرائيل والمهارات داخلها ، ثم تكون المنطقة العربية سوقاً لانتاج اسرائيل بعد ذلك .

وأنا على ثقة بأن هذا ممكن ، وهذا أكيد ، ولكن بعد كم من الاجيال ؟

خامساً : أن نموذج اليابان يبهتنا ، ولكن له محاذيره . . اليابان تبني خبرتها الفنية ، مضافة الى مواد خام لا تنتجها فتصنع الرخاء الهائل . . . الا أن اليابان ليست اسرائيل . اليابان بحكم كثافة السكان داخلها ، قادرة على الانتاج الكثيف والذي يحقق ربحاً مهماً تدنت أسعاره ، اسرائيل على العكس ، أنتاجها محكوم بكثافتها ، من هنا فان التشبه باليابان فضلاً عن منافسة اليابان تبدو مستحيلة .

ماذا تبقى ؟

تقول أنت .

ويقول شتاينر : اننى قلت وعلى الفور ، افريقيا .

أفريقيا المواد الخام ، ثم افريقيا السوق الواسعة .

وأضاف حاييم بارليف :

الاهم افريقيا ، والتي مازالت وستبقى لبعض الوقت حساسة لاي نشاط للرجل الوافد من الغرب ، لن تكون بهذا القدر من الحساسية بالنسبة لنا . نحن من منطقة قريبة وبالكاد نحمل أنفسنا ، لا مطامع استعمارية لنا ، ثم اننا نستطيع أن نسد فراغاً خلقتة الاضطرابات المتعددة ، ثم اننا نملك كل شيء .

الخبرة العسكرية ، المهارة الفنية ، القدرة على التسويق بتراث طويل .

وقال لي شتاينر :

ان بارليف أنهى حديثه الاقتصادي معي . . بمصافحة حارة وابتسامة وكلمات وعيتها : .

أفريقيا هدف لاسرائيل ، وجنوب السودان مفتاح الهدف ، بل هو باب المفتوح . . ثم عليك أن تدرك أن هناك من يحاول أن يسبقك ، لابد أنك سمعت عن اتصالات ومفاوضات . . والامل فيك وحدك لانقاذ السفينة الفارقة .





**الباب الخامس**  
**جنوب السودان**  
**القضية ، الحل ، الرجل**





## الرجل

توقيع الاتفاقية كأي حدث تاريخي أفرز ردود فعل متناقضة ، وعلى اتساع العالم .

الدوائر الغربية ذات المصلحة في فصل الجنوب ، تحدثت مطولا عن تاريخ الشكوك الطويل الذي حكم العلاقة بين السودان الشمالي وجنوب السودان ، وتساءلت بعض الصحف البريطانية عن امكانية أي وثيقة في تجاوز هذا التاريخ ، ومهما كانت نوايا أصحاب التوقيع عليها . الصحف الأمريكية تحدثت عن النمو الاقتصادي المتدني في الجنوب وما أسسمته بظروف الحياة المستحيلة في هذا الجزء من افريقيا — ولم تقل من السودان — وكيف أنه ( عبء ) اقتصادي على السودان الشمالي ؟!

بعض صحف أوروبا الغربية تحدثت عن ما سمته القهر الاسلامي والذي لم يستطع أن يمارس تأثيره بالقوة ، ثم تساءلت عن امكان تحقيق ذلك بالمفاوضات .

اسرائيل .. ظلت ولشهور طويلة بعد توقيع الاتفاقية وكأنها فقدت أي قدرة على اخفاء مشاعر الفشل والحقد ، فظلت ولفترة طويلة تختلق في برنامج الاذاعة الاسرائيلية العربي ، أخبارا كاذبة عن تجدد الاشتباكات في الجنوب ، ثم بدأت تتحدث عن أسماء من شمال السودان ومن جنوب السودان تحركت بالفعل لمقاومة تنفيذ الاتفاقية بالقوة .

أطرف ما في حملات الاذاعة والصحف الاسرائيلية ، رنة الاشفاق على الجنوب وعلى الشمال بالتوالي .

بالنسبة للجنوب ، تحدثوا طويلا ، عن ( القهر ) العربي الزاحف عبر بنود الاتفاقية .

بالنسبة للشمال ، تحدثوا مطولا أيضا ، عن تخلف الجنوب ، وكيف أنه يمثل عبئا على الاقتصاد السوداني ، وأن هناك بنود سرية في الاتفاقية لم يكشف النقاب عنها ، تعطى للجنوبين حق فصل الاقليم في أي وقت .

ولقد كانت ردود الفعل السودانية لهذه الحملات جميعها ، هو الصمت بل ان الرئيس نمري في لقاء مع سيادته رفض مجرد التعليق عليها ، واكتفى بقوله ، بأنها دلالة نجاح ، ليس من المصلحة التصدي لها ولا تنفيذها ، فلو كانت الاتفاقية ضد مصلحة السودان شماله أو جنوبه ، لكانت حملات تشجيع ومباركة بالاتفاقية . فنحن نعرف الاهداف والمخططات والدوافع ، نعرفها منذ كانت القضية مستعصية على أي حل ، كما نعرفها . والقضية قد وضعت بالسودان الى شاطئ السلام .

الا ان الرئيس نميرى لم يكن يكتفى بالرد المختصر بالنسبة لاثهات صاغتها بعض الأعلام العربية فى بعض الصحف العربية المعروفة بلونها الفكرى فان رده على الدوام باترا ومحددا .

حول ما قيل فور توقيع الاتفاقية ، بأنها بداية تراجع بالسودان انتماء واهتماما بقضايا الأمة العربية ، واستفراقا كاملا فى قضايا القارة الافريقية . كانت اجابة لرئيس نميرى الحاسمة .

ولسا لا ؟ ...

لماذا لا يهتم السودان بقضايا القارة الافريقية ، ان اهتمام السودان بالقارة سابق على حل قضية الجنوب بل سابق حتى على وجود قضية للجنوب . السودان جزء من القارة ، وهوبالتأكيد كان على الدوام راغب فى المشاركة ايجابيا فى حل قضاياها ، الا أن رغبته فى المشاركة كانت مغلول قبل توقيع الاتفاقية ، كان الوصف الشائع للسودان بأنه رجل افريقيا المريض ، كان السودان انشغالا بمواجهه وهمومه عن قضايا القارة . والآن ، وقد تمكن السودان من أن يخلع عنه ثوب المرض ، ويجد من طاقاته مايمكنه من القيام بدور فعال ومؤثر لخدمة قضايا التحرير والتنمية الافريقية هل يضع نفسه موضع الاتهام ؟

ويستطرد الرئيس نميرى ليقول :

السودان بموقعه داخل القاره مطالب بدور فعال داخلها ، وهو دور لا يمكنه حتى لو اراد أن يتنصل من مسئولياته ، كنا معذورين فيما قبل توقيع الاتفاقية عن الوفاء بمسئوليات التزام السودان الافريقية .

والان نحن أقدر على تحملها ، واذا كانت تلك فى نظر البعض اتهام ، فانها بالنسبة لنا التزام .

ثم يسأل الرئيس النميرى :

هل يعلم الذين ييئون الشكوك حول الاتفاقية . بأنهم يثبتون حتى لتلاميذ المدارس الابتدائية بأن معلوماتهم فى الجغرافيا فضلا عن التاريخ مخجلة ؟

ان الحديث عن ابتعاد السودان عن الأمة العربية ، كمقابل لاهتمامه بالقارة الافريقية هو منطق جهل ، أكثر منه منطق عمالة .

لن أتحدث عن الروابط التاريخية بين الأمة العربية والقارة الافريقية ،  
لن أتحدث عن ضرورات العصر والتي تفرض التفاعل والتكامل بين شعوب  
العالم الثالث ، لن أتعرض لواقع النضال المشترك ضد العدو المشترك والذي  
يواجههما هو أكثر من العداء للقارة الافريقية والأمة العربية . لن أقول أن  
الاستعمار الذي استنزف موارد القارة ، هو ذات الاستعمار الذي نهب  
موارد العالم العربى .

لن أوضح مدى الارتباط الوثيق بين الكيانات العنصرية داخل القارة  
والكيان العنصرى الذى لمثله اسرائيل داخل القارة .

لن أعيد الى الازهان ، بأن تفتيت الكيانات الافريقية هو مدخل اسرائيل  
للقارة ، كما حاولت فى الكونغو ، وكما شاركت فى بيافرا .

ولكن أضع حقائق بغير تعليق .

ومنهما :

ان ثمانى دول من دول الكثافة البشرية العربية تقع فى افريقيا . هى  
بغير ترتيب جمهورية مصر العربية ، السودان ، المغرب ، الجزائر ،  
موريتانيا تونس ، ليبيا ، ثم أخيرا الصومال .

ومنهما :

ان ثلثى العرب ، يعيشون داخل القارة الافريقية .

ومنهما :

ان منظمة الوحدة الافريقية ، انجاز عربى افريقى بحكم السدول  
المؤسسة لها ، وهى مصر والسودان .

ومنهما :

التداخل الحضارى العربى الافريقى على امتداد التاريخ .

ثم منها أخيرا . . سؤال لن أضع له اجابة .

وهو لماذا تحاول اسرائيل التغلغل فى افريقيا ؟

وهل المطلوب حتى يكون السودان أكثر وفاء للأمة العربية ، أن يتخلى  
عن دوره داخل القارة الافريقية لاسرائيل !



ثم يضيف الرئيس نمري .

ان نظرة واحدة الى شكل العلاقات السودانية الافريقية ، فيما قبل حل قضية الجنوب وبعدها ، تعطى الدليل على ان حل القضية كان وحده انجازا للأمة العربية .

### قبل توقيع الاتفاقية :

● كانت علاقات السودان بأثيوبيا متوترة ، وهو توتر انعكس بآثاره على علاقات الجارة الشقيقة بالأمة العربية .

● كانت علاقات السودان بأفريقيا الوسطى فاترة ، ولقد كان الفتور مدخل لغير الصداقة العربية بأن تمديد وتحتل موقعا داخل القطر الشقيق .

● كانت علاقات السودان مع تشاد يشوبها التوتر ، ومع كينيا يشوبها التصدع ، ومع الكونغو ويوغندا فلقد كانت علاقاتها جميعا مع السودان دون المستوى المطلوب .

والذين يتساعلون عن سر التقارب العربي الافريقي الراهن ، عليهم أن يبحثوا عن مفتاح السر في العلاقات المزدهرة حاليا بين السودان وبين اقطار القارة .

## القلق الاسرائيلي في موضعه

في أغسطس ١٩٧٣ كانت عاصمة ساحل العاج تستقبل الرئيس نميري في أول زيارة يقوم بها رئيس عربي لهذه الدولة . مر اليوم الأول للزيارة عبر المراسم التقليدية . الا أن اليوم التالي كان يوما حافلا . . مباحثات تتناول العلاقات السياسية بين البلدين . . برامج مطروحة لنقاش طويل . صور مقترحة للتعاون الاقتصادي بين السودان وساحل العاج ، جولات قام بها الرئيس السوداني شاهد خلالها معالم العاصمة ، وحينما أوى الى فراشه في القصر الذي أعد لاقامته ، كانت الساعة قد جاوزت منتصف الليل بقليل . وفي تمام الثانية صباحا ، كانت طرقات مترددة تدق على باب الرئيس ، ثم يفتح الباب برفق ليطل منه وجه المرافق العسكري للرئيس نميري ، يستأذنه في مقابلة عاجلة لأحد رجال وزارة الخارجية والذي حمل تقريراً تلقته البعثة المرافقة للرئيس نميري قبل لحظات . . التقرير يقول أن سفارة ساحل العاج في تل أبيب كانت تحتفل في الليلة السابقة بالعيد الوطني . وفوجيء السفير بدخول جولدا مائير الى مبنى السفارة بدون دعوة مسبقة ، ثم انها لم تشارك في الحفل وانما اهتمت بالوقوف فترة خرجت بعدها لتستدعي سفير ساحل العاج لمقابلة عاجلة . في تلك المقابلة تساءلت رئيسة الوزارة الاسرائيلية عن حجم الترحيب الهائل للرئيس نميري في ساحل العاج ، وأبدت قلقاً من نتائج هذه الزيارة على العلاقات الاسرائيلية مع ساحل العاج ، ثم طلبت تفسيراً يؤكد أن هذه الزيارة لا تعنى تحسولاً يؤثر فيما أسمته العلاقات الوثيقة بين اسرائيل وساحل العاج ، تساءل الرئيس نميري بعد أن قرأ التقرير عن سر الاهتمام بإيصال تفاصيله اليه في مثل هذه الساعة وبمثل هذا اللاحاح ، ففوجيء بأن الرد المطلوب لتل أبيب يعتمد على مايراه الرئيس نميري مناسباً . قال الرئيس نميري لمن حمل التقرير اليه بأن مبدأ الرد أو الإيحاء بالرد غير وارد بالنسبة له صلة السودان باسرائيل هي صلة عدااء لا يسمح حتى بالإيحاء لغيره بالرد عليه ، وإذا كان له تعليق على التقرير وماورد فيه فانه يتمنى أن يكون القلق الاسرائيلي في موضعه ، وخرج حامل التقرير . ثم يمر على هذا الحدث أسبوعان بغير زيادة ، تقطع بعدها ساحل العاج كل علاقاتها باسرائيل والذين عاشوا عابرين في عاصمة ساحل العاج . يدهشون بغير شك لنهاية الوجود الاسرائيلي في هذا القطر الافريقي . والتي كانت اسرائيل داخله وجوداً سياسياً واقتصادياً مؤثراً .

## هياسلاسي والود المفقود

وفي السابع من أكتوبر سنة ١٩٧٣ كان قصر الرئاسة في الخرطوم يطلب بالاحاح القصر الامبراطوري في اديس ابابا وحينما رفع الامبراطور الاثيوبي السابق السماعه سمع صوت الرئيس نميري يقول له :

ان رسالة عاجلة مني في طريقها اليك . الا ان الساعات التي تستغرقها

الرحلة من الخرطوم الى اديس أبابا ، سوف تكون محسوبة على القساسة الافريقية كلها نظرا لتطور الحوادث كما تعرف في منطقة الشرق الأوسط مصر الآن مشتبكة في قتال ضد اسرائيل ، وهو قتال مشروع أقرت به منظمة الوحدة الافريقية والقمة الافريقية التي شهادتها عاصمة بلادك منذ شهور . . لذلك فلقد تعجلت الاتصال بك لأقول ان مضمون الرسالة التي بعثت بها اليك لا تتعدى عدة سطور : ان استمرار العلاقات بين اثيوبيا واسرائيل لا يمكن أن تكون اتساقا مع اجماع القارة الافريقية على ادانتها .

وسمع الرئيس نميري ماسمع . الا أن النيا كلها فوجئت قبيل مغيب شمس ذلك اليوم ، الشمس بقطع العلاقات الاثيوبية الاسرائيلية .

حينما سألت الرئيس نميري بعد أن استعرضت معه تلك الأحداث من قدرة التأثير التي يملكها داخل القارة الافريقية ابتسم وقال :

لا أملك شيئا بشخصي كما لا أملكه لشخصي . . ما أملكه للقساسة الافريقية . . تجربة نجحت . كيان توحد . وطن عملاق يمتد من قلب الامة العربية الى أعماق القارة الافريقية . . وهو هنا وهناك له وزن متعادل . . يعطى ويأخذ . يشارك ويسهم . وهذا هو قدر السودان . . الواحد الموحد .

### **اتفاقية الوحدة الافريقية في قمة الرباط :**

ان الذين قصدوا مؤتمر القمة الافريقي بالرباط في يونيو سنة ١٩٧٢ ، هزمهم المشهد الرائع لاستقبال الرئيس نميري في قاعة الاجتماعات الكبرى بفندق « هيلتون » الرباط .

كان المؤتمر هو أول لقاء افريقي على مستوى القمة بعد توقيع اتفاقية اديس أبابا ، والتي كانت قد وقعت في شهر مارس من نفس العام .

دخل الرئيس نميري القاعة ، فالتفت الالكف بالتصفيق ، ولمدة دقائق كان فيها قادة القارة الافريقية وقوفاً والرئيس السوداني يشق طريقه الى مقعده في القاعة ، ثم استمر لبعض الوقت ، ليقطعه الرئيس السنغالي سنجور والذي طلب الكلمة ليقول :

اننى باسم القارة الافريقية ، أحيى جهدك يا فخامة الرئيس في تحقيق وحدة السودان ، كنموذج لوحدة افريقيا المأمولة ثم يضيف :

ثم اننى بعد ذلك كشاعر لا كرئيس دولة ، أقول أنك بما حققت من وحدة للسودان ، انما كنت تعبر عن ضمير قارة بأسرها ، كانت تعلن تطلعاتها للوحدة من ناحية ، ثم تعاني التفكك والانقسام داخل أقطارها من جانب آخر .

وفي نفس الجلسة ، وقف الرئيس الجزائري هواري بومدين ليقول :



هذا المؤتمر بانجاز الرئيس نميرى الذى حققه بوحدة بلاده ينبغي ان يكون مؤتمرا للوحدة والتضامن . . ولهذا فانه يسعدنى ان اعلن ان الجزائر على استعداد لتصفية كل مشاكل الحدود مع المغرب .

ثم وقف الرئيس الفانى ليعلم ، انه بهذه الروح . روح الوفاق والتضامن الافريقى ، الذى تحقق وتجسد بانجاز الرئيس نميرى فى بلاده ، فهو يعلن للمؤتمر بأن بلاده مازالت على ولاءها القديم لرائد الوحدة الافريقية الرئيس الراحل نكروما ، وأنها تطلب من الحكومة التنزانية السماح بنقل رفسات الرئيس نيكروما من تنزانيا الى غانا . . واستجاب الرئيس نيريرى للطلب على الفور .

وفى قمة الرباط ، والتي كانت كما وصفها الرئيس مختار ولد دادا ، بأنها تجمع للاحتفال بانجاز السودان فى مجال الوحدة ، تمت تصفية الخلافات المغربية الموريتانية .

## حوار مع الرئيس نميرى

كنت مدعوا لمرافقة الرئيس نميرى لزيارة مدينة وأو بمديرية بحر الغزال بالاقليم الجنوبي ، مسوعد قيام الطائرة كان السادسة والنصف كما أخبرنى مندوب وزارة الاعلام . . حرصت على الوصول الى القاعدة الجوية التى ستقلع منها الطائرة قبل الموعد بربع ساعة . . ومع هذا فلقد تحركت الطائرة على الفور ، وأذكر أننى قلت لاحد المرافقين بأن الطائرات فى كل المطارات تتأخر عن موعد الاقلاع ، الا فى هذه القاعدة فانها تسبق الموعد ، وكانت دهشتى كبيرة ، حينما أخبرنى بأن موعد الاقلاع كان تمام السادسة . وأن الرئيس نميرى أمر بتأخير اقلاعها لحين وصول الصحفيين . . ولم يكن هناك صحفيون مدعوون لمرافقة الرئيس فى هذه الرحلة سوى الزميل محمد السهاك رئيس الشؤون العربية بمجلة الاسبوع العربى وأنا .

أحسست بالحرج ، فتقدمت الى مقدمة الطائرة حيث يجلس الرئيس نميرى معتذرا الا أنه ابتسم وطلب منى الجلوس فى المقعد المجاور له .

وعلى امتداد ثلاث ساعات ، وهى المدة التى تستغرقها الرحلة دار حوار طويل بين الرئيس نميرى وبينى وكان بالطبع ، يدور حول الجنوب .

سألته : ولم تكن الاوراق معى :

أرى أنك تركز باهتمامك على الجنوب يا سيادة الرئيس . . رحلاتك الى هناك تتكرر ، فى خطبك وفى كل المناسبات تتحدث عن الجنوب ، أشعر فى نبرات صوتك رنة اعتزاز خاصة بهذا الجزء من السودان فلماذا ؟

وصفت الرئيس نميرى طويلا قبل أن يقول . هل الحديث للنشر ؟ أم هو « للونسة » والونسة تعبير سودانى عن تجاذب أطراف الحديث بغرض السمر .

قلت : كما ترى يا سيادة الرئيس .

قال : بل الراى لك . ومع هذا ، دع الاوراق والاقلام حتى يمضى الحديث بيننا بغير تحفظ ، لا من جانبك ولا من جانبى .

قلت :

لا اشتترط ياسيادة الرئيس ولكن أطلب ، أن يكون لى حرية النشر ، اعتمادا على ثقتك فى ذاكرتى .

قال :

ذاكرتك تعرفها وحدك ، ومع ذلك فأنا موافق .

قال الرئيس نميرى :

قد يكون الجنوب بالنسبة لمن يشاهده أو حتى لمن يعيش فيه في الظروف العادية ، رقعة تمتد بالخضرة . قد ينبهر بالطبيعة الساحرة ، قد يدهش لامكانيات الاستثمار الواسع ، قد يستمتع بالعادات الغريبة التي يمارسها سكانه ، قد يرى فيه امكانيات ضخمة ، زراعية وصناعية وحيوانية ، قد يعشق مناخه الرائع .

الا اننى لا ارى في الجنوب هذا كله .

ذلك أن خدمتى الطويلة نسبيا في القوات المسلحة ، كانت على الدوام لاتتيح لى هذه الرؤية الوردية للجنوب ، الجنوب بالنسبة لى كان دما وقتالا وموت للاعزاء من أبناء الجنوب والشمال ، كانت رؤيتى السياسية لابعاد قضية الجنوب تضخم من حجم المشكلة في تفكيري بل وفي وجداني ، القضية من الناحية السياسية تهديد لموارده ، ثم هى من الناحية البشرية اهدار لاغلى ما يملكه السودان ، الانسان على ارض السودان ، والانسان هنا هو المواطن السوداني من الجنوب أو الشمال ، ثم اننى ومنذ كانت الثورة هاجس في فكري ، كانت وسيلة لا غاية كانت بداية وليست نهاية .

كانت الثورة فكرة ومسلكا وهدفا وغاية ، هى أن تكون أداة مجرد أداة لتغير الواقع السوداني . وهو واقع كنت أعرف وأعترف أنه محكوم بالتخلف وهو تخلف لا حيلة لنا أمامه سوى الاستسلام لعوامل أعددها معك على النحو التالى :

أولا : أن السودان محكوم بمساحته ، وهى مساحة عملاقة قد يكون من السهل تجاوزها بشق الطرق ، أو تحديث وسائل المواصلات ، الا أن الاستحالة كانت تكمن في الفروق الاقتصادية الضخمة ، التي تعكس رخاء اقتصاديا في منطقة ، جدبا يصل الى حد المجاعة في اجزاء أخرى .

ثانيا : أن السودان بحكم التاريخ الاستعماري الطويل ، ثم بالتحكم الطائفي والقبلي والذي كان أداة التحكم الاستعماري ، كان قد استحال بالفعل الى جزر لا تفصلها المساحات وحدها ، وانما التباين في الفكر والاختلاف في الرأي ، والتشتت في الارادة .

ثالثا : كانت الطائفية والقبلية مدخلا لما هو أخطر ، وأعنى بها العنصرية والتي كانت وليدا شرعيا لهما .



وتلك كلها عوامل لا تحقق للسودان امكانية الحركة بقدر ما تفرض عليه السكون والعقود ، والتنمية في ظل هذا الواقع خرافة ، اذا ما أخذنا في الاعتبار بأن النتيجة وان كانت من حيث أهدافها خدمة الانسان ، الا أن وسيلة تحقيقها في البداية والنهاية هي الانسان نفسه .

والتنمية في تقديرى كانت تنمية للسودان كله ، وليست مشروعات متناثرة هنا وهناك تلك تكون اصلاحات أو مسكنات لتحقيق للسودان أيا من أهدافه .

لهذا كله كان ايمانى على الدوام ، بأن معادلة الثورة يجب أن تكون على النحو التالى :

لا تقدم للسودان بغير التنمية ، ولا تنمية في السودان بغير جهد الانسان السوداني ، ولا يملك الانسان في السودان جهده الا اذا تحرر من السيطرة الطائفية والقبلية والعنصرية ، ولن يستطيع أن يملك ارادته الا اذا تجاوز انتماءه الى الطائفة أو المنطقة التى يعيش فيها ، الى الكيان الاكبر الذى ينتمى اليه وهو السودان . . . من هنا كانت دعوتى ومنذ اليوم الاول للثورة هي دعوة للوحدة الوطنية . . . وهى دعوة ظنها بعض أصحاب الهوى ، في أيام الثورة الاولى ، بأنها دعوة للمصالحة الوطنية بين التيارات السياسية والفكرية المتعارضة والمتصارعة . . كانوا في ظل هذا الوهم يتجادلون ، بينما كانت الثورة تتعالى بشعار الوحدة الوطنية على الفكر الجامد والمتخلف والوافد والغريب .

الوحدة الوطنية كما أهلنتها الثورة ، هي دعوة للتخلي عن الانتماءات الطائفية والعنصرية . الوحدة الوطنية ، هي بلورة الشعور بالانتماء القومى وبروز القومية السودانية ، والانتماء للسودان كوطن ، وليس للقبيلة أو الطائفة أو العرق .

وكنيت قد وجهت حتى قبل تفجير الثورة ، باعداد دراسات حول امكانيات التنمية الاقتصادية في السودان على عدة أسس منها :

١ — أن تكون التنمية شاملة للسودان كله ، شرقه وغربه ، شماله وجنوبه وأن يراعى بالنسبة لامكانيات التنفيذ ، أن تكون البداية شاملة . بحيث لا يؤدي التركيز في منطقة الى وجود خلل في المستويات الاقتصادية بين أجزاء السودان المختلفة .

٢ — أن تحقق المشروعات بعائدها ، التكامل بين مناطق السودان المختلفة ،

٣ — أن يواكب العائد الاقتصادى لاي مشروع وفي أى منطقة عائد اجتماعى وثقافى .

وكان هدفي من ذلك كله ، أن واقع التمزق القبلي والطائفي والعنصري الذي ساد السودا ن قبل الاستقلال وبعده ، ينبغى القضاء عليه .

وذلك هدف لايمكن أن يحققه قرار وحتى مجموعة قرارات مهما كانت صرامتها ، كانت أو من بأن التخلف الاقتصادي يكرس ويؤكد عزلة مناطق السودان بعضها عن بعضها الآخر ، وأن التكامل فيما بينها هو مدخلها جميعا للتفاعل والالتئام والانصهار في كيان واحد .

كنت أعلم ان شق الطريق ، أي طريق له عائدته الاقتصادي الذي لا يستهان به ، ولكن كان هدفي أن يكون العائد الاقتصادي تابعا للعائد القومي الذي أنشده ، ان يكون الطريق معبرا يحقق التكامل بين مناطق السودان المختلفة .

كنت أعرف ان المشروعات الاقتصادية ذات العائد المتوسط ، ستبقى عديمة القيمة من الناحية السياسية والاجتماعية ، اذا كان عائدها يحقق الاكتفاء الذاتي فحسب للمنطقة التي يقام فيها المشروع ، ولهذا فلقد كان توجيهي بأن يكون التخطيط لمشروعات التنمية في كل أجزاء السودان ، يقوم على أساس تحقيق فائض يتجاوز حاجة المنطقة الى غيرها من مناطق السودان المختلفة .

ما أريد أن أقوله ، بأن فكري السياسي بدا بالتركيز على أهمية الوحدة الوطنية كقاعدة للانطلاق الاقتصادي ، ثم انتهى بي هذا الفكر الى توظيف التنمية لتأكيد وتركيز الوحدة الوطنية .

ومع هذا ، فأنا لا أرى تعارضا بين البداية والنهاية .

ما أريد قوله :

ان الوحدة الوطنية كانت على الدوام هاجسي وشاغلي . والوحدة الوطنية في السودان كانت أشبه ما تكون بالمرض في شمال السودان ، كنتيجة لتعدد الولاءات الطائفية والفكرية والمقائدية ، الا أن الوحدة الوطنية في الجنوب كانت كنتيجة لواقع السودان السياسي في ظل الاحزاب ، مريضا جساوز مرحلة المرض الى حد الاحتضار . . كانت الولاءات مقسمة في الشمال ، بين الاحزاب ، والطوائف . . الا أن الصدام بينها كان في صورته الغالبة صدام مصالح على مستوى القمة ، وضياع مصالح على مستوى القاعدة .

في الجنوب ، وصل الامر الى حد القتال ، الى حد الدم ، الى حد توقف الحياة تماما ، وانعدام أي أمل في تجاوز النكبات المتراكمة كنتيجة لتواصل الصدام على أرض الجنوب .

ولقد كان مطلوباً منى ومنذ البداية ، أن أضع حد لنزيف الدم ، من هنا كان اعلانى للحل الثورى لقضية الجنوب فى التاسع من يونيو سنة ١٩٦٩ ، أى بعد اسبوعين فقط من قيام الثورة ، الا أن الحل المطروح لم يتوفر له جهد مثابر يتابع التبشير به فضلاً عن العمل على تنفيذه ، وذلك لان الثورة دخلت بعد ذلك وعلى الفور فى سلسلة من المعارك . معارك ضد الطائفية وصلت الى حد الصدام المسلح .

ثم معارك ضد التسلط الشيوعى والذى تصاعد وتساعد ، وكان الانتصار فى كل من هذه المعارك له ثمنه الفادح وفى كل المجالات . . ولقد كان أفدحها فى اعتقادى أنها كلها قد أخرجت الحل المنشود لقضية الجنوب . وبعد القضاء مباشرة على مؤامرة ١٩ يوليو الشيوعية فى سنة ١٩٧١ ، فأنى وجطت بأن تتجه كل جهود الدولة لحل قضية الجنوب ، وعلى أساس ما أعلنته الثورة فى أيامها الاولى . . وأذكر أن بعض الأخوة طالبوا منى التمهّل حتى تتمكن الثورة المنتصرة من تصفية جيوب التآمر الشيوعى ، والأهم مواجهة بعض ردود الفعل الدولية للاحداث التى شهدتها السودان .

الا أننى كنت أصر على رأى ، وأقول لك — وللمرة الاولى — ، أن السبب فى هذا الاصرار ، هو ساعات المؤامرة السبعين والتى عشتها معتقلاً فى قصر الشعب اثناء مؤامرة يوليو المشؤومة فى تلك الساعات ، استعرضت ماقدمته الثورة للشعب السودانى .

ولقد كانت الحصيلة رغم كل الظروف وفى تلك الفترة المبكرة كبيرة ، الا أننى احسست بأننى لم أحقق الهدف الأكبر وهو حل قضية الجنوب . . ومن هنا كان اصرارى على حل هذه القضية بحيث تكون لها الاسبقية والاولوية على غيرها .

وهكذا انتصرت الثورة فى يوليو ١٩٧١ ، وتمت انتخابات رئاسية الجمهورية فى اكتوبر من نفس العام ، وانهقد المؤتمر التأسيسى للاتحاد الاشتراكى فى مطلع عام ١٩٧٢ ، وبعد ذلك بشهر واحد ، تم الوصول الى الاتفاقية ، والتى تم بمقتضاها حل قضية الجنوب .

ولم يكن توقيع الاتفاقية بداية جهد ، بل كان بالطبع تتويج لجهد ، وهو جهد لم نبخل عليه بالوقت رغم كل المشاغل والاعباء التى ذكرتها لك .

واليوم وأنا أزور الجنوب فى هذه المرة ، وفى كل مرة سبقتها ، فأنا أعتقد أن ثورة مايو قد حققت واحد من أكبر انتصاراتها ، هو انتصار حقه هذا الجيل ، الا أنه أهدها لكل الاجيال اللاحقة والتى ستعيش وطننا موحداً ، قادرا على صنع الحياة على أرضه ، وفيا لأمته وقارته .



## مع القيادات الجنوبية والشمالية

### القضية والحل

قبل أن أبدأ حوار طويل معه بادرني السيد أبيل الير نائب رئيس الجمهورية ورئيس الحكومة الاقليمية للاقليم الجنوبي قائلا : لعل أول سؤال تحب أن تعرفه الاجابة عليه هو : كيف يبدو الموقف الان في الجنوب منذ توقيع اتفاقية اديس أبابا في ٢٨ مارس عام ١٩٧٢ ؟ ثم مضى يجيب في رأيي أنه لا يمكن تقدير قيمة هذه الاتفاقية التاريخية دون العوده قليلا الى الوراء لمعرفة واقع المشكلة وجذورها ، ثم النتائج التي ترتبت عليها ليس لصالح السودان فقط ، بل لمصلحة الامة العربية والقارة الافريقية بأكملها ، بالطبع لا حاجة بنا الى بحث طويل لكي نشرح كيف خلق الاستعمار المشكلة ثم عمقها ضيق افق الحكومات الحزبية السابقة . . لقد أراد الاستعمار لأكبر الاقطار الافريقية مساحة الا يؤدي دوره كجسر يربط أفريقيا بالشرق الاوسط وعمل على تمزيقه وتقسيم السودان الى شمال وجنوب . وكانت أبواق الاستعمار تردد دائما ولسنوات طويلة « . انه ليس ثمة ما يجمع بين الشمال والجنوب .

وان الصلة الوحيدة التي يمكن أن تقوم بينها هي الاختلاف والتناقض والتعارض ، وتبع ذلك اختلاف أسلوب المعاملة . . فبينما كان يحقق بعض التطور الاجتماعي والاقتصادي للشمال ، ابقى الوضع في الجنوب متخلفا يعاني من الفقر المدقع والحرمان والتدهور في كل شيء . . ومع ذلك فقد كان أكثر ما يزعج بريطانيا أن هذا البلد الشاسع « ٤ مليون ميل مربع » كان يلتقي كرجل واحد في مقاومة الاستعمار والسيطرة الاجنبية . . ولقد توج هذا التحالف الوثيق في مؤتمر عقد في عام ١٩٤٧ بين العناصر المثقفة في الجنوب والشمال تقرر على أثره انضمام الجنوب الى الحركة الوطنية في الجنوب لمقاومة الاستعمار كنفر واحد واضطر الانجليز الى تعيين ممثلين للجنوب في المجلس التشريعي الذي كان يضم ممثلي الشمال والجنوب معا . . حقيقة أخرى اذهلت بريطانيا وهي أن العروبة والافريقية ظلتا متمزجان امتزاجا تاما يستحيل التميز بينهما بحيث يشعر السكان أنهم عرب وافريقيون في وقت واحد رغم الزعم المتواصل على تشويه هذه الحقيقة وكان لهذا الامر مغزى عميق ، كان معناه أن الاختلافات الثقافية او العنصرية في البلد الواحد لا يمكن أن تؤثر على مشاعرهما المشتركة رغم السياسة الانفصالية التي انتهجتها الادارة البريطانية لأكثر من نصف قرن من الزمان . وتحقق الاستقلال عام ١٩٥٦ وتطلع الجنوب الى حل لمشكلة التخلف الضارب أطنانه في جميع مناطقه . . وصدرت وعود لا حصر لها في البيانات الاولى للحكومات المتعاقبة . غير أننا فوجئنا بأنه باتكاد الاحتفالات تنتهي حتى تتجاذب السودان حركات انفصالية تعتمد على القبلية وعلى العصبية وعلى روح الاقليمية . . نفس النظرة التي كان ينظر بها الينا الاستعمار . . وجدناها عند الحكومات المرتبطة به ، واستمرت الاحوال

على هذا المنوال الى ان بوغت الشعب بانقلاب ١٩٥٨ الذى اقدم على الغاء الدستور ومصادرة الحريات وتعطيل البرلمان واتبع أسلوب البطش والارهاب ازاء الجنوب مما عقد المشكلة وحمل الالاف من أبناء الجنوب على مغادرة ارضهم .

### هكذا نشأ التمرد

ومضى ابل الير مستكملا حديثه فقال : ابتداء من عام ١٩٦٣ بدأت الهجرة الى البلاد المجاورة مثل اثيوبيا ، كينيا ، أوغندا ، زائر وافريقيا الوسطى حتى قارب عدد اللاجئين ١٠٠.٠٠٠ ومن هنا نشأت حركة التمرد بعد أن أحس الجنوبي أنه مواطن درجة ثانية في وطنه .

### ثورة أكتوبر وانتكاساتها

وقال : ولما طمح الكيل وتمادت الدكتاتورية في الطغيان فجر الشعب ثورته في ٢١ أكتوبر ١٩٦٤ ، وكان من دواعى سعادتنا ان هذه الثورة الشعبية جاءت بنظرة جديدة للمشكلة فاعترفت لأول مرة بأن ثمة موارد اقتصادية واجتماعية بين الشمال والجنوب ولا بد أن تحل مشكلة الجنوب على هذا الأساس وأعلنت العفو العام ، وسعت لاعادة من ترك انبلاد كلاجىء ثم دعت لعقد مؤتمر قومى تشترك فيه جميع الاحزاب السياسية السودانية جنوبية وشمالية ويشهده مراقبون من سبع دول أفريقية وذلك للنظر فى المشكلة برمتها وعقد بالفعل مؤتمر المائدة المستديرة فى مارس ١٩٦٥ ، واتخذ عدة قرارات ظلت حبرا على ورق لان الحكومات الحزبية لم تلتزم بها وظلت المشكلة قائمة ، الى ان قامت ثورة مايو ١٩٦٩ ، وكان من أبرز ما يميز هذه الثورة انها استوعبت جيدا كل محاولات حل هذه المشكلة وخرجت بتصورها الخاص وفى أقل من أسبوعين اعلنت قرارها باعطاء الجنوب الحكم الذاتى وشكلت وزارة جديدة لشئون الجنوب ، وأعدت برنامج جاد لتنفيذ هذه السياسة شمل كل الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية .

### بداية مرحلة جديدة

وقال :

ولقد وجه الرئيس نميرى كل اهتمامه لتنفيذ كل ما وعد به بأقصى سرعة فشكل لجنة من المثقفين الجنوبيين والشماليين لوضع الصيغة الدستورية للعلاقات بين الشمال والجنوب فى إطار السودان الموحد . . فى نفس الوقت قمنا بخولات فى أنحاء العالم لى نتشاور مع اخواننا الجنوبيين فى المنفى وتمت سلسلة من الاجتماعات السرية فى باريس ولندن ونيريرى وكمبالا وكينشاسا ودخلت كل الغابات وطافت بجميع المواقع وعندما وجدنا أن الرغبة فى حل المشكلة هى هدف الجميع توجهنا الى أديس أبابا لتوقيع الاتفاقية .

## تنفيذ الاتفاقية

قلت : وكيف يتم تنفيذ الاتفاقية الان ؟

قال : كل ما اتفقنا عليه يسير بشكل طبيعي ، ولم نكن نتصور ان يأخذ هذه الصورة . هل تصدق أنه منذ توقيع اتفاقية وقف اطلاق النار لم تنطلق رصاصة واحدة بعد ١٧ سنة من القتال المتصل . من ناحية أخرى فان كل الاسلحة التي كانت موجودة لدى الانيانيا سلمت للحكومة . . وقوات الانيانيا « ٢٠٠٠ ر » تخت أمره الجيش السودانى وبالفعل تم ضم ٦ آلاف للجيش و ٣ آلاف للبوليس و ٦٥٠ للسجون والباقيون شغلوا أعمالاً مدنية في الجنوب .

♦ وكيف كانت نظرتكم للذين شككوا في الاتفاقية وقالوا ان روح استعمارية أملت بها ؟

— لقد قصدت من الشرح الطويل للمشكلة ان أبين لك كيف خلق الاستعمار هذه المشكلة . . وكيف عمقها ، وأهمية بقاءها لتنفيذ سياسته وليس من المعقول أن يكون سعيدا بوقف قتال الاشقاء . . أن حل مشكلة الجنوب يقوى السودان ويجعل تأثيره في افريقيا عميقا وهذه نتيجة لا ترضى الاستعمار ولا اسرائيل . . وقال ايل الير ان ظاهرة التحول الافريقى عن اسرائيل سمة واضحة في القارة الافريقية الان بعد بروز عدائها السافر لحركات التحرير وسياستها التوسعية . . ان اسرائيل تحاول الان تشويه الاتفاقية ومن حسن الحظ أن الرئيس نميرى تنبه لهذه المحاولات فأصدر قانون العفو العام وقانون وقف اطلاق النار وكون اللجنة الفنية العسكرية المشتركة لاستيعاب قوات الانيانيا في صفوف قوات الشعب السودانى وكون صندوق دعم العائدين الى جانب لجان الاغاثة والتوطين . . .

## التنظيم السياسى

قلت له : من المؤكد أن مؤامرات الاستعمار واسرائيل لن تتوقف لتأزيم هذه المشكلة من جديد ماذا تقترح لتأمين السودان من أية مؤامرات محتملة ؟

قال : هنا يأتى دور التنظيم السياسى في السودان وهو منتشر الان في كل مكان وهنا تأتى أهمية التوعية بالوحدة الوطنية ثم أن المكاسب التي حصلنا عليها في الجنوب مدارس . . طرق . . مستشفيات . . الخ . . ستزيد من تمسك الجميع بهذا المكسب الكبير .



وختم ابيال الير حديثه قائلا :

ان العلاقات المصرية السودانية قد عادت الان الى صورتها الطبيعية ولا غنى عن التنسيق الدائم بين القاهرة والخرطوم وأود أن أؤكد لك كجنوبى أننا قد قابلنا تباشير تصحيح مسار العلاقات المصرية السودانية بكل الارتياح والتفاؤل . كما أنه يعيش في الجنوب جالية مصرية كبيرة في «ملكال بأعلى النيل» تلقى كل الحب من التأييد ، ومن جانبنا سندعم بكل الاخلاص والتضحية كل محاولات صادقة لتدعيم العلاقات المصرية السودانية تنفيذاً لمنهاج التكامل بين البلدين .

### جيش موحد للسودان

#### خطوات الانصهار

وفى لقاء مع مصدر عسكري كبير قال انه بعد توقيع اتفاقية الوحدة في الثالث من مارس ١٩٧٢ م ، بدأت الاطراف المعنية في تنفيذ بنودها حيث نصت من الناحية العسكرية على ان تكون القيادة الجنوبية قومية التشكيل من قوات الشعب المسلحة والانانيا .

ولقد نصت الاتفاقية على استيعاب قوات الانانيا بواسطة لجنة فنية عسكرية مشتركة يرأسها ضابط من قوات الشعب المسلحة على أن يكون نصف أعضائها من قوات الشعب المسلحة والنصف الآخر من قوات الانانيا .

وكخطوة أولى فقد تم تشكيل اللجنة وتبعاً لذلك تم استيعاب الذين قدمت أسمائهم بواسطة قوات الانانيا لضباط أولاً حيث تم به بذلك تعيينهم كأعضاء حسب رتبته في اللجنة المذكورة ، واللجنة الأخرى الخاصة بوقف إطلاق النار .

وحسب الاتفاق فقد توافدت قوات الانانيا الى نقاط التجمع التي حددت لهم على الحدود حيث أعدت الترتيبات واتخذت الاجراءات لاستقبالهم وترحيلهم الى المناطق التي حددت لاقامتهم وهي اماكن روعي فيها الراحة في السكن ، والخدمات الصحية ، وترتيبات الاعاشة اللازمة .

وقد عملت لجنة الاستيعاب مع قادة الانيانيا على تجهيز الكشوفات المطلوبة بالأسماء والتي تبين جميع المعلومات المطلوبة ، ثم أجرى الكشف الطبى على الجميع وتبع كل ذلك المعاينة بواسطة اللجنة لجميع القوات حيث تم استيعاب الالاقين منهم للخدمة العسكرية ، وتحددت رتبهم بواسطة نفس اللجنة .

وقد تم تشكيل لجنتين تابعتين للجنة الاستيعاب المذكورة حيث كانت مهمة

اللجنة الأولى الاستيعاب بقوات الشرطة والسجون والادارة ، بينما أسندت للجنة الاخرى مهمة توزيع الباقيين حسب مؤهلاتهم الى المصالح الحكومية ومختلف الوظائف المدنية المناسبة .

ولقد كانت اجراءات الاستيعاب شاقة للغاية حيث ان اللجنة قد زارت جميع نقاط التجمع وقامت بمقابلة جميع القوات العائدة ، وراجعت نتائج الكشف الطبي كما قامت بالمعاينة الفعلية لجميع القوات فردا فردا .

ثم بعد ذلك انتظم الذين استوعبوا في المعسكرات حيث بدأ تدريبهم الذي قام به زملاؤهم من قوات الشعب المسلحة حيث كانت تلك الفترة فرصة عملية للاحتكاك والتقارب قبل أن تكون فرصة للتدريب والتأهيل حيث ساعد حسن النية والرغبة الاكيدة لدى الطرفين في كسر الحواجز ، وتوفير عنصر الثقة الذي فقد منذ أمد طويل لظروف سياسية واجتماعية واقتصادية قامت ثورة مايو من أجلها وسعت ولازالت تسعى لحلها . . ولذلك فان موضوع انصهار القوات المستوعبة بقوات الشعب المسلحة يعنى الثقة المطلقة بين الجميع والتي كانت ثمارها أن تمت الصداقات التي كانت الاساس المتين للتدريب الجيد والتفاهم الاكيد .

ثم بدأ بعد ذلك العمل في اعادة التنظيم للقيادة الجنوبية التي تكونها القوات المستوعبة وقوات الشعب المسلحة للعمل كقوة واحدة .

ولقد سار تنفيذ الاتفاقية حسب الخطة المرسومة حيث تم تدريب القوات المستوعبة في مراكز التدريب المختلفة وانخرطوا في صفوف قوات الشعب المسلحة . . كما عقدت الفرق التعليمية للضباط من القوات المستوعبة في المعاهد العسكرية مع زملائهم من الضباط القدامى ، وتبع ذلك تدريب الصف والجنود حسب مؤهلاتهم للتخصصات المختلفة من مدرعات ، مدفعية مهندسين ، اشارة ، اسلحة ونقل وغيرها من التخصصات .

ومهما يكن من امر فقد سار تنفيذ خطة الانصهار كما قدر له وقطع اشواطاً كثيرة ووصل الى مراحل بعيدة خلال الثلاث سنوات الماضية تحقيقاً للانصهار الكامل بين القوات المستوعبة وقوات الشعب المسلحة . . وصولاً الى قومية تشكيل القيادة الجنوبية قلباً وقالبا وجعل الوحدة واقعا معاشيا استتباً للامن استقراراً للسودان ، نهوضاً به ، تقدماً له ، وفرة ورخاء ، عدلاً وكفاية ، تنمية وعمراناً ليصبح السودان الجديد ، سودان مايو الواحد الموحد ليصبح رجل افريقيا الاول بعد أن كان رجلها المريض .

بعد توقيع اتفاقية اديس ابابا تمت عمليات اساسية بدأت لاعادة توطين واستيعاب الاخوة العائدين من قوات الشعب المسلحة والقوات النظامية الاخرى واعادة الحيوية لمشروعات الخدمات ويقام مجلس الشعب الاقليمي وعقد مؤتمرات الاتحاد الاشتراكي ومنظماته الجماهيرية

والقنوية على كافة المستويات كما شهدت جهود التنمية في الاقليم الجنوبى دفعة لم تشهدها في ظروف عدم الاستقرار ولقد أرسى الرئيس القائد حجر الاساس للعديد من المؤسسات الصناعية الزراعية . . كما أن الاعداد لتنفيذ اكبر مشروعات التكامل وهو مشروع قناة جونقلي من المؤسسات الاقتصادية المرتبطة به سيتم في الاقليم الجنوبى ولمصلحة شعبنا ولعل ما يميز هذه الفترة بجانب هذا جميعه هو عودة الاستقرار والطمأنينة النفسية والاتجاه الى المشاركة الايجابية الفعالة من جانب الاخوة في الاقليم الجنوبى من العمل الوطنى من موقع الانتماء للوطن الواحد والالتزام لتحقيق وحدته ورضائه .

### البعد الثالث للحل والقضية

أحمد عبد الحليم ، استاذ سابق بجامعة الخرطوم اعداده الاكاديمى يفرضه على نظرتة للواقع السياسى طابع علمى ، لايعزل الظاهرة السياسية عن مكوناتها وعن آثارها .

قضية الجنوب . كانت موضع حوار ساخن دام طويلا ، وامتد من الجنوب الى العاصمة ، من السودان الى القاهرة ، وفي كل مرة ، كان أحمد عبد الحليم المفكر ، يفرض نفسه على أحمد عبد الحليم ، عضو المكتب السياسى مساعد الامين العام للاتحاد الاشتراكى فى السودان ، ووزير الثقافة والاعلام .

قضية الجنوب كما يراها ، كانت بأبعادها فيما قبل الحل ، تحديا بل وتعارضا مع تيار التكامل بين الثقافة العربية ، والثقافة الافريقية ، كانت تهديدا خطرا وخطيرا للتعايش الممكن للإسلام كدين وعقيدة بين مختلف الثقافات والحضارات . . كانت انقطاعا لايمكن أن يستمر لجرى التاريخ الحضارى فى افريقيا ، والذى يرفض منطق التبلور والتفوق الحضارى من منطلقات عنصرية .

القضية فيما قبل الحل ، كانت تراكمات لسياسة استعمارية وممارسات حزبية ، فرضت عزلة غير مقبولة لتيارات ثقافية متفاعلة بطبيعتها ، متبادلة التأثير ، قادرة على ان تتطور فى اطار التمايز وليس فى اطار الانعزال .

كانت القضية فيما قبل الحل عصبية على كل محاولات التصعيد الحضارى على الاقل ، والذى يصل الى حد التمايز فضلا عن الانشطار .

بريطانيا فى عهد امبراطورية الشمس التى لا تغيب ، حاولت :

✳ حاولت بفرض الانجليزية كلفة للتعامل اليومى والمعاملات الرسمية فى الجنوب .

✳ حاولت بفرض العزلة التى وصلت الى حد التهجير بالقهر لكل الشماليين من جنوب السودان .



✳ حاولت بالتمايز الاقتصادي في معدلات التنمية بين الجنوب والشمال حتى تتحول الهوية الاقتصادية الى هوة حضارية تفضّل بين أجزاء الكيان الواحد .

ثم كانت عهود ما بعد الاستقلال .

كانت الطائفية بواجهاتها السياسية ، حليفا للعنصرية ، رغم ضراوة الحرب التي عاشها الجنوب تحت اسم محاربة العنصرية ، بينما في السودان كله تدعم العنصرية الطائفية بل وترتكز عليها .

كانت في جانب تحاول بالسلاح والقهر أن تواجه مظهر العنصرية ، بينما كانت في سائر الممارسات تدعم الجوهر ، ولقد كان هذا هو الاصل في الفشل ثم في المزيد من الفشل في الوصول الى حل لقضية الجنوب على امتداد سنوات الاستقلال وحتى قيام ثورة مايو .

بدأت الثورة بحل التناقض بين موقف للحكومة في الجنوب ، وموقف للحكومة في الشمال .

حددت موقعها من الطائفية ، باعتبارها دعوة عنصرية مغلقة ، أو هي على الاقل تحالف غير معن معها . عملت على بلورة الشعور القومي السوداني ، والمتعالى على الانتماء الطائفي أو العنصري أو الجغرافي .

واجهت وصادمت في سبيل دعوتها مرتين .

مرة في مواجهة التكتل الطائفي .

وأخرى في مواجهة التكتل العقائدي .

وبغير تناقضات في موقفها بعد ذلك تحركت إيجابيا لحل قضية الجنوب على أساس الاعتراف بالبعد الحضاري لابعاد القضية . وفق خطوات اتسمت بعلميتها .

✳ اوسستوعبت الفوارق العرقية والاقتصادية والثقافية بين الجنوب والشمال ، اعترافا به كواقع لا يمكن تجاهله .

✳ اتخذت من الاعتراف بالتباين الحضاري بأبعاده المختلفة ، كدليل على امكانية التكامل والتفاعل .

✳ أعلنت أن العزلة الحضارية للثقافة الانسانية في أى موقع ، هي بداية احتضار ، وليست ارهاص ميلاد وتطور .

✳ تجاوزت القرارات الفوقية ، فاشتترطت مشاركة القاعدة الاوسع في تنفيذ الحل ، وليس الوقوف على البعد مباركة له ، أو استثمارا لمعطياته .

والذين راهنوا على فشل الحل عند توقيع الاتفاقية ، غابت عنهم الاسس التي قامت عليها . . . فالاتفاقية اعتمدت في مقومات نجاحها . . . على أنها امتدادا لتيار حضارى لم تعارضه ولم تعترض عليه . . . ثم ان الاتفاقية بالاعتراف بالتباين الواقع ، انما استوعبته كمدخل للتطور والارتقاء . ثم أن الاتفاقية يبعدها الحضارى لم تهمل الانسان ، دوره ، عطاءه ، قدرته وقدره على التفاعل مع البيئة السياسية المتعالية ، وانما التقت بالانسان في القاعدة الاوسع ، تطالبه بأن يقوم بدوره ، ولا تبشره فحسب لجنى الثمار .

### الاتفاقية كنصوص حددت المسار .

الا أن الاتفاقية كمنهج واسلوب حياه ، ومعايشة يومية حددت للفرد دوره ، بل وطالبت بالمتابعة والالاحاح بأن يقوم به .

\* مشروعات الاعاشة لمئات الالاف من العائدين ، كانت مسئولية العائدين .

\* مشروعات التنمية الاقتصادية والاجتماعية كانت ولسوف تبقى مسئولية الملايين .

\* المشاركة الجماهيرية في السلطة ، بالانتخاب المباشر ، من مجلس الشعب الاقليمى ، الى مجالس الحكم المحلى في القرى والمدن .

\* العمل السياسى من قمة التنظيم الى قواعده ، مكفولة ومطلوبة .

\* الاستيعاب في القوات المسلحة ، الذى لم يكن اضافة وانما هو انصهاره تحقق بالمبادرة ، التى تمثلت فى جهد مشترك اقامه للمعسكرات والتدريب المشترك ثم الوقوف معا فى موقع واحد .

\* فى السودان حماية لوحدة ترابه .

\* خارج السودان فى مواجهة العدو الواحد .

يبقى بعد الاتفاقية نتائج الاتفاقية . . . على الصعيد السياسى . اعطت واثرت فى المجالين العربى والافريقى .

على الصعيد الحضارى .

فالاتفاقية فى مضمونها النهائى ، ازالة لمعوقات اعترضت تيار التفاعل الحتمى بين الثقافة الافريقية ، وثقافة العروبة والاسلام ، تلك التى نراها بارزة حتى فى اللهجات الافريقية المعاصرة .

## مع جوزيف لاجو

قال لى اللواء جوزيف لاجو قائد القيادة الجنوبية والقائد العسكرى لقوات الانيانيا سابقا . اننى لأميل الى الحديث طويلا حول خلفيات المشكلة ، فالمفروض أن اتفاقية اديس أبابا أسدلت الستار على هذا الفصل المؤلم فى مسألة الجنوب لتبدأ مرحلة جديدة فى كل شىء .

تسألنى عن قصة حياتى؟ وأقول لك باختصار . اننى من مواليد قرية « مولى » التى تقع بين نمولى وجوبا . . عمرى الآن ٤٢ سنة . . درست فى ٣ مدارس . الدراسة الاولى بمديرية بحر الغزال ثم الدراسة الثانوية فى منطقة « لوكا » وهى تقع بين جوبا وبابى ثم التحقت بمدرسة ثانوية أخرى فى منطقة « رمبيك » ببحر الغزال ثم بعد ذلك وبسبب اغلاق هذه المدرسة أكملت دراستى فى الخرطوم فى السنوات من ١٩٥٦ — ١٩٥٨ ثم التحقت بالكلية الحربية فى أم درمان وعينت بالقوات المسلحة السودانية من عام ١٩٦٠ الى عام ١٩٦٣ . . تركت الخدمة العسكرية فى عام ١٩٦٣ وانضمت الى حركة تحرير جنوب السودان ( التى تعتبر قوات الانيانيا جزء منها ) وهذه الحركة قديمة أنشئت منذ استقلال السودان . . رافقت مولد الأحزاب السياسية فى السودان وكان يوجد قبلها حزب الاحرار . . بالمناسبة كنا من وقت الآخر نغير أسماء حركاتنا أذكر مثلا من هذه الحركات حزب الاحرار الذى أشرت اليه وكان يرأسه بنجامين لوكى وهو موجود الى الآن فى الخرطوم والى جانب حزب الاحرار كانت توجد أحزاب أخرى ، من ضمنها الحزب الاتحادى الفيدرالى برياسة أزيونى منديرى ، وعندما حلت الأحزاب عام ١٩٥٨ تشكل حزب سانو خارج السودان ، وقد لقي هذا الحزب انقسامات عديدة داخله . . كان هناك جناح وليم دينج الذى كان يعمل داخل السودان مع الأحزاب الشمالية وكان هناك جناح يرأسه جوزيف أدوهو . . وبعد معارضة عدد من أفراد الحزب لسياسة وليم دينج أجريت انتخابات جديدة أسفرت عن تغيير جوزيف أدوهو وفوز أجرى جادين . . لم يعترف وليم دينج بزعامة أجرى جادين فانشق ودخل السودان وكون حزب سانو من جديد . فى الوقت الذى كان يعمل فيه وليم دينج مع الأحزاب الشمالية . . حدث تطور بعد ذلك حيث قام جادين بتغيير اسمه الى جبهة تحرير السودان الافريقى . . واستمر هذا الوضع حتى يناير ١٩٦٥ . . نسيت أن أقول لك أن جوزيف أدوهو لم يعترف بزعامة أجرى جادين فكون حزبا جديدا سماه ازانيا وفى يناير ١٩٦٥ تم دمج حزب جوزيف وحزب أجرى فى حزب واحد سمى جبهة تحرير ازانيا وتنازل أجرى جادين عن زعامة الحزب لجوزيف أدوا .

ولكن هذا الوضع لم يدم طويلا حيث كون أجرى جادين حكومة مؤقتة وقد استدعانى لشغل منصب رئيس أركان الحكومة المؤقتة غير اننى رفضت بسبب هذه الخلافات التى انتهت بدورها بمجرد اجراء انتخابات جديدة أسفرت عن فوز جوردون مورتات الذى كون حكومة النيل . . واستمر لفترة الى أن قام « تافنج » الذى كان يتولى منصب القائد العام بمحاولة انقلاب عمقت الانشقاق من جديد .



وقال جوزيف لاجو : كان لهذا الانشقاق وكثرة الخلافات اثر واضح على جنود الانيانيا الذين انفصلوا عن هذه القيادة وجاءوا للعمل تحت قيادتي وبعد فترة ومنذ ذلك الوقت وأنا أعمل كقائد عسكري لقوات الانيانيا . . لم أفكر في تكوين حزب سياسي الى ان حدث التطور البارز في عام ١٩٧٠ وعندما بدأت الاتصالات للتفاوض لانهاء مشكلة الجنوب . . ولهذا الغرض كونت حركة تحرير جنوب السودان ( كتنظيم سياسي ) لكي يمكن التفاوض باسم كل المنظمات .

### التقدم بالجنوب في ظل الوحدة

ومضى جوزيف لاجو يقول :

ولقد انتهى مبرر التمرد بتوقيع اتفاقية أديس أبابا وانصهرت قسوات الانيانيا في الجيش السوداني الموحد . . لقد حققت شجاعة الرئيس نمري الحلم الذي كنا نعمل لتحقيقه وهو الحكم الاقليمي في اطار السودان الموحد نحن ضد انفصال الجنوب عن الشمال وسيقاوم الشعب السوداني كله في الشمال أو الجنوب أي محاولة من هذا النوع . . بالطبع نحن نعلم من التخلف ولكن نثق في حتمية التقدم في ظل الوحدة الوطنية . . الذين يرددون ان الحكم الاقليمي كخطوة للانفصال هم الذين ينزعجون الاى استقرار في السودان لانه يصطدم مع تطلعاتهم وأهدافهم المشبوهة .

### التكامل مع مصر خطوة نحو الوحدة :

وقال : تجربة السودان نموذج لكل دولة تعاني مما كنا نعاني منه مثل حل المشكلة ، تسألني عن رأينا في منهاج التكامل بين مصر والسودان وأقول لك بكل الصدق انه عمل جاد على طريق تحقيق الرخاء والاستقرار لمصر والسودان وأي تكامل بين قطرين شقيقين يعود بالفائدة عليهما معا ونحن كجزء من الشعب السوداني سنستفيد من هذا المنهاج الذي يمكن أن يكون خطوة لتحقيق الوحدة المدروسة الناجحة خلافا لرأي أنصار دعوة الوحدة الفورية الذين أثبت التاريخ سطحيته . . إنني زرت مصر بعد حرب أكتوبر وأعجبت بالروح القتالية العالية للجنود في مصر وتأكدت من حتمية انتصارهم على إسرائيل فنحن ضد انتزاع اراضي أية دولة بالقوة . . ولا يمكن أن ينتصر منطق الغاب وما رأيته في عيون موسى بالذات يؤكد لي هذه الحقيقة فهناك تصميم على القتال للتحرير حتى آخر جندي مصري ونحن نتطلع الى مساهمة أكبر في مساندة مصر حتى يتحقق لها جلاء القوات الاسرائيلية عن كل اراضيها فلا يمكن أن ينسى دورها في دعم حركات التحرير العربية والافريقية . .

## **الباب السادس**

### **اتفاقية الجنوب**

**والتعادل، الأمل للتوازن الخطر**

**( وجهة نظرنا )**





الاهتمام الغربى بقضية الجنوب ، فيما قبل الحل ، فاق بهماحل الاهتمام العربى والاهتمام الافريقى . . صحيح ان القضية قبل الحل بابعادها السياسية والاقتصادية والبشرية كانت ومازالت هموم سودانية فى المقام الاول ، الا أن النظر الأبعادها الأعمق كانت قاسما مشتركا ، من اهتمامات اسرائيل واستراتيجيتها السياسية والعسكرية والاقتصادية فى أفريقيا ، وبين بعض الجيوب الاستعمارية فى الغرب ، والتي كانت تجد فى القضية ثغرة من الممكن أن تتسع ، بحيث تكون على المدى البعيد مدخلا من النافذة ، بعد أن تم إغلاق أبواب داخل القارة أمام ما تبقى من تلك الجيوب .

جنوب السودان — فيما قبل حل القضية — من وجهة النظر الاسرائيلية ، كما عبرت عنها دراسات وتقارير ، لم يترجم معظمها عن العبرية للتداول الواسع حتى الان . كانت على النحو الآتى :

أولا : ان جنوب السودان بتصاعد الصراع داخله ، هو بؤرة مؤهلة لتصاعد تيار من الكراهية للعرب ، وهى بؤرة من الممكن أن يتصاعد تأثيرها بالانتقال والانتشار الى داخل القارة الافريقية .

ثانيا : ان المحافظة على عناصر التفاعل النشطة لمبررات الصراع ، ثم التصاعد به ، سوف يؤدي فى النهاية الى استقطاب يتعدى السودان الى الدول العربية المتعاطفة معه من ناحية ، كما سيؤدي الى استقطاب مسوى افريقية تواجهها من ناحية أخرى .

ثالثا : أن الاستقطاب الحاد بأطرافه الأصلية ، ثم بالقوى المساندة لكل طرف ، سوف تؤدي فى نهاية الامر الى ( بلقنة ) الصراع أن يصبح التعبير ، بحيث تخرج القضية من اطارها المحلى المحدود باعتبارها مشكلة سودانية ، الى اطار أوسع ، باعتبارها قضية مواجهة عرقية ، بين العرب والافارقة من ناحية ، الاسلام وغير الاسلام من ناحية أخرى .

رابعا : ان التناقضات الاسرائيلية الافريقية والغير منظورة ، سوف تتراجع اتجاهاتها بديلا لها وبصورة حادة وملحة ، تناقض عربى افريقى ، تحدد وضع اسرائيل بالنسبة لأطرافه مسبقا ، وهو تحديد لايتيح لها فرض التواجد المؤثر فى افريقيا فحسب ، وانما التواجد المقترن بالتحالف أيضا .

خامسا : ان النظم الوطنية فى افريقيا ، على اختلاف اتجاهاتها اعتدالا أو تطرفا ، تسلمت السلطة فى اقطارها على اشلء موارد منهوبة ومستنزفة من جانب الرجل الابيض . والذي أصبح مرفوضا مهما أبدى من حسن النوايا . والبديل المطروح خبرة وتمويلا فى افريقيا فى مجال التنمية والثمار الاقتصادية . هم العرب بحكم الجوار وتكامل المصالح والقدرة على التمويل من ناحية ، واسرائيل كفاءة فنية وتمويل بالوكالة عن الاحتكارات العالمية من ناحية أخرى . وإمكانية التنافس بين العرب واسرائيل فى هذا المجال معدومة لصالح العرب على المدى البعيد لاعتبارات موضوعية . الا أن تجاوز هذه الاعتبارات ممكنة اذا ما برزت عوامل موازنة جديدة لصالح اسرائيل .

أهمها بروز تناقضات حادة بين العرب والافارقة .

سادسا : إن قضية الجَنسُوب فيما قبل الحل ، كانت تمثل جرحا . استقطب بالفعل تيارا سياسيا في العالم العربي ينظر فيما يشبه الحذر من اتجاهات افريقيا ، كما انه استقطب قوى في افريقيا لاينتظر بعين الارتياح لتحرك العربي ، ولقد كان مطروحا من وجهة النظر الاسرائيلية ، أن التيار السلبى المحدود هنا وهناك ، والمحاصر بأصوات التعقل ، من الممكن ان يكون هو التيار السائد ، اذا ما تصاعد الصراع وتعدى مراحل التأزم الى حالة من الجمود القلق . سواء بانفصال الجنوب نهائيا عن السودان ، أو استمرت الأوضاع داخله على ماكانت عليه .

سابعا : أن امكانيات جنوب السودان الهائلة ، في مجالات التعدين والثروة الحيوانية ، والغابات ، والزراعة . هي امكانيات قابلة للاستثمار بالتعامل مع الموارد العربية المتاحة ، وهى من هذا المنطلق أضافة تتعارض مع الاستراتيجية الاسرائيلية ، والتي نعتد على محاصرة امكانيات النمو الاقتصادى في منطقة الشرق الاوسط وافريقيا .

ثامنا : أن الجنوب بالنسبة للسودان ، كجرح نازف ، هو تشتيت لجهد السودان في مجالين .

● فى المجال العربى حيث لا فائض يملكه السودان للاسهام فى قضايا العرب .

● فى المجال الافريقى ، حيث السودان طرف صراع ، لا يملك ان يكون محايدا ، ولا يملك أن يكون مؤثرا ، بل ولا يملك أن يكون غير طرف مشتبك مع جيرانه مدفوعا بعوامل الامن ، حيث يستحيل له أو لغيره تأمين الحدود ، فى ظل تداخل القبائل .

تاسعا : أن اسرائيل كانت هى الاسبق فى استخدام تعبير العمق الاستراتيجى مقرونا بالسودان بالنسبة لمصر . وهو عمق من السهل شلل فاعليته بالنسبة للبلدين عن طريق التطويق من الخلف ومن خلال الموضع الضعيف والذي كان يمثله تصاعد قضية جنوب السودان فيما قبل الحل .

عاشرا : كانت بعض الجامعات الامريكية وبتمويل اسرائيلى ومنذ سنة ١٩٦٧ ، قد خصصت منحاً متعددة لدراسات نظرية عن امكانيات تحويل مجارى الانهار الفرعية ، أو تشتيت رصيدها ، أو زيادة الفاقد منها عن طريق التسطيح ، مع طلب اجراء دراسات تجريبية لتحديد معدلات البخر مقارنا بعمق ومدى وانحناء المجرى .

وكانت بعض دوائر المخابرات الغربية ، قد سربت معلومات حول هذه الدراسات ، باعتبارها زدا اسرائيليا لمحاولات الدول العربية لتحويل مجرى

نهر الاردن ، الا أن توقف مشروعات التحويل ، مع استمرار هذه الدراسات والتجارب ، بل واتساع مداها ، وانتقالها الى مراحل التجريب الميداني في جنوب افريقيا ( روديسيا ، كان مع غيره من المعلومات التي تسربت ، قد كشف أن المخطط كان يستهدف مجار الأنهار الفرعية في جنوب السودان .

من هذا كله ، يتضح أن القضية فيما قبل الحل ، لم تكن مشكلة داخلية ، أو هموم سودانية ، كما شاع هذا التعبير في بعض العواصم العربية ، كانت القضية أثناء تصاعدها استثمارا متاحا للاستراتيجية الغربية عموما والاسرائيلية خصوصا ، وهو استثمار له عائداته الاقتصادية والسياسي والعسكري كذلك .

كانت قضية الجنوب ، يبعدها الحضاري ، فيما قبل الاتفاقية ، امكانية مواجهة بين الحضارة العربية والافريقية . كبديل للتكامل والتفاعل الطبيعي بينهما ، وليس صدفة ان التضامن العربي الافريقي ، بدأ يفرض نفسه على الواقع الدولي منذ توقيع الاتفاقية ، وليس قبلها ، كما انه ليس صدفة أن السودان على وجه الخصوص ، نستطاع بعد الاتفاقية ان يقوم بدوره العربي في افريقيا دون أن يشعر بتناقض موقفه ، بل كان يقوم بهذا الدور في إطاره المتكامل .

كانت قضية الجنوب فيما قبل الاتفاقية . نزيفا لموارد السودان . وهي موارد ، سواء كانت بشرية أو مادية ، كانت في النهاية طرحا من معادلة القوة العربية والقدرة العربية في مواجهة العدو الاسرائيلي .

كانت قضية الجنوب فيما قبل الاتفاقية ، وفي أجهزة الاعلام الغربية عموما ، والاسرائيلية خصوصا ، مطروحة كصراع عنصري محسوب على العرب في المقام الاول ، ولقد سقطت هذه الدعوة بتوقيع الاتفاقية . ذلك أن الصدام العنصري لا يمكن تجاوزه بالحوار أو الاتفاق . وهذا واقع أدركته أجهزة الدعاية الاسرائيلية ، فركزت فيما بعد توقيع الاتفاقية ، على شمال السودان بدلا من جنوبه ، تباكيا على الشماليين ، بعد ان استنزفت دموع التماسيح على الجنوبيين فيما قبل الاتفاق .

وبهذه النظرة لقضية الجنوب . بأبعادها الخطرة . وتأرجحها الحاد ايجابا وسلبا بالنسبة للتضال العربي ، فأنها كانت تمثل في مرحلة تصاعدها توازنا خطرا لم يكن من الميسور امكانية تعادله ، بل كانت القضية في مرحلة التصاعد ، وقوى غير محلية . بل وغير اقليمية تتلاعب بها ، رغم أرادة اطرافها . بل وبغير وعي من جانبهم ، إنما تخدم في المدى القريب والبعيد أهدافا موضوعه لتلك القوى .

الا أن توقيع الاتفاقية بالصورة التي تمت بها ، التطبيق المخلص لبنودها ، ثم الاستقرار الذي واکبها ، وكل ذلك أدى الى تعادل أمثل للتوازن الخطر . نقول التوازن ولا نقول للاستقرار . ذلك أن الجنوب كواقع قبل أن يكون قضية . مشكلة شكلت ظروفه الاقتصادية عقلية



استعمارية عريقة ، أدركت وفي وقت مبكر ، أن أى جهد للاستثمار فيه ، سوف يؤدي الى تحولات اجتماعية وسياسية متناقضة مع المصالح البريطانية في الشرق الاوسط وشرق أفريقيا على وجه الخصوص .

والسذاجة السياسية وحدها ، هي التي ترى أن النوايا المخلصنة وحدها هي ضمان الاستقرار ، صحيح أن النوايا المخلصنة هي قاعدة للاستقرار الا أنها وحدها لا تكفي . والظروف التي ضاعفت مشكلة الجنوب هي في بعض جوانبها ظروف تخلف ، والقضاء على جذور المشكلة ، انما يكون بالقضاء عليه ، من خلال طفرات وليس من خلال تدرج .

فالقضاء على العلاقات القبلية ، يتطلب اعادة تشكيل لعلاقات الانتاج في المقام الاول . وتلك بدورها تتطلب وجود أوعية للانتاج ووسائل للانتاج المتقدم ، والذي يتعدى بفائضه احتياجات الفرد .

خدمات الثقافة والتعليم والصحة . هي مداخل التوعية ، وليست الاناشيد والشعارات .

وهي خدمات لايمكن أن تكون متاحة ، لتجمعات بشرية لاتتعدى العشرات ، متناثرة في الغابات والاحراش ، والتجمعات البشرية الكبرى لاتجذبها الخدمات ، وانما يجتذبها امكانيات التوظيف المجزى لطاقتها في مشروعات اقتصادية كبرى ، ثم أن الوعي لايتم بغير الاحتكاك والتفاعل ، والمسافات تشكل عوائق ، وتجاوزها لن يكون بغير شق الطرق وتحديث وسائل المواصلات ، بالاضافة الى التوسع في خدمات الاتصال الجماعي .

واذا كانت قضية الجنوب ، فيما قبل الحل ، كانت هموما سودانية ، فأنها وبعد الحل مازالت وللأسف هموما سودانية .

القضية فيما قبل الحل بإبعادها الخطرة تجاوزت السودان ، وان تحملها السودان ، الا أن القضية بعد الحل ينبغي أن لاتكون كذلك .

● مشروعات الاعاشة لمئات الآلاف من العائدين ، لايمكن أن يكون الاسهام العربي فيها تبرعا ، وانما المطلوب أن يكون مشاركة .

● مشروعات التنمية في الجنوب ، والى تم تخطيطها لتتكامل مع مشروعات مماثلة في الشمال ، ينبغي أن يضاف اليها مشروعات جديدة بتمويل عربي وبخبرة فنية عربية .

وان كان الجهد العربي في هذا المجال مطلوب لدواع قومية ، فهو مطلوب وفي نفس الوقت لمبررات اقتصادية . ذلك أن الجنوب ثروة متاحة ، امكانية هائلة ، عائد مكفول بشراء الرقعة الزراعية ، وتنوع الثروة الحيوانية ، بالاضافة بالاضافة الى أخشاب الغابات ، امكانيات التعدين ، والسياحة .

واذا كان السودانيون ، تخرجوا على الدوام بالنسبة لطلب المال العربي ، فإن المال العربي قادرا لو اراد ، أن يتحقق قبل ان يتحرك ، من العائد الاقتصادي لاسهامه في مشروعات التنمية في الجنوب ، ذلك لو كان العائد القومي لايفرى .

## تقييم لتجربة الحكم الذاتي

من أهم نتائج التجربة .. أن مشكلة جنوب السودان كانت مشكّلة ثقة مفقودة صاغت ظروف موضوعية وظروف خارجية .. من المعروف أن الجنوب كان طوال الحكم الاستعماري البريطاني منطقة مغلقة أمام الشماليين كما أن حركة التجارة والاتصال كانت متوقفة تماما بإجراءات قانونية كما كانت متعذرة أيضا بالعزلة المضروبة على الجنوب وعدم وجود وسائل مواصلات متاحة .

من الناحية الثقافية والاقتصادية ، كان التطور في الجنوب يكاد يكون متوقف تماما في الوقت الذي كانت فيه عجلة التطور تسير بصورة أفضل سببيا في الشمال . لم يشهد الجنوب توسعا في التعليم ولا خدمات في الصحة كما لم يتم فيه نشاط اقتصادي يتعدى الجهد الفردي والذي لم يكن يحقق فائضا للتبادل خارج احتياجات الفرد وحده ، وكذلك عمد الاستعمار البريطاني الى اقامة مراكز تعليمية محدودة ولاعداد لا تتجاوز العشرات لخلق قيادات ادارية ترتبط بالثقافة البريطانية وتعادي في الشمال في الوقت نفسه فاذا اضفنا الى ذلك الواقع الموضوعي في الجنوب والذي يعكس تمايزا ثقافيا واجتماعيا واقتصاديا عن نظيره في الشمال الامكن من خلال ذلك الكشف عن بؤر التناقض بين الشمال والجنوب والذي كان من المستحيل تجاوزه الا بالاعتراف بهذا التمايز دون أن يكون ذلك قيداً على وحدة السودان . من هنا كان قرار ٩ يونيو ١٩٦٩ هو أول اعتراف على المستوى الرسمي بوجود الخصائص المميزة للجنوب والاعتراف بوجود قضية ونبذ الصورة القديمة التي كانت تصور الأوضاع في الجنوب باعتبارها حركة تحرر بغير مضمون اجتماعي أو سياسي . من هنا كانت شجاعة المبادرة ثم المثابرة في العمل لانجاحها من أكبر العوامل التي أدت الى تجاوز الصراع الطويل الدامي الذي استمر لأكثر من ١٧ سنة .

## الاشاعات التي رافقت توقيع الاتفاقية

لعل من الطريف أن الأبواق الاستعمارية والتي طالما رددت بامتداد الصراع في جنوب السودان بأن العرب في الشمال يحاولون محو افريقية الجنوب أن ذات الأبواق هي التي رددت نغمة جديدة فور توقيع الاتفاقية متباكية على ما أسمته عروبة السودان وانجرافة افريقيا والعزلة التي اختارها لنفسه بعيدا عن هموم الأمة لعربية وإذا كانت هذه النغمة الجديدة كانت مبرره بأهداف أصحابها ، فإن المثير للدهشة أن بعض الصحف العربية قد ابتلعت الطعم ومضت في نفس الاتجاه تتباكي عن الاتفاقية باعتبارها مقبرة لعروبة السودان وقد أثبتت مجموعة من المتغيرات الإقليمية والدولية أن أصحاب هذا الاتجاه كانوا أبعد ما يكونوا عن فهم مجموعة من العوامل يمكن اجمالها على النحو التالي :

١ - ان السودان بقضية الجنوب المتأزمة كان قد تم اختياره استراتيجيا من جانب القوى المعادية للقارة وللأمة العربية كحاجز فاصل بين التيار المعادى للكيانات العنصرية في كلا المجالين .

٢ - ان محاولة الفصل بين القارة الافريقية والعالم العربى انما كان هدفا تكتيكيا واستراتيجيا لعزل النضال العربى عن النضال ولائخاذ السودان واجهة تصور تناقضا موهوما فيما بينه .

٣ - ان التشابه الذى يصل الى حد التطابق بين السواقع التاريخية والاقتصادى والاجتماعى فى القارة الافريقية والمنطقة العربية كان ومازال يؤهل كل منهما ليكون سندا للآخر فى مجالات التنمية والتحرر والاستقلال السياسى والاقتصادى .

والنظرة التى توحى بعدم امكانية الالتقاء بينهما انما قصد بها اقامة عازل يحول دون التفاعل فيما بينهم .

٤ - فى الوقت الذى ترى فيه الكيانات العنصرية فى افريقيا مدى ارتباطها المصرى بالكيان الاسرائيلى فى العالم العربى والذى يصل الى حدود الدعم المتبادل بل والمشاركة الفعلية فى العمليات العسكرية هنا وهناك فان الدعاية الاستعمارية كانت تجاهد للفصل بين النضال المشترك للقارة وللأمة العربية ضد ذات الكيانات .

٥ - ان الواقع الموضوعى لاقتصاديات العدو الاسرائيلى يعكس مدى الاهتمام الدائب بالقارة الافريقية باعتبارها المجال الجيوى الوحيد المتاح للتمدد الاقتصادى الاسرائيلى بما يتبعه او يسبقه من نفوذ سياسى بل وجود عسكري . فالاقتصاد الاسرائيلى عاجز بحصار الكراهية فى المنطقة العربية عن التمدد داخلها كما انه عاجز من التنافس مع الصناعة الأوروبية والأمريكية . كذلك فان الانتعاش الصناعى اليابانى والصينى فى القارة الآسيوية لا يتيح له مسجلا للحركة . من هنا فان القارة الافريقية كسوق مفتوحة وكمورد للمواد الخام كان ومازال مطمح الحركة الاسرائيلية النشطة . تلك الحركة التى لن يتاح لها ان تمارس أى فعالية فى اطار اللقواء العربى الافريقى .

٦ - ان هجوم المساعدات الاسرائيلية وخاصة فى منطقة شرق وغرب افريقيا تميزت بالانتشار الواسع فيما قبل حل قضية جنوب السودان بل واستنادا عليها واستثمارا لها . وان الانكماش الملحوظ فى النشاط الاقتصادى الاسرائيلى فى هاتين المنطقتين كان توقيته مرتبط بتوقيع الاتفاقية .



٧ - تعتبر قمة الرباط الافريقية سنة ١٩٧٢ أولى تجمعات القسمة التي برزت فيها اتجاهات الادانة الافريقية للاحتلال الاسرائيلي للأرض العربية وقد واكبت هذه القمة مباركة جماعية لحل قضية الجنوب من سائر قادة القارة وفي هذه القمة التي وقعت فيها اتفاقية أديس أبابا افريقيا تم تشكيل لجنة العشرة كما ارتفع فيها بالصوت العالي ادانة اسرائيل من قادة أفارقة من غير العرب للمسرة الأولى .

٨ - استطاع السودان بعد توقيت الاتفاقية فقط أن يمارس دورا فعالا في تحقيق الاتصال بين القارة الافريقية والامة العربية بصورة متدرجة بدأت بالتقبل الافريقي لدوره العربي ثم انتهت بالاستجابة للجهود الذي شارك فيها السودان لطرد اسرائيل من القارة .

٩ - كان السودان الموحد جنوبا وشمالا هو صاحب الدعوة للتعاون الاقتصادي العربي الافريقي كما أصبحت الخرطوم مركزا لتعليم اللغة العربية في افريقيا وموقعا لبنك التنمية العربي الافريقي ومقرا مقترحا للقمة العربي الافريقي .

١٠ - ان القوات السودانية المربطة الآن في مواجهة العدو الاسرائيلي على أرض سيناء بمصر تضم أعدادا كبيرة من الجنوبيين مضبوطا وضباط صف وجنود وهم مع الشماليين في مصر والسودان في مواجهة عدو مشترك .

## حديث الى الرجل

سيادة الرئيس جعفر نمري

كما يخاطبك شعبك ، اسمح بالحديث اليك من موقعي كمواطن أنتمي  
لوادي النيل مسكننا • للامة العربية وطنا •• لاقول لك :

ان الفشل لا يغري الحاقدين ولكن النجاح •

ان النصر اغراء بل واغواء لاعداء هذه الامة ، والذين وفي كل  
العصور ما عايشوا انتصارا للامة العربية الا تكتلوا لاجهاضه •• هكذا  
كانت هبة صلاح الدين مهددة بغزوات التتار •• هكذا كانت صحوة مصر  
في عهد محمد علي تمهيدا لهجمة الاستعمار البريطاني •• بل هكذا وفي  
جيلنا المعاصر قد عايشنا انتصارات أوطاننا وفي القلب غصة ومع ابتسامة  
الزهو مرارة المخاوف •• هكذا عايشنا تأميم القناة وكأنها تمهيد للعودة  
لاحتلال القناة •• هكذا انطلقنا على طريق النهضة الصناعية الكبرى  
والصحوة العربية العظمى لنواجه بغزوة الغدر في ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وأقول  
لك ياسيادة الرئيس أن ماتحقق بك لوطنك وشعبك وأمتك من انتصار  
أجهضت مطامع اسرائيل ، ثم مطاردة لنفوذ اسرائيل ثم اجهاض لاحلام  
اسرائيل ، ان ذلك يغري الحق بآن يحاول ويحاول •• يغري المطامع ان  
تعمل وتحاول العمل في ثوب جديد وفي اتجاه جديد تجاوزا لفشلها  
العظيم •

مطلوب منك ياسيادة الرئيس باسم هذا الشعب وباسم هذه الأمة  
بأن تكون صوت التحذير من أن المعارك التي يتوجها النصر تتطلب يقظة  
في حراستها .. ان انجازاتها التي يصادفها التوفيق في حاجة الى  
ما يدعمها .. فلتكن معنا ياسيادة الرئيس صوت النذير كما كنت صوت  
البشير يوم أعلنت وحدة ترابك واندمال جرحك ، وتوقف نزيف الدم من  
شرايين بلادك ، فأعلنت وحدة الجنوب والشمال ، ليقف السودان الموحد  
بك وخلفك حارسا لوادى النيل كله ، بل وأفريقيا كلها من مطامع اسرائيل  
ومخططات اسرائيل وأهداف اسرائيل .

وسلام الله عليك رعايته وتوقيقه .

عادل رضا



## فهرس

الموضوع	الصفحة
الامداء	٧
تقديم: بقلم الرئيس جعفر نميرى	٩
كلمة المؤلف	١٣

### الباب الاول

اطلالة سريعة على التطور التاريخى لمشكلة الجنوب قبل استقلال السودان	١٧
--	----

### الباب الثانى

جنوب السودان	
الارض ... والسكان	٣٣

### الباب الثالث

ايام فى جنوب السودان	٦١
الرحلة الاولى : مديرية اعالى النيل	٦٣

صفحة

الرحلة الثانية : مديرية بحر الفزال ١٢١

الرحلة الثالثة : المديرية الاستوائية ١٦١

الباب الرابع

الرهــان الاسرائيلي

على جنوب السودان ١٨١

الباب الخامس

جنوب السودان

القضية ، الحل .. والرجل ٢٠١

الباب السادس

اتفاقية الجنوب

والتعادل الامثل للتوازن الخطر ( وجهة نظرنا ) ٢٢٥

تقييم لتجربة الحكم الذاتى ٢٣١

حديث الى الرجل ٢٣٤





## للمؤلف

### ● ● كتب صدرت :

- ١ — عمان والخليج قضايا ومناقشات  
( دار الكاتب العربى — القاهرة )
- ٢ — ثورة الجنوب .. تجربة النضال وقضايا المستقبل  
( دار المعارف — القاهرة )
- ٣ — تطور ومسار الحركة الوطنية فى اليمن الديمقراطية  
( دار النصر — القاهرة )
- ٤ — وصفى التل .. القاتل والقتيل  
الاغتيال فى الفكر السياسى والقانونى  
( دار هيردوت — بيروت )
- ٥ — محاولة لفهم الثورة اليمنية  
( المكتب المصرى الحديث — القاهرة )
- ٦ — الرهان الاسرائيلى على جنوب السودان  
( المكتب المصرى الحديث — القاهرة )

### ● ● كتب تصدر قريبا :

- ١ — الحزب الشيوعى السودانى فى الميزان « تحت الطبع »
- ٢ — اسرار وخفايا أسطورة ٦ أكتوبر .. معلومات سياسية وعسكرية  
تنشر لأول مرة
- ٣ — ١٣ سنة فى بلاط أخبار اليوم
- ٤ — الحركة العربية الواحدة
- ٥ — قطع من التاريخ العربى المعاصر
- ٦ — التنظيمات السياسية فى الوطن العربى

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٧٥/٢٢٨٢

مطابع مؤسسة روز اليوسف